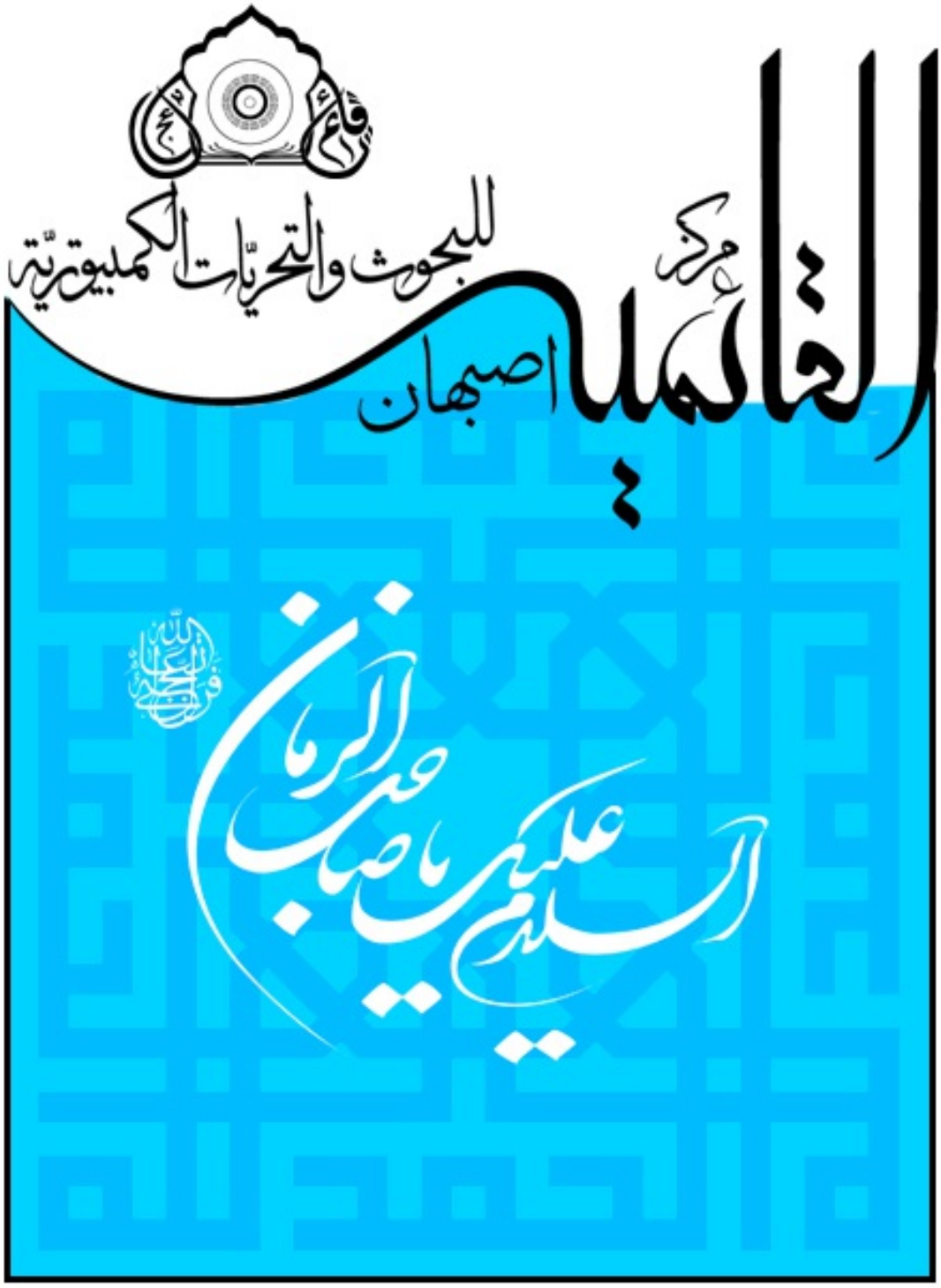

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

النجوم الزاهرة

في ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

جلد ١٠

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس تحليلية

بسم الله الرحمن الرحيم

النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره

كاتب:

جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی

نشرت فی الطباعة:

وزاره الثقافه والارشادالقومی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۱۰ ----- ۷
اشارة ----- ۷
المقدمه ----- ۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۲] ----- ۸
ذکر ولایة الملک المنصور أبی بکر ابن الملک الناصر محمد بن قلاوون علی مصر ----- ۸
ذکر ولایة الملک الأشرف علاء الدین کچک علی مصر ----- ۱۴
ذکر ولایة الملک الناصر أحمد علی مصر ----- ۲۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۳] ----- ۳۵
ذکر ولایة الملک الصالح إسماعیل علی مصر ----- ۳۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۴] ----- ۴۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۵] ----- ۴۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۶] ----- ۵۰
ذکر سلطنة الملک الکامل شعبان علی مصر ----- ۵۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۷] ----- ۶۰
ذکر سلطنة الملک المظفر حاجّی علی مصر ----- ۶۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۸] ----- ۷۱
اشارة ----- ۷۲
ذکر سلطنة الملک الناصر حسن الأولی علی مصر ----- ۷۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۹] ----- ۹۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۰] ----- ۹۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۱] ----- ۹۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۲] ----- ۹۸

اشارة ----- ۹۸
ذکر سلطنة الملک الصالح صالح ابن السلطان الملک الناصر محمد ابن السلطان الملک المنصور قلاوون ----- ۹۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۳] ----- ۱۱۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۴] ----- ۱۱۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۵] ----- ۱۱۴
اشارة ----- ۱۱۴
سلطنة الملک الناصر حسن الثانیة علی مصر ----- ۱۱۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۶] ----- ۱۲۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۷] ----- ۱۲۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۸] ----- ۱۲۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۹] ----- ۱۲۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۶۰] ----- ۱۲۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۶۱] ----- ۱۲۸
استدراکات ----- ۱۲۹
اشارة ----- ۱۲۹
باب الصفا ----- ۱۲۹
شارع نجم الدین ----- ۱۳۰
العش ----- ۱۳۰
حلوان ----- ۱۳۰
فهرس الولاة الذین تولوا مصر من سنة ۶۹۰ ه- إلی سنة ۷۰۹ ه ----- ۱۳۱
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۳۱

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۱۰

اشارة

سرشناسه : ابن تغری بردی، یوسف بن تغری بردی، ۸۱۳-۸۷۴ق.

عنوان و نام پدیدآور : النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره/ تالیف جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی.

وضعیت ویراست : [ویراست ؟].

مشخصات نشر : قاهره: وزاره الثقافه والارشادالقومی، الموسسه المصریه العامه، ۱۳۴۲.

سال چاپ: ۱۳۹۲ ه. ق

نوبت چاپ: اول

موضوع: شرح حال

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱۶

مشخصات ظاهری : ۱۶ج. (درسه مجلد).

یادداشت : عربی.

یادداشت : جلد سیزدهم تاجلد شانزدهم توسط فهیم محمد شلتوت، جمال‌الدین شیال و ابراهیم علی طرخان تصحیح‌شده توسط الهیئه‌المصریه‌العامه للتالیف و النشر منتشر گردیده است.

یادداشت : ج.۱، ۲، ۳، ۴، ۷ ، ۸ ، ۱۱ و ۱۲ (چاپ ؟: ۱۳).

یادداشت : ج. ۱۵ (چاپ؟: ۱۳۹۱ق. = ۱۹۷۱م. = ۱۳۵۰).

یادداشت : ج.۱۶ (چاپ؟ = ۱۳۹۲ق. = ۱۹۷۲م. = ۱۳۵۱).

یادداشت : بالای عنوان: تراثنا.

یادداشت : کتابنامه.

عنوان دیگر : تراثنا.

موضوع : مصر -- شاهان و فرمانروایان

موضوع : مصر -- تاریخ -- ۱۹ - ۸۹۷ق.-- سالشمار.

شناسه افزوده : شلتوت، فهیم محمد، مصحح

شناسه افزوده : شیال، جمال‌الدین، مصحح

شناسه افزوده : طرخان، ابراهیم علی، مصحح

رده بندی کنگره : DT۹۵/الف۲ن۳ ۱۳۴۲

رده بندی دیویی : ۹۶۲/۰۲

شماره کتابشناسی ملی : م۷۵-۵۵۴۷

المقدمه

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم و صلّی اللّه علی سیّدنا محمّد و آله و صحابته و المسلمین الجزء العاشر من کتاب النجوم الزاهرة فی ملوک

مصر و القاهرة

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۲]

ذكر ولاية الملك المنصور أبى بكر ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر

هو السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر ابن السلطان الملك الناصر أبى المعالى محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون. جلس على تخت الملك بالإيوان من قلعة الجبل بعهد من أبيه إليه صبيحة توفّى والده، و هو يوم الخميس حادى عشرين ذى الحجّة سنة إحدى و أربعين و سبعمائة، و لقّبه الأمراء الأكابر بالملك المنصور على لقب جدّه. و المنصور هذا هو الثالث عشر من ملوك الترك بديار مصر، و الأوّل من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون، و اتّفق الأمراء على إقامة الأمير سيف الدين طقزدمر الحموىّ، حمو الملك المنصور هذا فى نيابة السلطنة بديار مصر كونه من أكابر الأمراء، و أيضا صهر السلطان، و يكون الأمير قوصون الناصرىّ مدبّر المملكة، و رأس المشورة، و يشاركه فى الرأى الأمير بشتك الناصرىّ، و تمّ ذلك و رسم بتجهيز التشاريف و الخلع إلى نوّاب البلاد الشاميّة على يد الأمير قطلوبغا الفخرىّ، و رسم له بتحليف الأمراء و النوّاب بالبلاد الشاميّة على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۴

العادة. و نودى بالقاهرة و مصر أن يتعامل الناس بالفضّة و الذهب بسعر اللّه تعالى، فسّر الناس بذلك، فإنهم كانوا قد امتنعوا من التعامل بالفضة و ألّا تكون معاملتهم إلّا بالذهب. ثم أفرج عن بركة الحبش، و كان النشو قد أخذها من الأشراف، و صار ينفق فيهم من بيت المال. ثم كتب إلى ولاة الأعمال برفع المظالم و ألّا يرمى على بلاد الأجناد شعير و لا تبن.

ثم فى يوم الخميس ثامن عشرين ذى الحجّة أنعم الملك المنصور على عشرة أمراء بإمرة طبلخاناه. ثم جمع القضاة فى يوم السبت سلخه فى جامع القلعة للنظر فى أمر الخليفة الحاكم بامر اللّه أحمد بن أبى الربيع سليمان و إعادته إلى الخلافة، و حضر معهم الأمير طاجار الدّوادار فاتّفقوا على إعادته لعهد أبيه إليه بالخلافة بمقتضى مكتوب ثابت على قاضى قوص.

ثم فى يوم الاثنين ثانى المحرّم سنة اثنتين و أربعين و سبعمائة خلع السلطان على جميع الأمراء المقدّمين فى الموكب بدار العدل، و طلع القضاة و جلس الخليفة الحاكم بأمر اللّه أبو العباس أحمد على الدرجة الثالثة من تخت السلطان، و عليه خلعة خضراء و فوق عمامته طرحة سوداء مرقومة بالذهب، ثم خرج السلطان من باب السرّ على العادة إلى الإيوان فقام له الخليفة و القضاة و من كان جالسا من الأمراء، و جلس على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۵

الدرجة الأولى دون الخليفة، و قام الخليفة و افتتح الخطبة بقوله عزّ و جلّ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَ لا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ. ثم أوصى الأمراء بالرفق بالرعية و إقامة الحق و تعظيم شعائر الإسلام و نصرة الدين، ثم قال: فوّضت إليك جميع أحكام المسلمين، و قلّدتك ما تقلّدته من أمور الدين.

ثم تلا قوله تعالى: [إِنَ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ] (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً.

و جلس فجىء فى الحال بخلعة سوداء فألبسها الخليفة السلطان بيده، ثم قلّده سيفا عربيّا، و أخذ القاضى علاء الدين علىّ بن فضل اللّه كاتب السرّ فى قراءة عهد الخليفة للسلطان حتّى فرغ منه، ثم قدّمه إلى الخليفة فكتب عليه، ثم كتب بعده قضاة القضاة بالشهادة عليه، ثم قدّم السّماط فأكلوا و انقضت الخدمة.

ثم قدم الأمير بيغرا فى يوم الخميس خامس المحرّم من عند الأمير أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك و قد حلّفه بمدينة الكرك لأخيه السلطان الملك المنصور هذا، ففرح الناس بذلك.

ثم فى يوم الأحد ثامن المحرّم قبض على الأمير بشتك الناصرىّ، و ذلك أنه طلب أن يستقرّ فى نيابة الشام، و دخل على الأمير قوصون و سأله فى ذلك و أعلمه أنّ السلطان كان قبل موته وعده بها و ألحّ فى سؤاله، و قوصون يدافعه و يحتّج عليه بأنه قد كتب إلى الأمير ألطنبغا الصالحىّ نائب دمشق تقليدا باستمراره فى نيابة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۶

دمشق على عادته و لا يليق عزله سريعا، فقام عنه بشتك و هو غير راض، فإنه كان قد توهّم من قوصون و خشى منه على نفسه و طلب الخروج من ديار مصر لما كان بينهما قديما من المنافرة، و لأنّ قوصون صار الآن متحكّما فى الدولة، فلمّا خرج بشتك من عند قوصون و هو غير راض سعى بخاصّيكيّة السلطان و حمل إليهم مالا كثيرا فى السرّ، و بعث إلى الأمراء الكبار و طلب منهم المساعدة، فما زالوا بالسلطان حتى أنعم عليه بنيابة الشام و طلب الأمير قوصون و أعلمه بذلك فلم يوافقه، و قرّر مع السلطان أنه يحدّث الأمراء فى ذلك و يعدهم بأنه يولّى بشتك إذا قدم الأمير قطلوبغا الفخرىّ من تحليف نائب الشام و بنسخة اليمين، فلمّا دخل الأمراء عرّفهم السلطان طلب بشتك بنيابة الشام فأخذوا فى الثناء عليه و الشكر منه، فاستدعاه و طيّب خاطره و وعده بها عند قدوم الفخرىّ، و رسم له بأن يتجهز للسفر، فظن بشتك أن ذلك صحيح، و قام مع الأمراء من الخدمة، و أخذ فى عرض خيوله و بعث لكل من أكابر الأمراء المقدّمين ما بين ثلاثة أرؤس إلى رأسين بالقماش المذهب الفاخر، و بعث معها أيضا الهجن، ثم بعث إلى الأمراء الخاصّيكيّة مثل ملكتمر الحجازىّ و ألطنبغا الماردانىّ شيئا كثيرا من الذهب و الجوهر و اللؤلؤ و التحف. و فرّق عدّة من الجوارى فى الأمراء بحيث إنه لم يبق أحد من الأمراء إلا و أرسل إليه. ثم فرّق على مماليكه و أجناده و أخرج ثمانين جارية بعد ما شوّرهنّ بالأقمشة و الزراكش و زوجهنّ. و فرّق من شونته على الأمراء اثنى عشر ألف إردب غلة. و زاد بشتك فى العطاء حتى وقع الإنكار عليه و اتّهمه السلطان و الأمير قوصون بأنه يريد الوثوب على السلطان و عملوا هذا من فعله حجّة [للقبض] عليه، و كان ما خصّ الأمير قوصون من تفرقة بشتك فى هذه النّوبة حجرين من حجارة معاصير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۷

القصب بما فيهما من القنود و السكر و الأعسال و الأبقار و الغلال و الآلات، و خمسمائة فدّان من القصب مزروعة فى أراض ملك له، و غير ذلك، فأدهش الأمراء كثرة عطائه، و استغنى منه جماعة من مماليكه و حواشيه. و لما كثرت القالة فيه بأنّه يريد إفساد الدولة خلا به بعض خواصّه و عرّفه ذلك و أشار عليه بإمساك يده عن العطاء، فقال: هم إذا قبضوا علىّ أخذوا مالى و أنا أحقّ بتفرقته منهم، و إذا سلمت فالمال كثير. هذا و قد قام قوصون فى أمر بشتك المذكور قياما حتّى وافقه السلطان على القبض عليه عند قدوم قطلوبغا الفخرىّ، فأشاع قوصون أنّ بشتك يريد القبض على الفخرىّ إذا حضر فبلغ ذلك بعض خواصّ قطلوبغا، فبعث إليه من تلقّاه و عرّفه بما وقع من تجهيز بشتك و أنّه على عزم من أن يلقاك فى طريقك و يقتلك، فكن على حذر، فأخذ قطلوبغا من الصالحيّة يحترز على نفسه حتّى نزل سرياقوس و اتّفق من الأمر العجيب أنّ بشتك خرج إلى حوشه بالرّيدانيّة خارج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۸

القاهرة ليعرض هجنه و جماله فطار الخبر إلى قطلوبغا أنّ بشتك قد خرج إلى الرّيدانيّة فى انتظاركَ، فاستعدّ قطلوبغا و لبس السلاح من تحت ثيابه و سار حتّى تلقّاه عدّة كثيرة من مماليكه و حواشيه و هو على أهبة الخروج للحرب، و خرج عن الطريق و سلك من تحت الجبل لينجو من بشتك و قد قوى عنده صحّة ما بلغه، و كان عند بشتك علم من قدومه، فلمّا قرب من الموضع الذى فيه بشتك لاحت له غبرة خيل فحدس بشتك أنّه قطلوبغا الفخرى قد قدم، فبعث إليه أحد مماليكه يبلّغه سلامه و أنّه يقف حتّى يأتيه فيجتمع به، فلمّا بلغ الفخرىّ ذلك زاد خوفه من بشتك، فقال له: سلّم على الأمير و قل له: لا يمكن اجتماعه بى قبل أن أقف قدّام السلطان. ثم

بعد ذلك اجتمع به و بغيره، فمضى مملوك بشتك و فى ظن قطلوبغا أنّه إذا بلّغه مملوكه الجواب ركب إليه، فأمر قطلوبغا مماليكه بأن يسيروا قليلا قليلا، و ساق هو بمفرده مشوارا واحدا إلى القلعة، و دخل إلى السلطان و بلّغه طاعة النوّاب و فرحهم بأيّامه. ثم أخذ يعرّف السلطان و الأمير قوصون و سائر الأمراء بما اتّفق له مع بشتك، و أنّه كان يريد معارضته فى طريقه و قتله فأعلمه السلطان و قوصون بما اتّفقا عليه من القبض على بشتك. فلما كان عصر اليوم المذكور، و دخل الأمراء إلى الخدمة على العادة بالقصر و فيهم الأمير بشتك، و أكلوا السّماط تقدّم الأمير قطلوبغا الفخرىّ و الأمير طقزدمر إلى بشتك و أخذا سيفه و كتّفاه و قبض معه على أخيه إيوان و على طولوتمر و مملوكين من المماليك السلطانيّة كانا يلوذان ببشتك، و قيّدوا جميعا و سفّروا إلى الإسكندريّة فى اللّيل صحبة الأمير أسندمر العمرىّ و قبض على جميع مماليكه و وقعت الحوطة على موجوده و دوره و تتبّعت غلمانه و حواشيه. و أنعم السلطان من إقطاع بشتك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۹

على الأمير قوصون بخصوص الشّرق زيادة على ما بيده، و أخذ السلطان المطريّة و منية ابن خصيب و شبرا، و فرّق بقيّة الإقطاع على ملكتمر الحجازىّ و غيره من الأمراء.

فلمّا أصبحوا يوم الاثنين تاسع المحرّم حملت حواصل بشتك، و هى من الذهب العين مائتا ألف دينار مصريّة. و من اللؤلؤ و الجواهر و الحوائص الذهب و الكلفتاه الزّركش شىء كثير جدّا، هذا بعد أن فرّق غالب موجوده حسب ما تقدّم ذكره على الأمراء و المماليك. ثم أخرج السلطان الأمير أحمد شادّ الشّر بخاناه منفيّا إلى طرابلس لميله مع بشتك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۰

و فى يوم الخميس أنعم السلطان على أخويه: شعبان و رمضان كلّ واحد بإمرة.

و فيه قبض السلطان على الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير بكتمر الحاجب لشىء أوجب ذلك. و فى يوم الاثنين ثالث عشرين المحرّم خلع السلطان الملك المنصور أبو بكر على الأمير طقزدمر الحموىّ بنيابة السلطنة بالديار المصريّة، و كان رشّح لها قبل تاريخه، فلبس الخلعة و جلس فى دست النيابة و حكم و صرّف الأمور. و فى يوم الاثنين سلخه قبض السلطان على الأمير آقبغا عبد الواحد و على أولاده، و خلع على الأمير طقتمر الأحمدىّ و استقرّ أستادارا عوضا عن آقبغا المذكور، و رسم للأمير طيبغا المجدىّ والى القاهرة بإيقاع الحوطة على موجود آقبغا، و سلّم ولده الكبير إلى المقدّم إبراهيم بن صابر. و أصبح يوم الثلاثاء أوّل صفر فتحدّث الأمراء أن ينزل فى ترسيم المجدىّ ليتصرّف فى أمره، فنزل فى صحبة المجدىّ و أخذ فى بيع موجوده، و كان السلطان قد حلف قديما أنّه متى تسلطن قبض عليه و صادره و ضربه بالمقارع لأمور صدرت منه فى حقّه أيام والده الملك الناصر. فكان ممّا أبيع لآقبغا عبد الواحد سراويل لزوجته بمائتى ألف درهم فضّة و قبقاب و خفّ و سرموجة بخمسة و سبعين ألف درهم، و ثار به جماعة كثيرة من الناس ممن كان ظلمهم فى أيام تحكّمه و طلبوا حقوقهم منه و شكوه، فأقسم السلطان لئن لم يرضهم ليسمرنّه على جمل و يشهّره بالقاهرة ففرّق فيهم مائتى ألف درهم حتى سكتوا، و كادت العامة تقتله لو لا المجدىّ لسوء سيرته و كثرة ظلمه أيّام ولايته. و فى يوم الأربعاء تاسع صفر قبض السلطان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۱

على المقدّم إبراهيم بن صابر و سلّمه لمحمد بن شمس [الدين] المقدّم و أحيط بأمواله، فوجد له نحو سبعين حجرة فى الجشار و مائة و عشرين بقرة فى الزرايب و مائتى كبش و جوقتين كلاب سلوقيّة و عدّة طيور جوارح مع البازداريّة. و وجد له من الغلال و غيرها شىء كثير.

ثم قدم الخبر على السلطان من الأمير طشتمر حمّص أخضر الساقى نائب حلب بخروج ابن دلغادر عن الطاعة و موافقته لأرتنا متملّك الروم على المسير لأخذ حلب، و أنّه قد جمع بأبلستين جمعا كثيرا، و سأل طشتمر أن ينجده بعسكر من مصر، فتشوّش السلطان لذلك

و عوّق الجواب. و فيه رسم السلطان بضرب آقبغا عبد الواحد بالمقارع فلم يمكّنه الأمير قوصون من ذلك فآشتدّ حنق السلطان و أطلق لسانه بحضرة خاصّكيّته فى حقّ قوصون و غيره، و فى ذلك اليوم عقد السلطان نكاحه على جاريتين من المولّدات اللّاتى فى بيت السلطان، و كتب القاضى علاء الدين بن فضل اللّه كاتب السرّ صداقهما، فخلع عليه السلطان و أعطاه عشرة آلاف درهم، و رسم السلطان لجمال الكفاة ناظر الخاصّ أن يجهّزهما بمائة ألف دينار، فشرع جمال الكفاة فى عمل الجهاز، و بينما هو فى ذلك ركب الأمير قوصون على السلطان بجماعة من الأمراء فى يوم السبت تاسع عشر صفر و خلعوه من الملك فى يوم الأحد عشرينه، و أخرج هو و إخوته إلى قوص صحبة الأمير بهادر بن جركتمر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۲

و كان سبب خلع الملك المنصور هذا أنّ المنصور كان قرّب الأمير يلبغا اليحياوىّ و شغف به شغفا كثيرا، و نادم الأمير ملكتمر الحجازىّ و اختصّ به و بالأمير طاجار الدّوادار و بالأمير قطليجا الحموى و جماعة من الخاصّكيّة، و عكف على اللّهو و شرب الخمر و سماع الملاهى فشقّ ذلك على الأمير قوصون و غيره لأنّه لم يعهد من ملك قبله شرب خمر فيما روى، فحملوا الأمير طقزدمر النائب على محادثته فى ذلك و كفّه عنه فزاده لومه إغراء و أفحش فى التّجاهر باللّهو، حتى تكلّم به كلّ أحد من الأمراء و الأجناد و العامّة، فصار فى الليل يطلب الغلمان لإحضار المغانى، فغلب عليه السّكر فى بعض الليالى فصاح من الشّباك على الأمير أيدغمش أمير آخور: هات لى قطقط، فقال أيدغمش: ياخوند، ما عندى فرس بهذا الاسم، فتكلّم بذلك السّلاخوريّة و الركابيّة و تداولته الألسنة.

قلت: و أظن قطقط كانت امرأة مغنّية. و اللّه أعلم.

فلمّا زاد أمره طلب الأمير قوصون طاجار الدّوادار و الشّهابىّ شادّ العمائر، و عنّفهما و وبّخهما و قال لهما: سلطان مصر يليق به أن يعمل مقامات و يحضر إليه البغايا و المغانى! أهكذا كان يفعل والده؟ و عرّفهم أن الأمراء قد بلغهم ذلك و تشوّش خواطرهم، فدخلوا و عرّفوا السلطان كلامه، و زادوا فى القول، فأخذ جلساء الملك المنصور فى الوقيعة فى قوصون و التحدث فى القبض عليه و على الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۳

قطلوبغا الفخرىّ و الأمير بيبرس الأحمدىّ و الأمير طقزدمر النائب، فنمّ عليهم الأمير يلبغا اليحياوىّ لقوصون، و كان قد استماله قوصون بكثرة العطاء فيمن استمال من المماليك السلطانيّة. و عرّفه أن الاتّفاق قد تقرّر على القبض عليه فى يوم الجمعة وقت الصلاة، فانقطع قوصون عن الصلاة و أظهر أنّ برجله وجعا، و بعث فى ليلة السبت يعرّف بيبرس الأحمدىّ بالخبر و يحثّه على الركوب معه، و طلب المماليك السلطانيّة و واعدهم على الركوب و ملأهم بكثرة المواعيد، ثمّ بعث إلى الأمير الحاج آل ملك و الأمير چنكلى بن البابا و هؤلاء أكابر الأمراء فلم يطلع الفجر حتّى ركب الأمير قوصون من باب سرّ القلعة بمماليكه و مماليك السلطان و سار نحو الصحراء، و بعث مماليكه فى طلب الأمراء فأتاه جركتمر و بهادر و برسبغا و قطلوبغا الفخرىّ و الأحمدىّ و أخذوا آقبغا عبد الواحد من ترسيم طيبغا المجدىّ، فسار معه المجدىّ أيضا، و وقفوا بأجمعهم عند قبّة النصر و دقّت طبلخاناتهم، فلم يبق أحد من الأمراء حتّى أتى قوصون، هذا و السلطان و ندماؤه و خاصّكيّته فى غفلة لهوهم و غيبة سكرهم إلى أن دخل عليهم أرباب الوظائف، و أيقظوهم من نومهم و عرّفوهم مادهوا به، فبعث السلطان طاجار الدوادار إلى الأمير طقزدمر النائب يسأله عن الخبر و يستدعيه، فوجد عنده چنكلى بن البابا و الوزير و عدّة من الأمراء المقيمين بالقلعة، فامتنع طقزدمر من الدخول على السلطان، و قال: أنا مع الأمراء حتّى أنظر ما عاقبة هذا الأمر، ثم قال لطاجار: أنت و غيرك سبب هذا، حتى أفسدتم السلطان بفسادكم و لعبكم، قل للسلطان يجمع مماليكه و مماليك أبيه حوله، فرجع طاجار و بلّغ السلطان ذلك، فخرج السلطان إلى الإيوان و طلب المماليك، فصارت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۴

كلّ طائفة تخرج على أنّها تدخل إليه فتخرج إلى باب القلّة حتى صاروا نحو الأربعمائة مملوك، و ساروا يدا واحدة من باب القلّة إلى باب القلعة، فوجدوه مغلقا فرجعوا إلى النائب طقزدمر بعد ما أخرقوا بوالى باب القلعة و أنكروا عليه و على من عنده من الأمراء (أعنى

عن الأمير طقزدمر)، فقال لهم طقزدمر:

السلطان ابن أستاذكم جالس على كرسىّ الملك و أنتم تطلبون غيره. فقالوا: ما لنا ابن أستاذ، و ما لنا أستاذ إلّا قوصون، ابن أستاذنا مشغول عنا لا يعرفنا و مضوا إلى باب القرافة و هدموا منه جانبا و خرجوا فإذا خيول بعضهم واقفة فركب بعضهم و أردف عدّة منهم و مشى باقيهم إلى قبّة النصر ففرح بهم قوصون و الأمراء و أركبوهم الخيول و أعطوهم الأسلحة و أوقفوهم بين أصحابهم، ثم أرسل قوصون الأمير مسعود [بن خطير] الحاجب إلى السلطان يطلب منه ملكتمر الحجازىّ و يلبغا اليحياوىّ، و هما من أمراء الألوف الخاصّكيّة و طاجار الدّوادار و غيرهم، و يعرّفه أنه أستاذه و أستاذ جميع الأمراء و ابن أستاذهم و أنهم على طاعته و إنما يريدون هؤلاء لما صدر منهم من الفساد و رمى الفتن، فطلع الأمير مسعود فوجد السلطان بالإيوان من القلعة، و هم حوله فى طائفة من المماليك فقبّل الأرض و بلّغه الرسالة، فقال السلطان: لا كيد و لا كرامة لهم. و ما أسّير مماليكى و مماليك أبى لهم، و قد كذبوا فيما نقلوا عنهم و مهما قدروا عليه يفعلوه، فما هو إلّا أن خرج عنه الأمير مسعود حتى اقتضى رأيه بأن يركب بمن معه و ينزل من القلعة و يطلب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٠، ص: ١٥

النائب طقزدمر و من عنده من الأمراء و المماليك و يدقّ كوساته، فتوجه إلى الشّباك و أمر أيدغمش أمير آخور أن يشدّ الخيل للحرب، فأخبره أنه لم يبق فى الإسطبل غلام و لا سايس و لا سلاخورىّ يشدّ فرسا واحدا، فبعث إلى النائب يستدعيه فامتنع عليه، و بعث الأمير قوصون بلك الجمدار و برسبغا إلى طقزدمر النائب يعلماه بأنه متى لم يحضر الغرماء إليه و إلا زحف على القلعة و أخذهم غصبا، فبعث طقزدمر إلى السلطان يشير عليه بإرسالهم، فعلم السلطان أنّ النائب و أمير آخور قد خذلاه، فقام و دخل على أمّه فلم يجد الغرماء بدّا من الإذعان، و خرجوا إلى النائب، و هم الأمير ملكتمر الحجازىّ و ألطنبغا المارداني و يلبغا اليحياوىّ، و هؤلاء مقدمو الألوف، و أحد خواصّ الملك الناصر محمد بن قلاوون- رحمه اللّه- و طاجار الدّوادار و الشهابىّ شادّ العمائر و بكلمش المارديني و قطليجا الحموىّ، فبعثهم طقزدمر النائب إلى قوصون صحبة بلك الجمدار و برسبغا، فلمّا رآهم قوصون صاح فى الحاجب أن يرجّلهم عن خيولهم من بعيد فأنزلوا إنزالا قبيحا و أخذوا حتى أوقفوا بين يدى قوصون، فعنّفهم و وبّخهم و أمر بهم فقيّدوا و عملت الزناجير فى رقابهم، و الخشب فى أيديهم ثم تركهم فى خيم ضربت لهم عند قبّة النصر. و استدعى طقزدمر النائب و الأمير چنكلى بن البابا و الوزير و الأمراء المقيمين بالقلعة و الأمير أيدغمش أمير آخور فنزلوا اليه و اتّفقوا على خلع الملك المنصور و إخراجه، فتوجّه الأمير برسبغا فى جماعة إلى القلعة و أخرج الملك المنصور و إخوته و هم سبعة نفر، و مع كلّ منهم مملوك صغير و خادم و فرس و بقجة قماش، و أركبهم إلى شاطئ النيل و أنزلهم فى حرّاقة و سار بهم إلى قوص،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٠، ص: ١٦

و لم يترك بالقلعة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاون إلّا كچك، ثم سلّم قوصون الأمراء المقيّدين إلى والى القاهرة، فمضى بهم إلى خزانة شمائل و سجنهم بها إلا يلبغا اليحياوىّ، فإنّه أفرج عنه، و كان يوما عظيما بالديار المصريّة من إخراج أولاد السلطان الملك الناصر على هذه الصورة، و حبس هؤلاء الأمراء الملوك فى خزانة شمائل و تهتّك حرم السلطان على إخراج أولاد الناصر، و كثر البكاء و العويل بالقاهرة، فكان هذا اليوم من أشنع الأيام. و بات قوصون و من معه ليلة الأحد بخيامهم فى قبّة النصر خارج القاهرة، و ركبوا بكرة يوم الأحد العشرين من صفر إلى قلعة الجبل و اتّفقوا على إقامة كچك ابن الملك الناصر محمد فى السلطنة، فاقيم و جلس على كرسىّ الملك حسب ما يأتى ذكره فى أوّل ترجمته. و خلع الملك المنصور فى يوم السبت تاسع عشر صفر من سنة اثنتين و أربعين و سبعمائة، فكانت مدّة ملكه على مصر تسعة و خمسين يوما، و من حين قلّده الخليفة [ثمانية و] أربعين يوما، لأنّه لمّا تسلطن كان الخليفة [الحاكم بأمر اللّه أحمد بن أبى الربيع سليمان] المستكفى لم يتمّ أمره فى الخلافة، ثم انتظم أمره بعد ذلك فبايع الملك المنصور حسب ما ذكرناه، و خلع الملك المنصور أبو بكر من السلطنة و سلم القلعة بغير قتال مع كثرة من كان معه من خواصّ أمراء أبيه و مماليكه، خذلان من اللّه تعالى!

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۷

و فى خلعه من السلطنة و إخراجه إلى قوص مع إخوته عبرة لمن اعتبر، فإن والده الملك الناصر محمد بن قلاوون كان أخرج الخليفة أبا الربيع سليمان المستكفى بأولاده و حواشيه إلى قوص منفيّا مرسّما عليه فقوصص الملك الناصر عن قريب فى ذرّيته بمثل ذلك، و أخرج أولاده أعزّ مماليكه و زوج ابنته، و هو قوصون الناصرىّ، فتوجّه الملك المنصور مع إخوته إلى قوص و صحبته بهادر بن جركتمر مثل الترسيم عليه و على إخوته، و أقام بها نحو الشهرين، و دسّ عليه قوصون عبد المؤمن متولىّ قوص فقتله و حمل رأسه إلى قوصون سرّا فى أواخر شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين و أربعين و سبعمائة، و كتموا ذلك عن الناس. فلمّا أمسك قوصون تحقّق الناس ذلك، و جاء من حاقق بهادر أنّه غرّق طاجار الدوادار و استحسّ على قتل المنصور، فطلب عبد المؤمن و قرّر فاعترف فسمّره السلطان الملك الناصر أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، و قد تسلطن بعد أخيه كچك آخذا بدم أخيه الملك المنصور هذا.

و كان الملك المنصور سلطانا كريما شابا حمل اليه مال بشتك و مال آقبغا عبد الواحد و مال برسبغا فوهب ذلك جميعه إلى الخاصّكيّة الأمراء من مماليك والده مثل ملكتمر الحجازىّ و ألطنبغا المارداني و يلبغا اليحياوىّ و طاجار الدّوادار، و هؤلاء كانوا عظماء أمراء الألوف من الخاصّكيّة و أعيان مماليك الملك الناصر محمد ابن قلاوون و أصهاره و أحبّهم و أحبّوه، فالتهى بهم عن قوصون و قوى بهم بأسه، فخاف قوصون عاقبة أمره و تقرّب خشداشيته إليه فدبّر عليه و عليهم حتّى تمّ له ذلك، و كانت الناس تباشرت بيمن سلطنته، فإنه لمّا تسلص انفعلت الأمور على أحسن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۸

ما يكون و لم يقع بين الناس خلاف و لا وقع سيف حتّى خالف قوصون، فرموه بأمور و قبائح و دواهى، و ادّعوا أنّه كان ينزل هو و المذكورون من مماليك أبيه إلى بحر النيل و يركب معهم فى المراكب و أشياء من ذلك، اللّه أعلم بصحّتها. و لم يكن مسك بشتك بخاطره و لا عن أمره إلّا مراعاة لخاطر قوصون لما كان بينهما من أيام أستاذهما الملك الناصر محمد من المنافرة. و كان الملك المنصور شابّا حلو الوجه، فيه سمرة و هيف قوام، و كان تقدير عمره ما حول العشرين سنة، و كان أفحل الإخوة و أشجعهم. زوّجه أبوه بنت الأمير سيف الدين طقزدمر الحموىّ.

قال الشيخ صلاح الدين الصّفدىّ فى تاريخه: و عمل الناس عزاءه و دار جواره فى الليل بالدّراريك فى شوارع القاهرة أيّاما، و أبكين الناس و تأسّفوا عليه لأنّه خذل، و عمل عليه و أخذ بغتة، و قتل غضّا طريّا، و لو استمرّ لجاء منه ملك عظيم، كان فى عزمه ألّا يغيّر قاعدة من قواعد جدّه الملك المنصور قلاوون، و يبطل ما كان أحدثه أبوه من إقطاعات العربان و إنعاماتهم، و غير ذلك. انتهى كلام الصلاح الصّفدىّ باختصار.

و أمّا أمر بشتك و حبسه فإنه كان من أجلّ مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، و كان ثقل عليه فى أواخر أمره، فإنه لمّا مات بكتمر الساقى ورثه فى جميع أمواله، فى داره و إسطبله. و تزوّج بامرأته أمّ أحمد بن بكتمر الساقى و اشترى جاريته

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۹

خوبى بستة آلاف دينار، و كان معها من القماش ما قيمته عشرة آلاف دينار، و أخذ ابن بكتمر عنده. و كانت الشرقية تحمى لبكتمر الساقى فحماها هو بعده، فعظم ذلك على قوصون و لم يسعه إلّا السّكات لميل السلطان إليه. و كان مع هذه الرياسة الضخمة غير عفيف الذّيل عن المليح و القبيح، و بالغ فى ذلك و أفرط حتّى فى نساء الفلّاحين و غيرهم. و كان سبب قربه من أستاذه الملك الناصر أنّ الملك الناصر قال يوما فى مبدأ أمره لمجد الدين السّلّامىّ: أريد أن أشترى لى مملوكا يشبه بو سعيد ابن خربندا ملك التّتار، فقال مجد الدين: دع ذلك، فهذا بشتك يشبهه لا فرق بينهما فحظى عنده لذلك. و لمّا ندبه السلطان لمسك تنكز و توجّه إلى الشام للحوطة على مال تنكز، و رأى أمر مشق طمع فى نيابتها و لم يجسر يفاتح السلطان فى ذلك، و بقى فى نفسه منها حزازة، فلمّا

مرض السلطان و أشرف على الموت ألبس بشتك مماليكه، فإنّه كان بلغه عن قوصون أنّه ألبس مماليكه، ثم انتظم الأمر على أن السلطان جعل ابنه أبا بكر وليّ عهده، و قد قدّمنا ذكر ذلك كلّه مفصّلا فى أواخر ترجمة الملك الناصر. فلمّا وقع ذلك قال بشتك: لا أوافق على سلطنة أبى بكر، ما أريد إلّا سيّدى أحمد الذى بالكرك. فلمّا مات السلطان و سجّى قام قوصون إلى الشّباك و طلب بشتك و قال له: يا أمير تعال، أنا ما يجيء منّى سلطان، لأنّى كنت أبيع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۰

الطّسما و الكشاتوين فى البلاد و أنت اشتريت منّى، و أهل البلاد يعرفون ذلك منّى، و أنت ما يجيء منك سلطان، لأنّك كنت تبيع البوزا، و أنا اشتريت ذلك منك، و أهل البلاد يعرفون ذلك كلّه، فما يكون سلطانا من عرف ببيع الطسما و البرغالى، و لا من عرف ببيع البوزا، و هذا أستاذنا هو الذى أوصى لمن هو أخبر به من أولاده، و هذا فى ذمّته و ما يسعنا إلّا امتثال أمره حيّا و ميّتا، و أنا ما أخالفك إن أردت أحمد أو غيره، و لو أردت أن تعمل كلّ يوم سلطانا ما خالفتك؛ فقال بشتك:

كلّ هذا صحيح، و الأمر أمرك، و أحضرا المصحف و حلف كلّ للآخر و تعانقا، ثم قاما إلى رجلى السلطان فقبّلاهما و بكيا، و وضعا ابن السلطان على كرسىّ الملك. و قد تقدم ذكر ذلك كلّه، و تمّ الأمر بينهما على ذلك، حتى بدا لبشتك أن يلى نيابة الشام فعاكسه قوصون فثارت الكمائن و الضغائن القديمة بينهما حتى وقع ما حكيناه، و أمسك بشتك و اعتقل بالإسكندريّة إلى أن قتل فى محبسه بالإسكندرية بعد أيام فى سلطنة الملك الأشرف كچك ابن الملك النّاصر محمد بن قلاوون فى شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين و أربعين المذكورة، حسب ما يأتى ذكره. و بشتك هذا أوّل من أمسك من أمراء الدولة الناصريّة. و كان كريما مهابا، كان يذبح فى سماطه فى كل يوم خمسين رأسا من الغنم و فرهما لا بدّ منه، خارجا عن الدجاج و الإوز و الحلوى. انتهى ترجمة الملك المنصور أبى بكر بن محمد بن قلاوون. رحمه اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۱

ذكر ولاية الملك الأشرف علاء الدين كچك على مصر

هو السلطان الملك الأشرف علاء الدين كچك ابن السلطان الملك الناصر، ناصر ناصر الدين أبى المعالى محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفىّ الصالحىّ النّجمىّ. جلس على تخت الملك باتّفاق الأمراء بعد خلع أخيه أبى بكر ابن الملك الناصر محمد فى يوم الاثنين حادى عشرين صفر سنة اثنتين و أربعين و سبعمائة، و ركب بشعار السلطنة و لقّب بالملك الأشرف و لم يكمل له من العمر خمس سنين، و قيل كان عمره دون سبع سنين. و أمّه أمّ ولد تسمّى أردو تركيّة الجنس و هو السلطان الرابع عشر من ملوك الترك بديار مصر، و الثانى من أولاد الملك الناصر محمد ابن قلاوون. و لمّا تمّ أمره فى السلطنة جلس الأمراء و اشتوروا فيمن يقيموه فى نيابة السلطنة فرشّح الأمير أيدغمش أمير آخور فامتنع أيدغمش من ذلك فوقع الاتفاق على الأمير قوصون الناصرىّ فأجاب و شرط على الأمراء أن يقيم على حاله فى الأشرفية من القلعة و لا يخرج منها إلى دار النيابة خارج باب القلّة من القلعة، فأجابوه الأمراء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۲

إلى ذلك، فاستقرّ من يومه فى النيابة، و تصرّف فى أمور المملكة، و السلطان آلة فى السلطنة، فقال فى ذلك بعض شعراء العصر:

سلطاننا اليوم طفل و الأكابر فى خلف و بينهم الشيطان قد نزغا

فكيف يطمع من تغشيه مظلمة أن يبلغ السّؤل و السلطان ما بلغا

ثم اتّفقت الأمراء على إخراج الأمير ألطنبغا المارداني من الحبس فأخرج من يومه. و فى ليلة الأربعاء ثالث عشرين صفر أخرج الأمير قطلوبغا الحموىّ و طاجار الدّوادار و ملكتمر الحجازىّ و الشّهابىّ شادّ العمائر من حبس خزانة شمائل بالقاهرة، و حملوا إلى ثغر

الإسكندريّة فسجنوا بها. و توجّه الأمير بلك الجمدار على البريد إلى حلب لتحليف النائب طشتمر الساقى المعروف بحمّص أخضر و الأمراء، و توجّه الأمير بيغر إلى دمشق بمثل ذلك إلى نائبها الأمير ألطنبغا الصالحىّ، و توجّه الأمير جركتمر بن بهادر إلى طرابلس و حماة لتحليف نوّابها و الأمراء، و كتب إلى الأعمال بإعفاء الجند عن المغارم. ثم ركب الأمير قوصون فى يوم الخميس رابع عشرينه فى دست النيابة، و ترجّل له الأمراء و مشوا فى خدمته، و أخذ و أعطى و أنفق على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۳

الأمراء لكلّ أمير مائة و مقدّم ألف: ألف دينار، و لكلّ أمير طبلخاناه خمسمائة دينار؛ و لكلّ أمير عشرة مائتى دينار، و لكلّ مقدّم حلقة خمسين دينارا، و لكلّ جندى خمسة عشر دينارا.

ثم فى يوم [السبت] سادس عشرينه سمّر قوصون ولىّ الدولة أبا الفرج ابن خطير صهر النّشو، و كان قد توصّل إلى الملك المنصور بسفارة أستاذه ملكتمر الحجازىّ، و وقع منه أمور حقدها عليه قوصون لوقتها، و لمّا سمّر أشهر على جمل بمصر و القاهرة و قد أشعلت الشموع بالحوانيت و الشوارع و دقّت الطبول و فرح الناس بتشهيره فرحا زائدا لأنّه كان ممّن بقى من حواشى النّشو و أصهاره، و فيه يقول الأديب جمال الدين إبراهيم المعمار:

قد أخلف النّشو صهر سوء قبيح فعل كما تروه

أراد للشرّ فتح باب فأغلقوه و سمّروه

و لمّا كان يوم الخميس مستهلّ شهر ربيع الأوّل من سنة اثنتين و أربعين و سبعمائة أنعم قوصون على أحد و عشرين مملوكا من المماليك السلطانية بإمريات: منهم ستة طبلخاناه و البقيّة عشرات. و فى رابع عشر شهر ربيع الأوّل توجّه الأمير طوغان لإحضار الشهابىّ أحمد ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك محتفظا به لينفى إلى أسوان. و سبب ذلك أنّه ورد كتاب ملكتمر السّرجوانى نائب الكرك يتضمن أنّ أحمد المذكور خرج عن طوعه و كثر شغفه بشباب أهل الكرك و انهماكه فى معاقرة الخمر، و أنّه يخاف على نفسه منه أن يوافق الكركيين على قتله و طلب الإعفاء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۴

من نيابة الكرك. ثمّ فى يوم السبت سابع عشر شهر ربيع الأوّل المذكور خلع على الأمير طقزدمر الحموىّ نائب السلطنة بديار مصر بنيابة حماة عوضا عن الملك الأفضل ابن الملك المؤيّد الأيّوبى، و أنعم على الملك الأفضل بتقدمة ألف بدمشق، و أنعم على الأمير آقبغا عبد الواحد بإمرة بدمشق، و رسم لسفره [إليها]. و فى يوم الخميس ثانى عشرينه جلس السلطان الملك الأشرف كچك على تخت الملك و خلع على جميع الأمراء و أرباب الدولة بدار العدل. و قبّل الأمراء الأرض بين يديه ثم تقدّموا إليه على قدر مراتبهم و قبّلوا يده فكان عدّة الخلع فى هذا اليوم ألفا و مائتى خلعة.

ثم فى تاسع عشرينه ورد كتاب الشهابىّ أحمد ابن الملك الناصر محمد من الكرك بأنه لا يحضر إلى القاهرة حتى يأتيه أكابر الأمراء إلى الكرك و يحلّفهم، ثم يحضر إخوته من بلاد الصعيد إلى قلعة الكرك، و يحضر بعد ذلك، و ينتصب سلطانا فأجيب بأنه لم يطلب إلّا لشكوى النائب منه، و جهّزت له هدّية سنّية، و أنّه يحضر حتى تعمل المصلحة، فلم يكن بعد أيّام إلّا و حضر الأمير ملكتمر السّرجوانىّ نائب الكرك إلى القاهرة فى يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر، و أخبر الأمير قوصون و غيره بامتناع الشهابىّ أحمد من الحضور، و أنّه أقام على الخلاف، فاجتمع الأمراء بالقصر فى يوم الجمعة خامس عشرة للمشورة فى أمر أحمد المذكور، حتّى تقرّر الأمر على تجريد العساكر لأخذه.

ثم فى يوم السبت سادس عشره ابتدأت الفتنة بين الأمير قوصون و بين المماليك السلطانية، و ذلك أنّ قوصون أرسل يطلب من مقدّم المماليك مملوكا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۵

من طبقة الزّمرّذيّة جميل الصورة، فمنعه خشداشيته أن يخرج من عندهم، فتلطّف بهم المقدّم حتّى أخذه و مضى به إلى قوصون فبات عنده، ثم طلب من الغد نحو أربعة مماليك أخر أو خمسة، منهم شيخون و صرغتمش و أيتمش عبد الغنى، فامتنع خشداشيتهم من ذلك، و قام منهم نحو المائة مملوك، و قالوا: نحن مماليك السلطان، ما نحن مماليك قوصون، و أخرجوا الطواشى المقدّم من عندهم على أقبح وجه، فمضى المقدّم إلى قوصون و عرّفه الحال، فأخرج إليهم قوصون الأمير برسبغا الحاجب و شاورشى دواداره فى عدّة من مماليكه ليأتوه بهم، فإذا بالمماليك قد تعصّبوا مع كبارهم و خرجوا على حميّة يريدون الأمير بيبرس الأحمدىّ، فإذا به راكب، فمضوا إلى بيت الأمير چنكلى بن البابا فلقوه فى طريقهم؛ فقالوا له:

نحن مماليك السلطان مشترى ماله، فكيف نترك ابن أستاذنا و نخدم غيره، من هو مملوك مثلنا فينال غرضه منّا و يفضحنا بين الناس و جهروا له بالكلام الفاحش، فتلطّف بهم چنكلى فلم يرجعوا عما هم عليه فحنق منهم، و قال: أنتم الظالمون بالأمس و لمّا خرجتم قلت لكم: طقزدمر نائب السلطنة: ارجعوا إلى خدمة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۶

[ابن] أستاذكم قلتم: ما لنا ابن أستاذ غير قوصون، و الآن تشكوا منه! فاعتذروا له و مضوا به؛ و قد حضر الأحمدىّ فاجتمعوا به، و توجّهوا إلى منكلى بغا الفخرىّ فإذا قد وافاه برسبغا من عند قوصون، فأرادوا أن يوقعوا به فكفّهم الفخرىّ عنه، هذا و قوصون قد بلغه خبرهم، فأراد أن يخرج و يجمع الأمراء فما زال به من عنده حتّى سكن إلى بكرة النهار، فكانت تلك الليلة ليلة مهولة.

ثمّ طلب الأمير قوصون چنكلى و الأحمدىّ و الفخرىّ و بقيّة الأمراء إليه، و أغراهم بالمماليك السلطانيّة و خوّفهم عاقبة أمرهم من استخفافهم بالأمراء، فبعثوا بالأمير مسعود الحاجب إليهم ليحضرهم فإذا جمعهم قد كثف و كثر، فلم يلتفتوا إليه فعاد فخرج إليهم ألطنبغا المارداني و قطلوبغا الفخرىّ و هما أكبر الأمراء الخاصّكيّة من خشداشيتهم، و ما زالا بهم حتّى أخذا من وقع عليه الطلب، و دخلوا بهم إلى قوصون، فقبّلوا يده فقام لهم و قبّل رأسهم و طيّب خواطرهم و وعدهم بكلّ خير و انصرفوا، و فى ذهن قوصون أنّه قد حصل الصلح، و ذلك فى يوم السبت. فلمّا كان [ليلة] الاثنين وقت الغروب تحالف المماليك الناصريّة على قتل قوصون و بعثوا إلى من بالقاهرة منهم، فبات قوصون- و قد بلغه ذلك- على حذر، و ركب يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الآخر الموكب مع الأمراء تحت القلعة، و طلب أيدغمش أمير آخور، و أخذ قوصون يلوم الأمراء فى إقامته فى نيابة السلطنة، و هم يترضّوه و يعدوه بالقيام معه، فأدركه الأمير بيبرس الأحمدىّ و أعلمه بأنّ المماليك السلطانيّة قد اتفقوا على قتله، فمضى بهم (أعنى الأمراء) إلى جهة قبّة النصر فآرتجّت القلعة و قفلت أبوابها، و لبست

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۷

المماليك السلطانيّة السلاح بالقلعة و كسرو الزّردخاناه السلطانيّة، هذا و قد امتلأت الرّميلة بالعامّة، و صاحوا يا ناصريّة! نحن معكم، فأجابوهم من القلعة، فأشاروا لهم بالتوجّه إلى بيت قوصون فتوجّهوا نحوه و كسروا بابه و هجموا عليه، و كسروا من كان يرمى عليهم من أعلى البيت، و بلغ ذلك قوصون، فعاد بمن كان معه، و أوقعوا بالعامّة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۸

حتّى وصلوا إلى سور القلعة فرماهم المماليك من أعلى القلعة بالنّشّاب و أحموا العامّة، فقتل فى المعركة الأمير محمود صهر الأمير چنكلى بن البابا بسهم نشّاب من القلعة، و قتل معه آخر، و وصلوا حاشية قوصون إلى إسطبل قوصون، فقد بدأ النهب فيه، فقتلوا من العامّة جماعة كثيرة و قبضوا على جماعة، فلم تطق المماليك السلطانيّة مقاومة الأمراء فكفّوا عن القتال و فتحوا باب القلعة لهم، فطلع إليهم الأمير برسبغا الحاجب و أنزل ثمانية من أعيان المماليك السلطانيّة إلى قوصون. و قد وقف قوصون بجانب زاوية تقىّ الدين رجب تحت القلعة، فوسط قوصون منهم واحدا اسمه صربغا، فإنّه الذى فتح خزائن السلاح و ألبس المماليك، و أمر به قوصون فعلّق على باب زويلة، و أراد أن يوسّط البقيّة فشفع فيهم الأمراء، فحبسوا بخزانة شمائل مقيّدين. ثم رسم

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۹

قوصون بتسمیر عدّة من العوامّ فسمّر منهم تسعة علی باب زویلة، ثم أمر بالرکوب علی العامّة و قبضهم ففرّوا حتّی إنهم لم یقدروا منهم علی حرفوش واحد، ثم طلع قوصون إلی القلعة قریب العصر، و مدّ للأمراء سماطا فأکلوا و بقیت الأطلاب و الأجناد واقفة تحت القلعة إلی آخر النهار، فکان ذلک الیوم من الأیام المشهودة، و کان جملة من قتل فیه من الفئتین ثمانیة و خمسین رجلا و انصرف الناس.

ثم فی لیلة الثلاثاء طلع الأمیر برسبغا الحاجب إلی طباق الممالیک بالقلعة و معه عدّة من الممالیک و قبضوا علی مائة مملوک منهم و عملوا فی الحدید و حبسوا بخزانة شمائل، فمنهم من قتل و منهم من نفی من مصر. ثم فی یوم الثلاثاء تاسع عشر ربیع الآخر سمّر قوصون تسعة من العوام. ثم فی یوم الأربعاء عشرینه سمّر قوصون أیضا ثلاثة من الطواشیّة فی عدّة من الحرافیش علی باب زویلة، و سبب ذلک أنّ قوصون لما نزل من القلعة و مضی إلی قبّة النصر و قابلته الممالیک السلطانیّة أخذت الطواشیّة فی الصیاح علی نسائه و أفحشوا فی سبّهنّ، و استمر الطواشیّة فی التسمیر حتی مات أحدهم و شفع فی الاثنین. ثم عرض قوصون ممالیک الأطباق، و أنعم علی مائتین منهم بإقطاعات کبیرة، و عیّن جماعة منهم بإمریات. ثم أکثر قوصون من الإحسان إلیهم و بینما قوصون فی ذلک قدم علیه کتب نائب الشام و أمراء الشام.

و فیها کتب أحمد ابن السلطان الملک الناصر لهم مختومة لم تفکّ ففتحها قوصون فإذا فیها لنائب الشام أنه کاتب لنائب حلب الأمیر طشتمر الساقی حمص أخضر و غیره

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۰

و أنهم اتفقوا معه و أکثر من الشکوی من قوصون، فأوقف قوصون الأمراء علیها و ما زال بهم حتی وافقوه علی تجرید العسکر إلی الکرک.

و فی هذه الأیام ظهرت الممالیک التی کانت الفتنة بسببهم عند خشداشیّتهم، فسلّم صرغتمش إلی الأمیر ألطنبغا المارداني، و سلّم أیتمش إلی الأمیر أیدغمش أمیر آخور، و سلّم شیخون إلی الأمیر أرنبغا السّلاح دار، و هؤلاء الأمراء الثلاثة ناصریّة.

ثم أشیع بالقاهرة أنّ أحمد ابن الملک الناصر قد تحرّک من الکرک فی طلب المجیء إلی الدیار المصریّة، فکثر الاضطراب و وقع الشروع فی تجهیز العساکر صحبة الأمیر قطلوبغا الفخری، و استحلفه قوصون، و بعث إلیه بعشرة آلاف دینار، و عیّن معه أیضا الأمیر قماری أخا بکتمر الساقی و معهما أربعة و عشرون أمیرا، ما بین طبلخانات و عشرات، و أنفق علی الجمیع. ثم بعث قوصون إلی قطلوبغا الفخری بخمسة آلاف دینار أخری عند سفره و رکب لوداعه صحبة الأمراء، حتی نزل بالرّیدانیّة فی یوم الثلاثاء خامس عشرین ربیع الآخر، و کلّ ذلک فی سنة اثنتین و أربعین و سبعمائة.

هذا و الأمراء لم یکن منهم أحد راضیا بسفر هذه التجریدة، بل أشار الأمیر الحاج آل ملک و الأمیر چنکلی بن البابا علی قوصون بأنه لا یحرّک ساکنا فلم یقبل قوصون، و کانا أشارا علیه بأنّه یکتب إلی أحمد بن الناصر یعتبه علی مکاتبته لنائب الشام و غیره، فکتب إلیه بذلک فأجاب بأنّ طوغان أسمعه کلاما فاحشا و أغلظ علیه فی القول فحمله الحنق علی مکاتبة نائب الشام، و أنّ قوصون والده بعد والده و نحو ذلک، فلم یقنع قوصون ذلک، و جهّز العساکر لأخذه، و بعد خروج العساکر رکب الأمیر قوصون فی یوم الثلاثاء ثالث جمادی الأولی إلی سریاقوس و صحبته الأمراء علی عادتهم [توجه

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۱

السلطان ثم عاد]. و بعد مدّة یسیره ظهر للأمیر قوصون مخالفة الأمیر طشتمر الساقیّ نائب حلب المعروف بحمّص أخضر، و سبب مخالفته أنّه شقّ علیه إخراج أولاد استاذه الملک الناصر إلی الصعید، و أیضا تجهیز العساکر لقتال أحمد ابن الملک الناصر بالکرک، و کان قد بعث إلیه أیضا أحمد ابن الملک الناصر یشکو من قوصون، و أنه یرید القبض علیه و یطلب منه النّصرة علیه، فکتب طشتمر

إلى أمراء الديار المصريّة و إلى قوصون بالعتب، فقبض على قاصده بقطيا و سجن، و كتب قوصون إلى الأمير ألطنبغا الصالحىّ نائب الشام بأن الأمير طشتمر حمّص أخضر نائب حلب شرع يتكلم فى إقامة الفتنة و أنه لا يصغى إلى قوله، و بعث إليه بأشياء كثيرة من الهدايا و التحف فأجاب ألطنبغا نائب الشام بالسمع و الطاعة و الشكر و الثناء.

و لما تمّ لقوصون ذلك وقع بينه و بين الأمير أيدغمش أمير آخور، و كادت الفتنة تقوم بينهما و أغلظ أيدغمش لقوصون فى الكلام، و سببه أن بعض مماليك أمير على بن أيدغمش وشى إليه بأنّ قوصون قرر مع برسبغا الحاجب أن يبيت بالقاهرة و يركب فى عدّة من مماليك قوصون و يكبس على أيدغمش، فأخذ أيدغمش فى الاحتراز، و امتنع من طلوع القلعة أياما بحجة أنه متوعّك، و كان ذلك بعد أن تصالحا بعد تفاوضهما بمدّة يسيرة، و صار أيدغمش إذا سيّر قوصون النائب بالرّميلة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۲

فى أيام المواكب يغلق أيدغمش باب الإسطبل السلطانى، و يوقف طائفة من الأوجاقية عليه، فاشتهر الخبر بين الناس و كثرت الفالة، و بلغ قوصون تغير خاطر أيدغمش عليه، فخلف للأمراء أنه ما يعرف لتغيره سببا، فما زالت الأمراء بآيدغمش حتى طلع القلعة، و عرّف قوصون بحضرة الأمراء ما بلغه، فخلف قوصون على المصحف أن هذا لم يقع منه، و لا عنده منه خبر و تصالحا. و بعث إليه أيدغمش بعد نزوله إلى الإسطبل الناقل إليه فردّه قوصون إليه و لم يعاقبه.

ثم قدم الخبر بوفاة الأمير بشتك الناصرىّ المقدم ذكره بمحبسه بثغر الإسكندريّة، فاتّهم قوصون بقتله، و كان الأمير قوصون قد أنشأ قاعة لجلوسه مع الأمراء من داخل باب القلّة، و فتح فيها شبّاكا يطلّ على الدّركاه، و جلس فيه مع الأمراء، و مدّ سماطا بالقاعة المذكورة و زاد فى سماطه من الحلوى و الدّجاج و الإوزّ و نحو ذلك، و أكثر من الخلع و الإنعامات، و صار يجلس مع الأمراء بالقاعة المذكورة، فلمّا قدم الخبر بموت بشتك تغيّر خاطر جماعة كثيرة من الأمراء و غيرهم لموته، فما زال بهم قوصون حتّى صالحهم و حلف لهم.

ثم قدم الخبر من عبد المؤمن والى قوص بأن الملك المنصور أبا بكر وجد فى نفسه تغيّرا، و فى جسده توعّكا لزم الفراش منه أياما و مات، و اتّهم قوصون أيضا بأنّه أمر عبد المؤمن بقتله، فتغيّر لذلك خاطر الأمراء و المماليك الناصرية قاطبة و هم يوم ذاك عساكر الإسلام و من سواهم فقليل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۳

ثم قدم الخبر على قوصون بنزول العسكر الذى صحبة الأمير قطلوبغا الفخرىّ على مدينة الكرك و قد امتنعت منه و استعدّ أهلها للقتال، و كان الوقت شتاء فأقام العسكر نحو عشرين يوما فى شدّة من البرد و الأمطار و الثلوج و موت الدواب، و تسلط أهل الكرك عليهم بالسب و اللّعن و التّوبيخ و شنّوا الغارات عليهم و صاروا يقطعون قربهم و رواياهم؛ هذا و قوصون يمد الفخرىّ بالأموال و يحضّه على لزوم الحصار.

ثم قدم الخبر من دمشق بأن تمر الموسوىّ قدم من حلب و استمال جماعة من الأمراء إلى طشتمر الساقى حمّص أخضر نائب حلب، فكتب قوصون بالقبض عليه. ثم حمل قوصون تشريفا إلى نائب حلب المذكور فلم يرض نائب حلب بالتشريف و ردّه، و كتب إلى قوصون يعتبه على إخراج أولاد أستاذه إلى الصعيد، فأجابه قوصون بأعذار غير مقبولة.

ثم قدم الخبر على قوصون أيضا من شطّى أمير العرب بأنّ قطلوبغا الفخرى قد خامر على قوصون، و حلف لأحمد بن الناصر هو و من معه من الأمراء و أنّهم أقاموا أحمد سلطانا و لقّبوه بالملك الناصر؛ و ذلك بمكاتبة الأمير طشتمر الساقى نائب حلب له يعتبه على موافقة قوصون و قد فعل بأولاد أستاذه ما فعل، و يعزم عليه أنّه يدخل فى طاعة أحمد، و يقوم بنصرته، فصادف ذلك من الفخرى ضجره من الإقامة على حصار الكرك و شدّة البرد و عظم الغلاء، فجمع من معه و كتب إلى أحمد يخاطبه بالسلطنة و قرّر الصلح معه، و كتب لنائب حلب بذلك فأعاد جوابه بالشكر، و أعلمه بأن الأمير طقزدمر نائب حماة و أمراء دمشق قد وافقوه على القيام بنصرة

أحمد. و كان الأمير ألطنبغا الصالحىّ نائب الشام قد أحسّ بشىء من هذا فاحترس على الطّرقات، حتّى ظفر بقاصد طشتمر نائب حلب على طريق بعلبك و معه كتب فأخذها منه، و بعث بها إلى قوصون، فقدمت ثانى يوم ورود كتاب شطّى بمخابرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۴

الفخرى، فإذا فيها: «الملكى الناصرىّ» فاضطرب قوصون و جمع الأمراء و عرّفهم ما وقع و أوقفهم على الكتب، و ذكر لهم أنّه وصل منه إلى قطلوبغا الفخرى فى هذه السّفرة مبلغ أربعين ألف دينار سوى الخيل و القماش و التّحف. و رسم بإيقاع الحوطة على دور الأمراء المجرّدين مع الفخرى إلى الكرك، فما زال به الأمراء حتى كفّ عن ذلك.

و ألزم مباشريهم بحمل ما وصل إليهم و بجميع حواصلهم، و صار قوصون فى أمر مريج مما بلغه، و كتب إلى الأمير ألطنبغا الصالحى نائب الشام بخروجه لقتال طشتمر الساقى حمّص أخضر نائب حلب، و معه نائب حمص و نائب صفد و نائب طرابلس، و كتب إليهم قوصون بالسمع و الطاعة إلى طاعة نائب الشام، و حمل إليهم النفقات؛ فلما بلغ ألطنبغا الصالحى نائب الشام ذلك تجهّز و خرج من دمشق بعساكرها فى جمادى الآخرة فتلقّاه الأمير أرقطاى نائب طرابلس على حمص و صار من جملة عساكره، و أخبره بكتاب نائب حلب إليه يدعوه لموافقته و أنه ابى عليه. ثم بعث ألطنبغا نائب الشام إلى الأمير طقزدمر نائب جماة من استماله و حلّفه على طاعة الملك الأشرف كچك. و لما بلغ طشتمر حمص أخضر مجىء ألطنبغا نائب الشام إليه أرسل استدعى ابن دلغادر فقدم عليه فاتّفق معه على المسير إلى أبلستين، و سار به و معه ما خفّ من أمواله و أخذ أولاده و مماليكه فأدركه عسكر حلب، و قد وصل إليهم كتاب نائب الشام بالاحتراس عليه و منعه من الخروج من حلب، فقاتلوه عدّة وجوه فلم ينالوا منه غرضا، و قتل من الفريقين خمسة نفر و عادوا و أكثرهم جرحى. فلما وصل طشتمر إلى أبلستين كتب إلى أرتنا يستأذنه فى العبور إلى الروم فبعث إليه أرتنا بقاضيه و عدّة من ألزامه، و جهّز له الإقامات، فمضى طشتمر إلى قيصريّة، و قد توجّه أرتنا لمحاربة ابن دمرداش بعد أن رتب لطشتمر كلّ يوم ألفى درهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۵

و أما ألطنبغا الصالحىّ نائب الشام فإنّه قدم إلى حلب و كتب إلى قوصون يعلمه بتسحّب طشتمر نائب حلب إلى جهة الروم، و أنّه استولى على مدينة حلب، فقدم كتابه على قوصون فى يوم الأربعاء ثانى شهر رجب. ثم فى يوم الاثنين سابع رجب فرّق الأمير قوصون إقطاعات الأمراء المجرّدين مع قطلوبغا الفخرى الخارجين عن طاعة قوصون؛ و عدّتهم اثنان و ثلاثون أميرا، منهم أمراء طبلخانات ستة عشر، و أمراء عشرات ستة عشر، و أميران مقدمان: الفخرى و قمارى.

ثم فى يوم الثلاثاء تاسع عشرين رجب قدم الأمير الشيخ على بن دلنجى القازانىّ أحد أمراء العشرات المجردين، و أخبر بمسير قطلوبغا الفخرىّ من الكرك إلى دمشق، و أنّه يريد مواقعته مع ألطنبغا الصالحى نائب الشام، و كان من خبره أنّ الأمير ألطنبغا لما دخل حلب أخذ موجود طشتمر حمص أخضر و باعه، و بينما هو فى ذلك بلغه دخول قطلوبغا الفخرى بمن معه إلى دمشق، و أنّه دعا للناصر أحمد، و قد وافقه آق سنقر السّلّارى نائب غزة و أصلم نائب صفد و من تأخر من أمراء دمشق بها، مثل سنجر الجمقدار و تمر الساقى و أن آق سنقر نائب غزة وقف لحفظ الطرقات حتى لا يصل أحد من مصر إلى ألطنبغا الصالحى، و أن قطلوبغا أخذ فى تحصيل الأموال من دمشق للنفقة على الأمراء و الجند، و أن الأمير طقزدمر نائب حماة قدم عليه فى غد دخوله، و ركب الفخرى و تلقّاه و قوى بهم و استخدم جندا كثيرة و نادى بدمشق من أراد الإقطاع و النفقة فليحضر، و أخذ مالا كثيرا من التجّار، و أكره قاضى القضاة تقى الدين بن السبكى حتى أخذ مال الأيتام و أخذ أجر الأملاك و الأوقاف لثلاث سنين فجمع مالا عظيما، و أتته جماعات من الأجناد و التّركمان، و كتب أوراقا من ديوان الجيش بأسماء الأجناد البطالين، و أنعم على البطّالين بالخيل و القماش و السلاح، و حلّف الجميع للسلطان الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۶

قلاوون، و عمل برسمه العصائب السلطانيّة و السناجق الخليفتية و الكنابيش و السروج و الغاشية و القبّة و الطّير و سائر أبّهة السلطنة، و

كتب إلى الملك الناصر أحمد يعرّفه بذلك فأجابه الناصر بالشكر و الثناء، فلما سمع قوصون ذلك جمع الأمراء للمشورة فاتّفق الرأى على تجريد أمراء إلى غزة فتوجه برسبغا الحاجب و أمير محمود الحاجب و علاء الدين علىّ بن طغريل فى جماعة.

ثم كتب قوصون إلى ألطنبغا نائب الشام على يد أطلمش الكريمىّ بأن يسير من حلب إلى قتال الفخرى بدمشق، فتوجّه أطلمش الكريمى من البريّة لانقطاع الطريق حتّى وصل إلى حلب، و عرّف ألطنبغا الخبر، فخرج ألطنبغا بمن معه من العساكر و سار حتى قدم حمص، و قد خرج الفخرى من دمشق و نزل على خان لاچين و أمسك المضيق، و أقام الجبليّة و العشير على الجبلين و وقف هو بالعسكر فى وسط الطريق.

و أما ألطنبغا فإنّه جلّف من معه من العساكر و سار من حمص يريد الفخرى حتى قرب منه. و عدد الجمعين نحو ثلاثة عشر ألف فارس، فتمهّل ألطنبغا كراهية لسفك الدماء، و أرسل إلى الفخرى رسلا، و دام على ذلك ثلاثة أيام فلم يتمّ بينهما أمر، و بعث قطلوبغا الفخرى إلى جماعة من أصحاب ألطنبغا يعدهم [و يستميلهم] حتى وافقوه. فلمّا تعبت الرسل بينهم و مات العسكر من شدّة البرد بعث ألطنبغا فى الليل جماعة من أصحابه ليهجموا على الفحرى من ورائه، و يلقاهم هو من قدّامه، و ركب من الغد، فمال كلّ أمير بمن معه من أصحابه إلى جهة الفخرى، و صاروا من جملته، فلم يبق معه سوى أرقطاى نائب طرابلس و أسنبغا بن [بكتمر البوبكرى]

و أيدمر المرقبىّ من أمراء دمشق فانهزموا على طريق صفد إلى جهة غزة، و القوم فى أثرهم بعد أن كانت بينهم وقعة هائلة؛ انهزم فيها ألطنبغا نائب الشام.

ثم التفت الفخرى إلى جهة دمشق و ترك السير حلف ألطنبغا حتّى دخل دمشق مؤيّدا منصورا، و كتب فى الحال مع البريد إلى الأمير طشتمر الساقى حمّص أخضر نائب حلب يعرّفه بنصرته و يدعوه إلى الحضور من بلاد الروم، و أنّه فى انتظاره بدمشق. ثم حلف الفخرى و من معه للملك الناصر أحمد و أمر الخطباء فدعوا له على منابر دمشق و ضرب السّكّة باسمه.

و أمّا ألطنبغا الصالحى نائب دمشق فإنّه وصل إلى غزّة بمن معه فتلقّاهم الأمير برسبغا الحاجب و رفقته، و كتب ألطنبغا إلى قوصون بما وقع فلمّا بلغ قوصون الخبر قامت قيامته و قبض على أحمد شادّ الشرابخاناه و على قرطاى أستادار الفخرى.

ثم قدم على قوصون كتاب الفخرى يعتبه على إخراج أولاد أستاذه إلى قوص و قتل الملك المنصور أبى بكر، و أنّ الاتفاق وقع على سلطنة الملك الناصر أحمد، و يشير عليه بأن يختار بلدا يقيم بها حتى يسأل له السلطان الملك الناصر أحمد فى تقليده نيابتها، فقام قوصون و قعد لمّا سمع ذلك، و جمع الأمراء فوقع الاتفاق على تجهيز التّقادم للأمراء بغزة، فجهز قوصون لكل من ألطنبغا نائب الشام و أرقطاى نائب طرابلس ثلاثين بذلة قماش و ثلاثين قباء مسنجبة بطرازات زركش و مائتى خف و مائتى كلفتاه و كسوة لجميع مماليكهما و غلمانهما و حواشيهما، و جهز لكل من الأمراء الذين معهما ثلاث بذلات و أقبية بسنجاب و كسوة لمماليكهم و حواشيهم، و أخذ قوصون فى الإنعام على المماليك السلطانيّة، و أخرج ثلثمائة ألف دينار من الذخيرة لتجهيز أمره، حتى

يخرّج بالعساكر إلى الشام، و أخرج أربعمائة قرقل و عدة زرديّات و خوذ و غيرها.

و أنعم على جماعة من المماليك السلطانية بإمريات، و غير إقطاعات جماعة منهم.

ثم كتب قوصون إلى الأمراء بمسيرهم من غزّة إلى جهة القاهرة، و هيّأ لهم الإقامات و الخيول، و بعث إليهم بالحلاوات و الفواكه و سائر ما يليق بهم.

و بينما قوصون فى ذلك إذ ركب الأمراء عليه فى ليلة الثلاثاء تاسع عشرين رجب وقت العشاء الآخرة، و سبب ركوبهم عليه تنكّر قلوب الأكابر عليه لأمور بدت منه، منها: قتل الأمير بشتك الناصرىّ بغير ذنب، و هو أعزّ خشداشيته، و لم يكفه ذلك حتّى قتل الملك المنصور أبا بكر و هو ابن أستاذه، و كان يكفيه الخلع من الملك.

و منهـا قوّة الوحشـة بينه و بين الأمير أيـدغمش الناصـرىّ أمير آخور و هو أكبر خشداشـيته، فأخـذ أيـدغمش يـدبّر عليه. و غيّر خواطر جماعـة كثيرة عليه، إلى أن كان من انتصار قطلوبغا الفخرى على ألطنبغا الصالحى نائب الشام، و كان قوصون قـد احتفل لقدوم ألطنبغا نائب الشام و من معه احتفالا زائدا، و فتح ذخيرة السـلطان و أكثر من النفقات و الإنعامات حتى بلغت إنعاماته على الأمراء و الخاصّكيّة ستمائـة ألف دينار، فشاع بأنه يريـد يتسـلطن فخاف أيـدغمش و غيره من تحكّمه فى السـلطنة، و حرّض الأمراء الخاصّـكيّة حتى وافقه الأمير علاء الدين ألطنبغا المارداني و الأمير يلبغا اليحياوىّ فى عدّة من المماليك السلطانيّة، و جمع كثير من أكابر الأمراء، منهم: الأمير الحاجّ آل ملك و الأمير بـدر الـدين چنكلى بن البابا و اتفقوا الجميع أنهم يسـيروا جميعا إلى الكرك عنـد قـدوم ألطنبغا نائب الشام و خروجهم إلى لقائه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۹

فلما كان يوم الاثنين ركب الأمير قوصون فى الموكب تحت القلعة على العادة و طلب الأمير تلجك ابن أخته و أخرجه إلى لقاء الأمير ألطنبغـا الصـالحىّ نـائب الشـام، و قـد ورد الخبر بنزوله على بلبيس ليأتى به سـريعا، فوافاه و من معه إلى بلبيس، فسأله فى القـدوم إلى القاهرة بسـرعة، فلم يوافقه على السـرعة و قصد أن يكون حضوره فى يوم الخميس أوّل شعبان، و بات ليلة الثلاثاء على بلبيس و ركب من الغـد و نزل سـرياقوس، فبلغه ركـوب الأمراء على قوصـون، و أنه محصور بالقلعـة، فركب بمن معه الى بركـة الحـاج، و إذا بطلب قوصون و سـنجقه قد وافوه فى نحو مائة مملوك، و أعلموه أنّ فى نصف الليل ركبت الأمراء و احتاطت بإسـطبل قوصون، ثم حصروه فى قلعة الجبل، فخرجوا هم على حميّة حتى وصلوا إليهم؛ هذا ما كان من أمر ألطنبغا نائب الشام.

و أمّا أمر قوصون فإنّه لما بعث تلجك ليأتيه بالأمير ألطنبغا نائب الشام سريعا تحقّق أيدغمش و أصحابه أنّ قوصون فهم عنهم ما دبّروه فتواعـد الأمير أيدغمش مع من وافقه على أن يركبوا فى الليل إلى الكرك، فجهّز كلّ منهم حاله، حتى كان ثلث الليل فتح الأمراء باب السور من قلعة الجبل و نزلوا إلى الأمير أيدغمش بالإسطبل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۴۰

السـلطانىّ، ثم مضـى كـلّ واحـد إلى إسـطبله فلم ينتصف الليل إلا و عامـة الأمراء بأطلابهم فى سوق الخيل تحت القلعـة، و هم: الأمير ألطنبغا المارداني و يلبغا اليحياوىّ و بهادر الدّمرداشـى و الحاج آل ملك و الجاولى و قمارى الحسـنىّ أمير شـكار و أرنبغا و آق سنقر السّـلّارىّ، و بعثوا إلى إسـطبلات الأمراء مثـل چنكلى بن [محمـد بن] البابـا و بيبرس الأحمـدى و طرغـاى و قيـاتمر و الوزير و لبسـت ممـاليكهم و أخرجت أطلابهم، ثم خرج إليهم الأمير أيـدغمش بممـاليكه و من عنـده من الأوجاقيّة، و وقفـوا جميعـا ينتظرون نزول قوصون إليهم فأحسّ قوصون بهم و قـد انتبه فطلب الأمراء المقيمين بالقلعة فأتاه منهم اثنا عشـر أميرا، منهم چنكلى بن البابا و قياتمر و الوزير، و لبست مماليك قوصون التى كـانت عنـده بالقلعـة و سألته أن ينزل و يـدرك إسـطبله و يجتمع بمن فيه من مماليكه، و كانوا سبعمائـة مملـوك، و كـان قوصـون يغـترّ بهم و يقـول: إيش أبـالى بالأمراء و غيرهم، عنـدى سـبعمائة مملوك ألقى بهم كـلّ من فى الأرض، فلم يوافقهم قوصون على النزول لمـا سـبق فى القـدم. و أقام قوصون بالقلعـة إلى أن طلع النهار، فلمّا لم يظهر له حركـة طمع أيدغمش فيه، و أمر الأوجاقية أن تطلع إلى الطبلخاناه السلطانية

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۴۱

و أخرج لهم الكوسات، فدقّوا حربيّا. ثم نادى أيدغمش. معاشر أجناد الحلقة و مماليك السلطان و الأجناد [و] البطّالين يحضروا، و من ليس له فرس و ليس له سـلاح يحضـر و يأخذ له الفرس و السلاح و يركب معنا، و يقاتل قوصون، فأتاه جماعة كثيرة من أجناد الحلقة و المماليك ما بين لابس سلاح و راكب و بين ماش و على حمار. و أقبلت العامّة كالجراد المنتشر لما فى نفوسهم من قوصون، فنادى لهم أيدغمش يا كسابة:

عليكم بإسـطبل قوصون انهبوه فأحـاطوا به و مماليك قوصون من أعلاه ترميهم بالنشاب حتى أتلفوا منهم عـدّة كثيرة، فركب مماليك

يلبغا اليحياوىّ من أعلى بيت يلبغا.

و البيت المذكور هو الآن موضع مدرسة السلطان حسن. و كان بيت يلبغا يشرف على بيت قوصون، فلمّا طلعوا مماليك يلبغا اليحياوى تسلّطوا على مماليك قوصون

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۴۲

و رموا عليهم بالنّشّاب مساعدة للعوام، و خرجوا منهم جماعة كثيرة و حالوا بينهم و بين العامة، فهجمت العامّة عند ذلك إسطبل قوصون و نهبوا زردخاناته و حواصله و أمواله و كسروا باب قصره بالفئوس بعد مكابدة شديدة و طلعوا إلى القصر و نهبوا ما فيه، و قوصون ينظر ذلك من شباك القلعة و يقول: يا مسلمين! ما تحفظون هذا المال، إما أن يكون لى أو يكون للسلطان، فقال أيدغمش: هذا شكرانه للناس، و الذى عندك فوق من الجوهر و التّحف يكفى السلطان. و صار قوصون كلّما همّ للركوب بمماليكه كسّروا عليه الخاصكيّة و قالوا له: ياخوند غدا نركب و نقتل هؤلاء، و صاروا يهوّنوا عليه أمر أيدغمش و أصحابه لباطن كان لهم مع أيدغمش، حتى كان من أمره ما كان.

و لمّا هجمت العامة بيت قوصون خرجوا مماليكه منه على حميّة و شقّوا القاهرة و توجّهوا إلى عند الأمير ألطنبغا الصالحى نائب السام، فبعث أيدغمش فى أثرهم إلى ألطنبغا نائب الشام و من معه بالسلام عليهم، و أن يمنعوا مماليك قوصون من الاختلاط بهم، فإنّ الأمير يلبغا اليحياوى و الأمير آق سنقر قادمان فى جمع كبير لأخذ مماليك قوصون و حواشيه. فأمر ألطنبغا نائب الشام مماليك قوصون و تلجك و برسبغا الحاجب أن يكونوا على حدة، و لبسوا الجميع و أخذ الأمير برسبغا مماليك قوصون و جماعته إلى جهة الجبل، فلقيهم الأمير يلبغا اليحياوى بمن معه على بعد، و كان ذلك بعد ما امسك قوصون، فسار خلفهم إلى قرب إطفيح. و قيل فى أمر مماليك قوصون غير ذلك على ما سنذكره بعد القبض على قوصون.

و أمّا قوصون فإنه بقى واقفا بشبّاك القلعة و العامّة تنهب فى بيته فلم يمض إلا ساعات من النهار حتى نهب جميع ما فى إسطبله، و قوصون يضرب يدا على يد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۴۳

و يقول: يا أمراء! هذا تصرف جيّد، ينهب هذا المال جميعه، و كان أيدغمش قصد بذلك أن يقطع قلب قوصون. ثم بعث قوصون إلى أيدغمش يقول. إنّ هذا المال عظيم و ينفع المسلمين و السلطان، فكيف تفعل هذا و تنادى بنهبه؟ فردّ جوابه:

نحن قصدنا أنت و لو راح هذا المال و أضعافه، هذا كلّه و القلعة مغلّقة الأبواب، و جماعة قوصون يرمون من الأشرفيّة بالنّشّاب إلى أن قرب العصر، و العامّة تجمع نشّابهم و تعطيه لمن هو من جهة أيدغمش. فلما رأى قوصون أمره فى إدبار سلّم نفسه، و دخل عليه الأمير بلك الجمدار و ملكتمر السّرجوانى يأمراه أن يقيم فى موضع حتى يحضر ابن أستاذه من الكرك فيتصرّف فيه كما يختار، فلم يجد بدّا من الإذعان، و أخذ يوصى الأمير چنكلى بن البابا و أمير مسعود حاجب الحجّاب على أولاده، فأخذ و قيّد و مضوا به إلى البرج الذى كان بشتك فيه، و رسم عليه جماعة من الأمراء.

و كان الذى تولّى مسكه و حبسه چنكلى بن البابا و أمير مسعود الحاجب و أرنبغا أمير جاندار.

و أمّا الأمير ألطنبغا الصالحىّ نائب الشام و من معه فإن برسبغا و تلجك و القوصونيّة لمّا فارقوا ألطنبغا المذكور سار ألطنبغا و أرقطاى و الأمراء يريدون

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۴۴

القاهرة، و أشار ألطنبغا نائب الشام على أرقطاى نائب طرابلس أن يرد برسبغا و تلجك و القوصونية و يقاتل بهم أيدغمش، فإنّه ينضم إليه جميع حواشى قوصون و يأخذوا أيدغمش و يحرجوا قوصون و يقيموه كبيرا لهم أو يخرجوه إلى حيث يختار، و يقيموا سلطانا أو ينتظروا أحمد فلم يوافقه أرقطاى على ذلك لعفّته عن سفك الدماء. فلمّا أعيا ألطنبغا أمره سارا نحو القاهرة حتى وافيا أيدغمش و هو

واقف تحت القلعة بأصحابه فأقبل أيدغمش عليهما و عانقهما و أمرهما أن يطلعا إلى القلعة فطلعا.

ثم أرسل أيدغمش الأمير قازان و الأمير آق سنقر خلف برسبغا و تلجك و من معهما.

و جلس أيدغمش مع ثقمانه من الأمراء و قرّر معهم تسفير قوصون فى الليل إلى الإسكندريّة، و القبض على ألطنبغا الصالحى نائب الشام و على أرقطاى نائب طرابلس و من يلوذ بهما من الغد، فكان كذلك و قبض عليهم، و تسفير الأمير بيبرس الأحمدىّ و الأمير چنكلى بن البابا لإحضار السلطان الملك الناصر أحمد من الكرك.

ثم أخرج بالأمير قوصون من سجنه بقلعة الجبل فى ليلة الخميس مع مائة فارس حتّى أوصلوه إلى النيل و ركب البحر و مضى به إلى الإسكندرية فسجن بها على ما سيأتى ذكره.

و أمّا ما نهب لقوصون فى هذه الحركة فشىء كثير، فإنه كان فى حواصله من الذهب النّقد أربعمائة ألف دينار عين فى أكياس، و من الحوائص الذهب و الكلفتات الزركش و الأوانى فشىء لا ينحصر، و ثلاثة أكياس أطلس فيها فصوص و جواهر مثمّنة بما ينيف على مائة الف دينار، و مائة و ثمانون زوج بسط، منها ما طوله أربعون ذراعا و ثلاثون ذراعا، كلّها من عمل الروم و آمد و شيراز، و ستة عشر زوجا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۴۵

من عمل الشريف بمصر. و أربعة أزواج بسط حرير لا يقوم عليها لحسنها، فانحطّ سعر الذهب من كثرة ما نهب لقوصون، حتّى صرف بأحد عشر درهما الدينار ممّا صار و كثر فى أيدى الناس بعد ما كان الدينار بعشرين درهما، و لأنّ أيدغمش نادى بعد ذلك بالقاهرة و مصر أنّ من أحضر من العامة ذهبا لتاجر أو صيرفى أو متعيّش يقبض عليه و يحضر به إلى أيدغمش، فكان من معه منهم ذهب يأخذ فيه ما يدفع إليه من غير توقّف، فرخص سعر الذهب لذلك، و كثرت مرافعات الناس بعضهم لبعض فيما نهب، فجمع أيدغمش شيئا كثيرا من ذلك، فإن العامة يوم نهب إسطبل قوصون أخذوا من قصره حتّى سقوفه و أبوابه و رخامه و تركوه خرابا ثم مضوا إلى خانقاته بباب القرافة فمنعهم صوفيتها من النهب فما زالت العامّة تقاتلهم حتّى فتحوها، و نهبوا جميع ما فيها حتى سلبوا الرجال و النساء ثيابهم، فلم يدعوا لأحد شيئا، و قطعوا بسطها و كسروا رخامها و أخربوا بركتها، و أخذوا الشبابيك و خشب السقوف و المصاحف و شعّثوا الجدر، ثم مضوا إلى بيوت مماليك قوصون و هم فى حشد عظيم فنهبوها و خرّبوها و ما حولها، و تتبعوا حواشى قوصون بالقاهرة و الحكورة و بولاق و الزّريبة و بركة قرموط و باعت العامة السقوف و الأوانى بأخسّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۴۶

الأثمان و صارت العامة إذا أرادوا نهب أحد قالوا: هذا قوصونىّ!. فيذهب فى الحال جميع ماله، و زادت الأوباش فى ذلك حتى خرجوا عن الحدّ و شمل الخوف كلّ أحد، فقام الأمراء على أيدغمش و أنكروا عليه تمكين العامّة من النهب، فأمر لسبعة من الأمراء، فنزلوا إلى القاهرة، و العامّة مجتمعة على باب الصالحيّة فى نهب بيت القاضى الغورىّ الحنفىّ، فقبضوا على عدّة منهم و ضربوهم بالمقارع و شهّروهم فآنكفّوا عن نهب الناس. انتهى.

و أمّا أصل قوصون و اتصاله بالملك الناصر محمد بن قلاوون حتى صار ساقيه أعظم مماليكه هو و بكتمر الساقى، لأن قوصون كان ممن حضر إلى الديار المصريّة من بلاد التّرك صحبة [خوند] بنت أزبك خان التى تزوجها الملك الناصر محمد بن قلاوون و هو غير مملوك، فلمّا كان فى بعض الأيام طلع قوصون إلى القلعة فى خدمة بعض التّجار فرآه السلطان الملك الناصر فأعجبه، فقال للتاجر: لأىّ شىء ما تبيعنى هذا المملوك؟ فقال التاجر: هذا ما هو مملوك، فقال الملك الناصر: لا بدّ أن أشتريه، و وزن ثمنه مبلغ ثمانية آلاف درهم، و جهّز الثمن إلى أخيه صوصون إلى البلاد.

ثم أنشأه الملك الناصر و جعله ساقيا، ثم رقّاه حتى جعله أمير مائة و مقدّم ألف، و عظم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۴۷

عند الملك الناصر و حظى عنده و زوّجه بابنته و هى ثانية بنت زوّجها الملك الناصر لمماليكه فى سنة سبع و عشرين و سبعماية، و كان له عرس حفل، احتفل به الملك الناصر، و حمل الأمراء التقادم إليه فكان جملة التقادم خمسين ألف دينار. و لما كان يقع بينه و بين بكتمر الساقى منافسة يقول قوصون: أنا ما تنقّلت من الإسطبلات إلى الطّباق، بل اشترانى السلطان و جعلنى خاصّكيّا مقرّبا عنده دفعة واحدة، فكان الملك الناصر يتنوّع فى الإنعام على قوصون حتى قيل إنه دفع إليه مرة مفتاح ذردخانات الأمير بكتمر الساقى بعد موته، و قيمتها ستمائة ألف دينار، قاله الشيخ صلاح الدين الصفدىّ فى «تاريخه». ثم تزايد أمر قوصون حتى وقع له ما حكيناه. و استمرّ قوصون بسجن الإسكندرية هو و ألطنبغا الصالحى نائب الشام و غيرهما حتى حضر الملك الناصر أحمد من الكرك و جلس على كرسى الملك بقلعة الجبل حسب ما يأتى ذكره، اتّفق آراء الأمراء على قتل قوصون فجهّزوا لقتله شهاب الدين أحمد بن صبح إلى الإسكندريّة فتوجّه إليها و خنق قوصون و ألطنبغا نائب الشام و غيرهما فى شوّال سنة اثنتين و أربعين، و قيل فى ذى القعدة على ما يأتى بيان ذلك فى وقته.

و خلّف قوصون عدّة أولاد من بنت أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون.

و كان أميرا جليلا- كريما خيّرا شجاعا، و كان يعطى العطايا الهائلة، و كان إذا ركب للصيد فى أيام أستاذه يركب فى خدمته ثلث عسكر مصر، و كان يركب قدّامه بالقاهرة مائة نقيب، و كان أخوه صوصون أمير مائة و مقدّم ألف بالديار المصرية، و قيل أمير طلبخاناه. و كان وقع بين قوصون و بين تنكز نائب الشام، فلمّا قبض على تنكز و حمل إلى القاهرة ما عامله قوصون إلا بكل خير. و لما أمسك قوصون و قتل قال فيه الصلاح الصفدى:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۴۸

قوصون قد كانت له رتبة تسمو على بدر السما الزاهر

فحطّه فى القيد أيدغمش من شاهق عال على الطائر

و لم يجد من ذلّه حاجبا فأين عين الملك الناصر

صار عجيبا أمره كلّه فى أوّل الأمر و فى الآخر

و قال فى قوصون و فى واقعته عدّة من الشعراء من الشعر و البلاليق و الأزجال، و عملت الحلوانيّة مثاله فى حلاوة العلاليق، فقال فى ذلك جمال الدين إبراهيم الأديب المعمار:

شخص قوصون رأينا فى العلاليق مسمّر

فعجبنا منه لمّا جاء فى التسمير سكر

و لبعض عوامّ مصر قصيدة «كان و كان» أوّلها:

من الكرك جانا الناصر وجب معه أسد الغابه

و وقعتك يأمير قوصون ما كانت الّا كدّابه

و أشياء غير ذلك، و قد خرجنا عن المقصود و لنرجع إلى ذكر أيدغمش و ما فعله بمصر.

و أما أيدغمش فإنه استمرّ مدبّر الديار المصريّة و قام بأمر السلطان الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون و جمع الأمراء و خلع الملك الأشرف علاء الدين كچك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون من الملك فى يوم الخميس أوّل شعبان من سنة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۴۹

اثنتين و أربعين و سبعمائة، فكانت مدّة سلطنته على مصر خمسة أشهر و عشرة أيام، و لم يكن له فيها من السلطنة إلّا مجرّد الاسم، فقط و ليس له من الأمر شىء، و ذلك لصغر سنّه، و كان المتصرّف فى المملكة فى سلطنته الأمير قوصون. و كانت إذا حضرت العلامة أعطى قوصون الأشرف كچك فى يده قلما، و جاء الفقيه الذى يقرئه القرآن فيكتب العلامة و القلم فى يد الأشرف كچك، و استمر

الأشرف كچك بعد خلعه من السلطنة فى الدور السلطانية تحت كنف والدته و هو و والدته فى ذلّ و صغار و هوان مع من تسلطن من إخوته، لا سيّما مع أمّ الملك الصالح إسماعيل، فكانت فى كلّ قليل إذا توعّك ولدها الملك الصالح إسماعيل، و كان كثير الضعف تتّهم المذكورة أنها تتعمّد له بالسّحر و تأخذ جواريها و حواشيها و تعاقبهم، و أخذت منها جملة مستكثرة فدامت على هذا مدّة سلطنة الملك الصالح، حتى نزل مرّة إلى سرحة سرياقوس و بعث دسّ عليه أربعة خدّام طواشيّة فقتلوه على فراشه فى سنة ست و أربعين و سبعمائة، و له من العمر اثنتا عشرة سنة، و عظم مصابه على والدته، بل على الناس قاطبة. رحمه اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۵۰

ذكر ولاية الملك الناصر أحمد على مصر

السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون. تسلطن بعد خلع أخيه الأشرف كچك، و كان بويع بالسلطنة قبل خلع كچك أيضا و هو بقلعة الكرك حسب ما ذكرناه فى واقعة قطلوبغا الفخرى مع ألطنبغا الصالحىّ نائب الشام. و أمّ الملك الناصر هذا كان اسمها بياض، كانت تجيد الغناء و كانت من عتقاء الأمير بهادر آص رأس نوبة، و كانت تعرف بقومة، و كان للناس بها اجتماعات فى مجالس أنسهم، فلمّا بلغ السلطان الملك الناصر خبرها طلبها و اختصّ بها و حظيت عنده فولدت أحمد هذا على فراشه. ثم تزوّجها بعد ذلك الأمير ملكتمر السّرجوانىّ فى حياة الملك الناصر محمد. انتهى.

قلت: و الملك الناصر أحمد هذا هو الخامس عشر من ملوك الترك بالديار المصريّة و الثالث من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون. و الآن نذكر ما وقع بالديار المصريّة بعد خلع الأشرف كچك إلى حين دخول الملك الناصر هذا إليها من الكرك. و لمّا قبض أيدغمش على قوصون و خلع الملك الأشرف كچك من السلطنة حسب ما تقدّم ذكره بعث بالأمير چنكلى بن البابا و الأمير بيبرس الأحمدىّ و الأمير قمارى أمير شكار إلى الملك الناصر أحمد بالكرك و على يدهم كتب الأمراء يخبرونه بما وقع و يستدعونه إلى تخت ملكه. ثم جلس الأمير سيف الدين أيدغمش و الأمير ألطنبغا المارداني و الأمير بهادر الدمرداشى و الأمير يلبغا اليحياوىّ و استدعوا الأمراء فلما حضروا أمر أيدغمش بالقبض على ألطنبغا الصالحى الناصرى نائب الشام و على الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۵۱

أرقطاى نائب طرابلس و سجنا بقلعة الجبل و أمسكوا بعدهما سبعة أمراء أخر من أمراء الطبلخاناه و الأمير قياتمر أحد مقدمى الألوف و جركتمر بن بهادر أيضا من مقدّمى الألوف و عدّة أمراء أخر، حتى كانت عدّة من قبض عليه من الأمراء فى هذا اليوم خمسة و عشرين أميرا. ثم كتب الأمير أيدغمش إلى الأمير قطلوبغا الفخرى يعرفه بما وقع و يحرضه على الحضور صحبة السلطان الملك الناصر. ثم طلب أيدغمش جمال الدين يوسف والى الجيزة و خلع عليه بولاية القاهرة، فنزل إلى القاهرة فإذا بالعامّة فى نهب بيوت مماليك قوصون فقبض على عشرين منهم و ضربهم بالمقارع و سجنهم بعد ما شهّرهم، فاجتمعت الغوغاء و وقفوا لأيدغمش و صاحوا عليه: ولّيت على الناس واحد قوصونى ما يخلّى منا واحدا! و عرفوه ما وقع فبعث الأوجاقية فى طلبه فوجدوه بالصّليبة يريد القلعة فصاحت عليه الغوغاء: قوصونى! يا غيريّة على الملك الناصر، و رجموه من كلّ جهة، فقامت الجبليّة و الأوجاقية فى ردّهم فلم يطيقوا ذلك، و جرت بينهم الدماء، فهرب الوالى إلى إسطبل ألطنبغا المارداني، و حمته مماليك ألطنبغا من العامّة، فطلب أيدغمش الغوغاء و خيّرهم فيمن يلى فقالوا: نجم الدين الذى كان ولى قبل ابن المحسنى، فطلبه و خلع عليه فصاحوا بحياة الملك الصالح الناصر:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۵۲

اعزل عنا ابن رخيمة المقدّم و حمامص رفيقه، فأذن لهم فى نهبهما فتسارع نحو الألف منهم إلى دار ابن رخيمة بجانب بيت الأمير كوكاى فنهبوه و نهبوا بيت رفيقه ثم انكفّوا عن الناس.

و فى يوم الجمعة ثانى شعبان دعى على منابر مصر و القاهرة للسلطان الملك الناصر أحمد. و فى يوم الاثنين خامسه تجمّعت العامّة بسوق الخيل و معهم رايات صفر و تصايحوا بالأمير أيدغمش: زوّدنا لنروح إلى أستاذنا الملك الناصر و نجىء صحبته، فكتب لهم مرسوما بالإقامة و الرواتب فى كلّ منزلة. و توجهوا مسافرين من الغد.

و فى يوم الأربعاء سابع شعبان وصل الأمراء من سجن الإسكندريّة الذين كان سجنهم قوصون حتى أفرج عنهم أيدغمش، و هم الأمير ملكتمر الحجازىّ و قطليجا الحموىّ و أربعة و خمسون نفرا من المماليك الناصريّة. و كان قوصون لمّا دخل إلى الإسكندرية مقيّدا وافوه هؤلاء بعد أن أطلقوا فسلموا عليه سلام شامت فبكى قوصون و اعتذر لهم بما صدر منه فى حقّهم. و عند ما قدموا إلى ساحل مصر ركب الأمراء إلى لقائهم، و خرجت الناس لرؤيتهم فكان لقدومهم يوم مشهود، حتى طلعوا إلى القلعة فتلقّت خوند الحجازية بنت السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۵۳

زوّجها ملكتمر الحجازىّ بخدّامها و جواريها، و مغانيها تضرب بالدفوف و الشّبّابات فرحّابه، و معها أختها زوجة بشتك تساعدها بالفرح و هى شامتة بقوصون لكونه قتل زوجها بشتك الناصرىّ قبل تاريخه هذا. و أختها بنت الملك الناصر الأخرى زوجة قوصون بجانبها فى عويل و بكاء و صياح و لطم على قوصون. و قد افترق جوارى الملك الناصر و أولاده فرقتين، فرقة مع الحجازية و فرقة مع القوصونيّة، و العجب أن هذا الفرح و العزاء كان قبل ذلك بالعكس، فكان العزاء إذ ذاك فى بيت الحجازىّ، و الفرح فى بيت قوصون، و الآن العزاء فى بيت قوصون و الفرح فى بيت الحجازى و زوجة بشتك و إن كان فرط فى زوجها الفرط، فهى تساعد أختها الحجازيّة شماتة بقوصون، فحالها كقول من قال:

و ما من حبّه أحنو عليه و لكن بغض قوم آخرين

فآنظر إلى هذا الدهر و تقلباته بأسرع وقت من حال إلى حال، فنعوذ بالله من زوال النّعم.

ثم قدم بعد ذلك كتب الأمراء المتوجّهين إلى الكرك لإحضار الملك الناصر، أنهم لمّا قربوا من الكرك بعث كلّ منهم مملوكه يعرّف السلطان الملك الناصر بحضورهم إلى الكرك فبعث إليهم الملك الناصر رجلا نصرانيّا من نصارى الكرك يقول: يا أمراء، السلطان يقول لكم: إن كان معكم كتب فهاتوها أو مشافهة فقولوها، فدفعت الكتب إلى النصرانىّ فمضى بها ثم عاد من آخر النهار بكتاب مختوم و قال عن السلطان: سلّم على الأمراء و عرّفهم أن يقيموا بغزّة حتّى يرد عليهم ما يعتمدوه. و حضر مملوك من قبله يأمر الأمير قمارى بالإقامة على ناحية

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۵۴

صافيثا، ثم بعث إلى الأمراء بخاتم و كتاب يتضمّن إقامتهم على غزّة و الاعتذار عن لقائهم، فعاد چنكلى و الأحمدى إلى غزّة و توجّه قمارى إلى ناحية صافيثا، فلمّا وقف الأمير أيدغمش على ذلك كتب من فوره إلى الأمير قطلوبغا الفخرىّ يسأله أن يصحب السلطان الملك الناصر فى قدومه إلى مصر ليجلس على تخت ملكه. ثم كتب أيدغمش للامراء بغزّة بالإقامة بها فى انتظار السلطان، و عرّفهم بمكاتبة الفخرىّ و أخذ أيدغمش فى تجهيز أمور السلطنة، و أشاع قدوم السلطان خوفا من إشاعة ما عامل الناصر أحمد به الأمراء فيفسد عليه ما دبّره، فلما قدم البريد بكتاب أيدغمش إلى دمشق وافى قدوم كتاب السلطان أيضا من الكرك يتضمّن القبض على طرنطاى البجمقدار و الأمير طينال، و حمل مالهم إلى الكرك. و كان قطلوبغا الفخرى قد ولّى طينال نيابة طرابلس و طرنطاى نيابة حمص فاعتذر الفخرى بأنّ طينال فى شغل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۵۵

بحركة الفرنج، و أشار عليه بألّا يحرّك ساكنا فى هذا الوقت، و سأله سرمة حضور السلطان ليسير بالعساكر فى ركابه إلى مصر، و أكثر الفخرى من مصادرة الناس بدمشق. ثم قدم الأمير طشتمر الساقى المعروف بحمّص أخضر نائب حلب كان من بلاد الروم إلى الشام

فتلقاه الفخرى و أنزله فى مكان يليق به، و كان فى كتاب الناصر أنه لا يخرج من الكرك حتّى يحضر الأمير طشتمر من بلاد الروم، فكتب الفخرى بحضوره إلى الناصر و أنّه يسرع فى مجيئه إلى دمشق. و أخذ الفخرى أيضا فى تجهيز ما يحتاج السلطان إليه، و فى ظنه أنّ السلطان يسير إليه بدمشق فيركب فى خدمته بالعساكر إلى مصر، فلم يشعر الفخرى إلّا و كتاب السلطان قد ورد عليه مع بعض الكركيين يتضمّن أنّه يركب من دمشق ليجتمع مع السلطان على غزّة فشقّ ذلك عليه و سار من دمشق بعساكرها و بمن استخدمه حتّى قدم غزة فى عدّة كبيرة فتلقّاه الأمير چنكلى و الأحمدى و قمارى أمير شكار.

و أمّا أمر الديار المصريّة فإنّ الأميرين يلبغا اليحياوى و ملكتمر الحجازىّ تفاوضا فى الكلام حتّى بلغا إلى المخاصمة، و صار لكل منهما طائفة و لبسوا آلة الحرب فتجمّعت الغوغاء تحت القلعة لنهب بيوت من عساه ينكسر من الأمراء، فلم يزل الأمير أيدغمش بالأمراء حتّى انكفوا عن القتال، و بعث إلى العامة عدّة من الأوجاقيّة فقبضوا على جماعة منهم و أودعهم بالسجن.

ثم فى يوم الخميس سابع شهر رمضان قدم أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون من قوص إلى القاهرة، و عدّتهم ستة فركب الأمراء إلى لقائهم و هرعت العامّة إليهم فخرجوا من الحرّاقة و ركبوا الخيول إلى القرافة حتى جاءوا تربة جركتمر صاحت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۵۶

العامّة هذه تربة الذى قتل أستاذنا الملك المنصور و هجموها و أخذوا ما فيها و أخربوها حتى صارت كوم تراب، فلمّا وصل أولاد السلطان تحت القلعة وافاهم الأمير جمال الدين يوسف والى القاهرة كان، فنزل و قبّل ركبة رمضان ابن الملك الناصر فرفسه برجله و سبّه و قال له: أتنسى و نحن فى الحرّاقة عند توجّهنا إلى قوص و قد طلبنا مأكلا من الجيزة فقلت خذوهم و روحوا إلى لعنة اللّه ما عندنا شىء! فصاحت بهم العامّة: باللّه مكّنا من نهبه، هذا قوصونىّ! فأشار بيده أن انهبوا بيته فتسارعوا فى الحال إلى بيته المجاور لجامع الظاهر بالحسينيّة، حتّى صاروا منه إلى باب الفتوح، فقامت إخوته و من يلوذ به فى دفع العامة بالسلاح، و بعث الأمير أيدغمش أيضا لجماعة ليردّوهم عن النهب، و خرج إليهم نجم الدين والى القاهرة، و قد تقاتل القوم حتّى كفّهم عن القتال فكان يوما، مهولا، قتل فيه من العامّة عشرة رجال، و جرح خلق كثير و لم ينتهب شىء.

ثم قدم الخبر من غزّة بقدوم الفخرى و طقزدمر إلى غزّة و اجتماعهم مع چنكلى و الأحمدى و قمارى، و هم فى انتظار السلطان، و أنّ الأمير أيدغمش يحلّف جميع أمراء مصر و عساكرها للملك الناصر على العادة، فجمعوا بالميدان. فأخرجت نسخة اليمين المحضّرة، فإذا هى تتضمّن الحلف للسلطان ثم للأمير قطلوبغا الفخرى فتوقّف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۵۷

الأمراء عن الحلف لقطلوبغا الفخرى، حتى ابتدأ الأمير أيدغمش فحلف فتبعه الجميع خوفا من وقوع الفتنة.

و أمّا أمر الفخرى و الأمراء فإنّهم لما وصلوا إلى غزّة جمع لهم نائبها آق سنقر الإقامات من الشعير و الغنم. ثم كتب الأمراء جميعا إلى الملك الناصر بقدومهم إلى غزّة و عرّفوه بذلك و استحثوه على سرعة الحضور صحبة مماليكهم و الأمير قمارى أمير شكار، فساروا إلى الكرك، و كان قد سبقهم إلى الكرك الأمير يحيى بن طايربغا صهر الأمير أيدغمش يستحثّ الملك الناصر أيضا على المسير الى مصر، فأقاموا جميعا ثلاثة أيام لم يؤذن لهم فى دخول المدينة. ثم أتاهم كاتب نصرانىّ و بازدار يقال له أبو بكر و يوسف بن النصّال و هؤلاء الثلاثة هم خاصّة الملك الناصر أحمد من أهل الكرك، فسلّموا عليهم و طلبوا ما معهم من الكتب، فشقّ ذلك على الأمير قمارى و قال لهم: معنا مشافهات من الأمراء للسلطان، لا بدّ من الاجتماع به، فقالوا:

لا يمكن الاجتماع به، و قد رسم إن كان معكم كتاب أو مشافهة فأعلمونا بها، فلم يجدوا بدّا من دفع الكتب إليهم، و أقاموا إلى غد فجاءتهم كتب مختومة و قيل للأمير يحيى بن طايربغا: اذهب إلى عند الأمراء بغزّة فساروا عائدين إلى غزة، فإذا فى الكتب الثناء على الأمراء و أن يتوجهوا إلى مصر، فإن السلطان يقصد مصر بمفرده، فتغيّرت خواطر الأمراء و قالوا و طالوا، و خرج الفخرىّ عن الحدّ و أفرط به الغضب، و عزم على الخلاف، فركب إليه طشتمر حمّص أخضر و الأمير چنكلى ابن البابا و الأمير بيبرس الأحمدى، و ما زالوا

به حتّى كفّ عمّا عزم عليه، و وافق على المسير، و كتبوا بما كان من ذلك إلى الأمير أيدغمش، و توجّهوا جميعا من غزّة يريدون مصر. و كان أيدغمش قد بعث ابنه بالخيل الخاصّ إلى السلطان، فلمّا وصل إلى الكرك أرسل السلطان من أخذ منه الخيل، و رسم بعوده إلى أبيه،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۵۸

و أخرج رجلا من الكرك يعرف بأبى بكر البازدار و معه رجلان ليبشّروا بقدومه، فوصلوا إلى الأمير أيدغمش فى يوم الاثنين خامس عشرينه، و بلّغوه سلام السلطان و عرّفوه أنّه كان قد ركب الهجن و سار على البريّة صحبة العرب، و أنه يصابح أو يماسى، فخلع عليهم و بعث بهم إلى الأمراء، فأعطاهم كلّ أمير من الأمراء المقدّمين خمسة آلاف درهم، و أعطاهم بقيّة الأمراء على قدر حالهم، و خرج العامّة إلى لقائه.

فلمّا كان يوم الأربعاء سابع عشرين شهر رمضان قدم قاصد السلطان إلى الأمير أيدغمش بأنّ السلطان يأتى ليلا من باب القرافة، و أمر أن يفتح له باب السرّ حتى يعبر منه، ففتحه و جلس أيدغمش و ألطنبغا المارداني حتى مضى جانب من ليلة الخميس ثامن عشرينه أقبل السلطان فى الليل فى نحو العشرة رجال من أهل الكرك، و قد تلثّم و عليه ثياب مفرّجة فتلقوه و سلّموا عليه، فلم يقف معهم، و أخذ جماعته و دخل بهم، و رجع الأمراء و هم يعجبون من أمره، و أصبحوا و قد دقّت البشائر بالقلعة و زيّنت القاهرة و مصر، و استدعى السلطان أيدغمش فى بكرة يوم الجمعة، فدخل عليه و قبّل له الأرض فاستدناه و طيّب خاطره، و قال له: أنا ما كنت أتطلع إلى الملك و كنت قانعا بذلك المكان، فلمّا سيّرتم فى طلبى ما أمكننى إلا أن أحضر كما رسمتم، فقام أيدغمش و قبّل الأرض ثانيا، ثم كتب عن السلطان إلى الأمراء الشاميّين يعرّفهم بقدومه إلى مصر و أنه فى انتظارهم، و كتب علامته بين الأسطر: «المملوك أحمد بن محمد». و كتب إليهم أيدغمش كتابا، و خرج مملوكه بذلك على البريد فلقيهم على الورّادة فلم يعجبهم هيئة عبور السلطان إلى مصر، و كتبوا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۵۹

إلى أيدغمش أن يخرج إليهم هو و الأمراء إلى سرياقوس ليتفقوا على ما يفعلوه.

فلمّا كان يوم عيد الفطر منع السلطان الأمراء من طلوع القلعة، و رسم لكلّ أمير أن يعمل سماطه فى داره، و لم ينزل السلطان لصلاة العيد، و أمر الطواشى عنبر السّحرتى مقدّم المماليك و نائبه الطواشى الإسماعيلى أن يجلسا على باب القلعة و يمنعا من يدخل عليه، و خلا بنفسه مع الكركيين. و كان الحاج علىّ «إخوان سلّار» إذا أتى بطعام للسلطان على عادته خرج إليه يوسف و أبو بكر البازدار و أطعماه ششنى الطعام و تسلّما السّماط منه و عبرا به إلى السلطان، و يقف الحاجّ على «إخوان سلّار» بمن معه حتى يخرج إليهم الماعون.

و حكى الرئيس جمال الدين بن المغربى رئيس الأطباء أنّ السلطان استدعاه و قد عرض له وجع فى رأسه فوجده جالسا و بجانبه شابّ من أهل الكرك جالس، و بقية الكركيين قيام فوصف له ما يلائمه و تردّد إليه يومين و هو على هذه الهيئة. انتهى.

ثم فى يوم الأحد تاسع شوّال قدم الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخرى و الأمير طشتمر الساقى حمّص أخضر و جميع أمراء الشام و قضاتها و الوزراء و نوّاب القلاع فى عالم كبير حتى سدّوا الأفق و نزل كثير منهم تحت القلعة فى الخيم، و كان خرج إلى لقائهم الأمير أيدغمش و الحاجّ آل ملك و الجاولى و ألطنبغا المارداني و غيرهم، و أخذ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۶۰

الفخرى يتحدّث مع أيدغمش فيما عمله السلطان من قدومه فى زىّ العربان و اختصاصه بالكركيين، و إقامة أبى بكر البازدار حاجبه، و أنكر عليه ذلك غاية الإنكار، و طلب من الأمراء موافقته على خلعه و ردّه إلى مكانه، فلم يمكّنه طشتمر حمص أخضر من ذلك، و ساعده الأمراء أيضا، و ما زالوا به حتى أعرض عمّا همّ به، و وافق الأمراء على طاعته. فلما كان يوم الاثنين عاشره لبس السلطان شعار

السلطنة و جلس على تخت الملك، و حضر الخليفة الحاكم بأمر اللّه أبو العباس أحمد و قضاة مصر الأربعة و قضاة دمشق الأربعة، و جميع الأمراء و المقدمين و بايعه الخليفة بالسلطنة و قبّلوا الأرض بين يديه على العادة. ثم قام السلطان على قدميه فتقدّم الأمراء و باسوا يده واحدا بعد واحد على قدر مراتبهم، و جاء الخليفة بعدهم و قضاة القضاة ما عدا القاضى حسام الدين الغورىّ الحنفىّ، فإنه لمّا طلع مع القضاة و جلسوا بجامع القلعة حتّى يؤذن لهم على العادة جمع عليه [طبّاخ المطبخ السلطانىّ] بعض صبيان المطبخ جمعا من الأوباش لحقد كان فى نفسه منه عند ما تحاكم هو و زوجته عنده قبل ذلك، فأهانه القاضى المذكور، فلمّا وجد الطباخ الفرصة هجم عليه بأوباشه و مدّ يده إلى الغورىّ من بين القضاة و أقاموه و حرقوا عمامته فى حلقه و قطعوا ثيابه و هم يصيحون: يا قوصونىّ! ثم ضربوه بالنعال ضربا مبرّحا، و قالوا له: يا كافر يا فاسق! فارتجّت القلعة، و أقبل علم دار حتى خلّصه منهم و هو يستغيث يا مسلمين! كيف يجرى هذا على قاض من قضاة المسلمين؟ فأخذ المماليك جماعة من تلك الأوباش و جروهم إلى الأمير أيدغمش فضربهم و بعث طائفة من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۶۱

الأوجاقية، ساروا بالغورى إلى منزله و لم يحضر الموكب و ثارت العامّة على بيته بالمدرسة الصالحية و نهبوه، فكان يوما شنيعا.

ثم فى يوم الخميس ثالث عشره عمل السلطان موكبا آخر و خلع على سائر الأمراء قاطبة، و أنعم على الأمير طشتمر حمّص أخضر بعشرة آلاف دينار و على الأمير قطلوبغا الفخرى بما حضر معه من البلاد الشامية و هو أربعة آلاف دينار و مائة ألف درهم فضّة، و نزل فى موكب عظيم بمن حضر صحبته من أمراء البلاد الشامية و هم الأمير سنجر الجمقدار و تمر الساقى و طرنطاى البجمقدار و آقبغا عبد الواحد و تمر الموسوى و ابن قراسنقر و أسنبغا بن البوبكرى و بكنمر العلائى و أصلم نائب صفد. ثم طلب السلطان الوزير نجم الدين، و رسم له أن يكون يوسف البازدار و رفيقه مقدمى البازداريّة، و مقدمى الدولة، و خلع السلطان عليهما كلفتاه زركش و أقبية طردوحش بحوائص ذهب، فحكما مصر فى الدولة و تكبّرا على الناس و سارا بحمق زائد.

ثم فى يوم السبت خامس عشره خلع على الأمير طشتمر الساقى حمّص أخضر باستقراره فى نيابة السلطنة بالديار المصريّة فتوّجه بخلعته و باشر النيابة، و جلس و الحجاب قيام بين يديه و الأمراء فى خدمته. و فى يوم الاثنين سابع عشره أخرج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۶۲

السلطان عبد المؤمن بن عبد الوهاب السّلامى والى قوص من السجن، و رسم بتسميره فسمّر على باب البيمارستان المنصورىّ بمسامير جافية شنيعة، و طيف به مدّة ستة أيام و هو يحادث الناس فى الليل بأخباره، و مما حدّثهم به أنه هو الذى كان وثب على النشو ناظر الخاصّ و ضربه بالسيف، حسب ما ذكرناه فى ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاوون من أمر النشو، و أنّه لما سقطت عمامته عن رأسه ظنّها رأسه.

و كان إذا قيل له: اصبر يا عبد المؤمن، فيقول: أسأل اللّه الصبر، و ينشد كثيرا قوله

يبكى علينا و لا نبكى على أحد لنحن أغلظ أكبادا من الإبل

و كان السبب لقتله و مثلته هذه أنه قتل الملك المنصور أبا بكر بن الناصر محمد بقوص بأمر قوصون، ثم شنق بعد ذلك فى يوم السبت ثانى عشرين شوّال على قنطرة السدّ و أكلته الكلاب. ثم قبض السلطان على أحد و عشرين أميرا و أخرجهم إلى الإسكندريّة صحبة الأمير طشتمر طلليه.

ثم فى يوم الخميس سابع عشرينه خلع على الأمير الحاجّ آل ملك بنيابة حماة عوضا عن طقزدمر الحموىّ و على بيبرس الأحمدى و استقرّ فى نيابة صفد عوضا عن أصلم الناصرى و على آق سنقر، و استقر نائب غزّة على عادته. و فى مستهلّ ذى القعدة خلع على الأمير قطلوبغا الفخرى بنيابة دمشق و على الأمير أيدغمش أمير آخور بنيابة حلب. ثم فى يوم الثلاثاء ثانيه استقرّ قمارى أمير شكار أمير آخور عوضا عن أيدغمش؛ و استقرّ أحمد شادّ الشّربخاناه أمير شكار، و استقرّ آقبغا عبد الواحد فى نيابة حمص. ثم أنعم السلطان على

الأمير زين الدين قراجا بن دلغادر بإنعامات

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۶۳

كثيرة و كتب له بالإمرة على التّركمان و نيابة أبلستين. و فى يوم الأحد سابع ذى القعدة خرج الأمير أيدغمش متوجّها إلى نيابة حلب. و فى يوم الاثنين خامس عشره خرج الأمير قطلوبغا الفخرى متوجّها إلى نيابة دمشق و معه من تأخّر من عساكر الشام، و خرج الأمير نائب السلطنة بالقاهرة لوداعه و جميع الأمراء و مدّ له سماطا عظيما.

و لما توجّه الفخرى و أيدغمش و غيرهما من الديار المصرية و بقى الأمير طشتمر الساقى حمص أخضر نائب السلطنة بالقاهرة قبض عليه السلطان بعد خروج الفخرى بخمسة أيام، و ذلك فى يوم السبت العشرين من ذى القعدة.

و سبب القبض على طشتمر أنه بقى يعارض السلطان بحيث إنه كان يردّ مراسيمه و يتعاظم على الأمراء و الأجناد تعاظما زائدا، و كان إذا شفع عنده أحد من الأمراء فى شفاعة لا يقبلها، و كان لا يقف لأمير إذا دخل عليه، و إذا أتته قصّة عليها علامة السلطان بإقطاع أو غيره أخذ ذلك منه و طرد من هى باسمه، و أخرق به، و قرّر مع السلطان أنه لا يمضى من المراسيم إلّا ما يختاره، و رسم للحاجب بألّا يقدّم أحد قصّة للسلطان إلّا أن يكون حاضرا، فلم يتجاسر أحد أن يقدّم قصّة للسلطان فى غيبته. و أخذ إقطاع الأمير بيبرس الأحمدى و تقدمته لولده، فكرهته الناس، و صارت أرباب الدولة و أصحاب الأشغال كلّها فى بابه، و تقرّبوا إليه بالهدايا و التّحف، و انفرد بتدبير الملك، و حطّ على الكركيين و منعهم من الدخول على السلطان، فلم يتهيّأ له ذلك. و كان ناصر الدين المعروف بفار السّوق قد توصّل إلى الكركيين حتى استقرّ إمام السلطان يصلّى به الخمس و ناظر المشهد النّفيسىّ عوضا عن تقىّ الدّين على بن القسطلانىّ خطيب جامع عمرو و جامع القلعة، و خلع عليه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۶۴

السلطان بغير علم طشتمر النائب، فبعث إليه طشتمر عدّة نقباء و نزع الخلعة من عليه و سلّمه إلى المقدّم إبراهيم بن صابر، و أمر بضربه و إلزامه بحمل مائة ألف درهم، فضربه ابن صابر ضربا مبرّحا و استخرج منه أربعين ألف درهم. ثم أفرج عنه بشفاعة أيدغمش و الفخرى فيه بعد ما أشهد عليه أنه لا يطلع القلعة. ثم أخذ قصير معين من مباشرى قوصون و أحاط بما فيه من القنود و الأعسال و السكّر و غير ذلك، فعظم ما فعله على السلطان و على الأمراء، فإنه خرج عن الحدّ، إلى أن قرر السلطان مع مقدّم المماليك عنبر السّحرتى و الأمير آق سنقر السّلّارى فى القبض على طشتمر و على قطلوبغا الفخرى، و أن ستدعى مماليك بشتك و قوصون و ينزلهم بالأطباق من القلعة و يعطيهم إقطاعات بالحلقة ليصيروا من جملة مماليك السلطان خوفا من حركة طشتمر النائب.

ثم رتّب السلطان عنده مماليك بداخل القصر للقبض على طشتمر أيضا. و كان مما جدّد طشتمر فى نيابته أن منع الأمراء أن تدخل مماليكها إلى القصر، و بسط من باب القصر بساطا إلى داخله كما كان فى الأيام الناصريّة فصار الأمير لا يدخل إلى القصر إلّا بمفرده، فكان ما دبّره عليه. ثم دخل هو أيضا بمفرده و معه ولداه إلى القصر، و جلس على السّماط على العادة، فعند ما رفع السماط قبض كشلى السلاحدار أحد المماليك السلطانية و كان معروفا بالقوّة على كتفيه من خلف ظهره قبضا عنيفا.

ثم بدر إليه جماعة من المماليك و أخذوا سيفه و قيّدوه و قيدوا ولديه، و نزل أمير مسعود الحاجب فى عدّة من المماليك السلطانية فأوقع الحوطة على بيته و أخذ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۶۵

مماليكه فسجنهم. ثم خرج فى الحال ساعة القبض على طشتمر الأمير ألطنبغا المارداني و الأمير أرنبغا أمير سلاح و معهما من أمراء الطبلخاناه و العشرات نحو خمسة عشر أميرا و معهم أيضا من المماليك السلطانية و غيرهم ألف فارس، و توجّهوا ليقبضوا على الأمير قطلوبغا الفخرى، و كتب للأمير آق سنقر الناصرى نائب غزّة بالركوب معهم بعسكره و جميع من عنده و من هو فى معاملته، و كان الفخرى قد ركب من الصالحية، فبلغه مسك طشتمر و مسير العسكر إليه من هجّان بعث به إليه بعض ثقاته، فساق إلى قطّيا و أكل بها

شيئا، ثم رحل مسرعا حتى دخل العريش فإذا آق سنقر بعسكره فى انتظاره على الزعقة، و كان ذلك وقت الغروب فوقف كلّ منهما تجاه صاحبه. حتى أظلم الليل سار الفخرى بمن معه و هم ستون فارسا على البريّة، فلمّا أصبح آق سنقر علم أن الفخرى فاته، و مال أصحابه على أثقال الفخرى فنهبوها و عادوا إلى غزّة. و استمرّ الفخرى سائرا ليلته، و من الغد حتّى انتصف النهار و هو سائق فلم يتأخّر معه إلا سبعة فرسان، و مبلغ أربعة آلاف و خمسمائة دينار، و قد وصل يبنى و عليها الأمير أيدغمش و هو نازل فترامى عليه، و عرّفه بما جرى و أنه قطع خمسة عشر بريدا فى مسير يوم واحد، فطيّب أيدغمش خاطره و أنزله فى خيمة و قام له بما يليق به، فلمّا جنّه الليل أمر به فقيّد و هو نائم و كتب بذلك إلى السلطان مع بكا الخضرى، و كان السلطان لمّا بلغه هروب الفخرى تنكّر على الأمراء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۶۶

و اتّهمهم بالمخامرة عليه، و همّ فى يوم الاثنين أن يمسكهم، فتأخّر عن الخدمة الجاولى فى يوم الاثنين المذكور، و هو تاسع عشرين ذى القعدة و تأخّر معه جماعة كبيرة. فلمّا كان وقت الظهر بعث لكل أمير طائر إوزّ مشوىّ و سأل عنهم؛ ثم بعث إليهم آخر النهار أن يطلعوا من الغد. فجاء بكا الخضرى عشيّة يوم الثلاثاء مستهلّ ذى الحجّة، و معه البشارة بالقبض على سيف الدين قطلوبغا الفخرى، فسرّ السلطان بذلك، و كتب بحمله إلى الكرك. فلمّا طلع الأمراء إلى الخدمة فى يوم الثلاثاء ترضّاهم السلطان و بشّرهم بمسك الفخرى، ثم أخبرهم أنه عزم على التوجّه إلى الكرك، و تجهّز و أخذ الأموال صحبته، و أخرج الأمير طشتمر حمّص أخضر مقيّدا فى محارة فى ليلة الأربعاء و معه جماعة من المماليك السلطانيّة موكّلون به.

ثم تقدّم السلطان إلى الخليفة بعد ما ولّاه نظر المشهد النّفيسىّ عوضا عن ابن القسطلانىّ أن يسافر معه إلى الكرك، و رسم لجمال الكفاة ناظر الجيش و الخاصّ، و للقاضى علاء الدين علىّ بن فضل اللّه كاتب السّر أن يتوجّها معه إلى الكرك. ثم ركب السلطان و معه الأمراء من قلعة الجبل فى يوم الأربعاء ثانيه بعد ما أمّر ثمانية من المماليك السلطانية و خلع عليهم على باب الخزانة، و خلع على الأمير شمس الدين آق سنقر السّلّارى و قرّره نائب الغيبة، و خلع على شمس الدين محمد بن عدلان باستقراره قاضى العسكر، و خلع على زين الدين عمر بن كمال الدين عبد الرحمن ابن أبى بكر البسطامىّ و استقرّ به قاضى قضاة الحنفيّة بالديار المصرية عوضا عن حسام الدين الغورى. فلمّا سار السلطان حتى قرب قبّة النصر خارج القاهرة وقف حتى قبل الأمراء يده على مراتبهم و رجعوا عنه، فنزل فى الحال عن فرسه، و لبس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۶۷

ثياب العربان و هى كامليّة مفرّجة و عمامة بلثامين، و سائر الكركيين فى طريقه، و ترك الأمراء الذين معه و هم قمارى و ملكتمر الحجازى و أبو بكر و عمر ابنا أرغون النائب مع المماليك السلطانية و الطّلب، و توجّه على البريّة إلى الكرك [و ليس معه إلّا الكركيون و مملوكان] و هم فى أثره فقاسوا مشقّة عظيمة من العطش و غيره حتى وصلوا ظاهر الكرك و قد سبقهم السلطان إليها، و قدمها فى يوم الثلاثاء ثامن ذى الحجّة، و كتب للأمراء بالديار المصرية يعرّفهم بذلك و يسلّم عليهم، فقدم كتابه القاهرة فى يوم الخميس سابع عشر ذى الحجّة.

و لمّا دخل الملك الناصر أحمد إلى الكرك لم يمكّن أحدا من العسكر أن يدخل المدينة سوى كاتب السرّ و جمال الكفاة ناظر الجيش و الخاصّ فقط. و رسم أن يسير الأمير المقدّم عنبر السّحرتى بالمماليك السلطانية إلى قرية الخليل عليه السلام، و أن يسير قمارى و عمر ابن النائب أرغون و الخليفة إلى القدس الشريف. ثم رسم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۶۸

السلطان لمقدّم المماليك عنبر السّحرتى أن ينتقل بالمماليك السلطانية من الخليل إلى غزّة لغلاء الأسعار بالخليل، و فى أثناء ذلك وصل أمير علىّ بن أيدغمش بالفخرى مقيّدا إلى غزة و بها العساكر، فبعث السلطان إليه من تسلّم منه الفخرى و أعاد ابن أيدغمش إلى أبيه و لم يجتمع به، فسجن السلطان قطلوبغا الفخرى و طشتمر حمص أخضر بقلعة الكرك بعد ما نكّل بالفخرى و أهين من العامّة

إهانة زائدة.

ثم كتب السلطان لآق سنقر السّلّارى نائب الغيبة بإرسال حريم الفخرى إلى الكرك، و كانوا قد ساروا من القاهرة بعد مسير الفخرى بيوم، فجهزهنّ إليه، فأخذ أهل الكرك جميع ما معهنّ حتى ثيابهنّ، و بالغوا فى الفحش بهنّ و الإساءة. ثم كتب السلطان لآق سنقر السلارى نائب الغيبة بالديار المصرية أن يوقع الحوطة على موجود طشتمر حمص أخضر و قطلوبغا الفخرى، و يحمل ذلك إليه بالكرك. و كان شأن الملك الناصر أحمد أنه إذا رسم بشىء جاء كاتب كركىّ لكاتب السرّ و عرّفه عن السلطان بما يريد، فيكتب كاتب السرّ ذلك و يناوله للكاتب الكركى حتى يأخذ عليه علامة السلطان، و يبعثه حيث يرسم به، هذا ما كان من أمر الملك الناصر.

أما العسكر المتوجّه من القاهرة إلى غزة فإن ابن أيدغمش لمّا قدم عليهم بمدينة غزة و معه الفخرى أراد الأمير علاء الدين ألطنبغا الماردانىّ أن يؤخّره عنده بغزة حتّى يراجع فيه السلطان فلم يوافقه ابن أيدغمش، و توجّه به إلى الكرك، فرحل ألطنبغا الماردانى و بقيّة العساكر عند ذلك إلى جهة الديار المصريّة فقدموها يوم السبت سادس عشرين ذى الحجّة و انعكف السلطان على اللّهو و احتجب عن الناس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۶۹

إلّا الكركيين. ثم بلغه تغيّر خواطر الأمراء فأخذ فى تحصين قلعة الكرك و مدينتها و أشحنها بالغلال و الأقوات و الأسلحة.

و أمّا أمر الديار المصرية فإنه شقّ عليهم غيبة السلطان منها، و اضطربت أحوال القاهرة و صارت غوغاء، و صار عند أكابر الأمراء تشويش كثير لمّا بلغهم من مصاب حريم الأمير قطلوبغا الفخرى. و بقى الأمير آق سنقر السّلّارى فى تخوّف عظيم فإنه بلغه بأن جماعة من المماليك الذين قبض على أستاذهم قد باطنوا بعض الأمراء على الركوب عليه، فترك آق سنقر الركوب فى أيام المواكب أياما حتى اجتمع الأمراء عنده و حلفوا له. ثم اتّفق رأى الأمراء على أن كتبوا للسلطان الملك الناصر أحمد كتابا فى خامس محرم سنة ثلاث و أربعين و سبعمائة بأنّ الأمور واقفة لغيبة السلطان، و قد نافق غالب عربان الصعيد و غيره و طمع أرباب الفساد، و خيفت السّبل و فسدت الأحوال، و سألوا حضوره إلى الديار المصرية و أرسلوا الكتاب على يد الأمير طقتمر الصلاحىّ فتوجّه طقتمر إليه، ثم عاد إلى الديار المصرية بجوابه فى حادى عشره: بأننى قاعد فى موضع أشتهى، و أىّ وقت أردت حضرت إليكم؛ و ذكر طقتمر أنّ السلطان لم يمكّنه الاجتماع به، و أنه بعث من أخذ منه الكتاب، ثم أرسل إليه الجواب.

و قدم الخبر بأنه قتل الأمير طشتمر الساقى حمّص أخضر، و الأمير قطلوبغا الفحرى، و كان قصد قتلهما بالجوع، فأقاما يومين بلياليهما لا يطعمان طعاما، فكسبرا قيدهما- و كان السلطان قد ركب للصيد- و خلعا باب السجن ليلا و خرجا إلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۷۰

الحارس فأخذا سيفه و هو نائم فأحسّ بهما، و قام يصيح حتى لحقه أصحابه فأخذوهما و بعثوا إلى السلطان بخبرهما، فقدم فى زىّ العربان و وقف على الخندق و أحضرهما و قد كثرت بهما الجراحات، فأمر يوسف و رفيقه بضرب أعناقهما، و أخذ يسبّهما فردّا عليه السبّ ردّا قبيحا، و ضربت رقابهما، فلمّا بلغ الأمراء ذلك اشتدّ قلقهم.

ثم قدم كتاب السلطان للأمراء يطيّب خواطرهم و يعرّفهم أن مصر و الشام و الكرك له، و أنه حيثما شاء أقام، و رسم أن تجهّز له الأغنام من بلاد الصعيد، فتنكرت قلوب الأمراء، و نفرت خواطرهم و تكلّموا فيما بينهم فى خلعه، حتى اتّفق الأمراء على خلعه من السلطنة، و إقامة أخيه إسماعيل ابن الملك الناصر محمد، فخلع فى يوم الأربعاء حادى عشرين المحرّم من سنة ثلاث و أربعين و سبعمائة، فكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر و ثلاثة عشر يوما، منها مدّة إقامته بمدينة الكرك، و مراسيمه نافذة بمصر أحد و خمسين يوما. و إقامته بمصر شهران إلا أياما.

و كان لمّا خرج من الديار المصرية متوجّها إلى الكرك جمع الأغنام التى كانت لأبيه و أغنام قوصون، و عدّتها أربعة آلاف رأس و أربعمائة رأس من البقر التى كان استحسنها أبوه، و أخذ الطيور التى كانت بالأحواش على اختلاف أنواعها، و حملها على رءوس

الحمّالين إلى الكرك، و ساق الأغنام و الأبقار إليها، و معهم عدّة سقّايين، و عرض الخيول و الهجن، و أخذ ما اختاره منها و من البخاتى و حمر الوحش و الزراريف و السّباع، و سيّرها إلى الكرك. ثم فتح الذخيرة و أخذ منها جميع ما فيها من الذهب و الفضة و هو ستمائة ألف دينار و صندوق فيه الجواهر التى جمعها أبوه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۷۱

فى مدة سلطنته. و تتبّع جوارى أبيه حتى عرف المتموّلات منهنّ، فصار يبعث إلى الواحدة منهنّ يعرّفها أنه يدخل عليها الليلة فإذا تجمّلت بحليها و جواهرها أرسل من يحضرها إليه، فإذا خرجت من موضعها ندب من يأخذ جميع ما عندها، ثم يأخذ جميع ما عليها، حتى سلب أكثرهنّ. ثم عرض الرّكبخاناه، و أخذ ما فيها من السروج و اللّجم و السلاسل الذهب و الفضة. و أخذ الطائر الذهب الذى كان على القبّة، و أخذ الغاشية الذهب و طلعات السناجق؛ و ما ترك بالقلعة مالا إلّا أخذه، و استمرّ بالكرك.

فلمّا تسلطن أخوه الملك الصالح إسماعيل حسب ما يأتى ذكره أرسل إلى الكرك يطلب من أخيه الناصر أحمد هذا شعائر الملك، و ما كان أخذه من الخزائن و غيرها، فلم يلتفت الناصر إلى كلامه، فندب السلطان الملك الصالح تجريدة لحصاره بالكرك، و استمرّ يبعث إليه تجريدة بعد أخرى سبع تجاريد، حتى إنّه لم يبق بمصر و الشام أمير إلا تجرّد إلى الكرك مرّة و مرّتين إلى أن ظفروا به حسب ما يأتى ذكر ذلك كلّه مفصّلا فى ترجمة الملك الصالح إسماعيل. و لمّا ظفروا بالملك الناصر أحمد قيدوه و حبسوه بالكرك بعد أن حاصروه بها مدّة سنتين و شهر و ثلاثة أيام، حتى قبض عليه، اتلف فيها أموالا كثيرة فى النفقات على المقاتلة، و أخذ أمره يتلاشى و هلك من عنده بالجوع. و ضرب الذهب و خلط به الفضّة و النحاس و نفق ذلك فى الناس، فكان الدينار الذى ضربه يساوى خمسة دراهم.

و كان القبض على الملك الناصر من الكرك فى يوم الاثنين الظهر ثانى عشرين صفر سنة خمس و أربعين و سبعمائة، و كتب بذلك إلى السلطان، فأرسل السلطان الملك الصالح الأمير منجك اليوسفىّ الناصرىّ السلاحدار الى الكرك فقتله و حزّ رأسه و توجه بها إلى القاهرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۷۲

و كان الملك الناصر أحمد هذا قد أخرجه أبوه الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية إلى الكرك و هو صغير، لعلّه لم يبلغ العشر سنين، فربّى بالكرك و أحبّ أهلها و صارت له وطنا، و كان نائب الكرك إذ ذاك ملكتمر السّرجوانىّ زوج أمّه.

ثم أرسل إليه أبوه أخويه: إبراهيم و أبا بكر المنصور فأقاموا الجميع بالكرك إلى أن طلبهم والدهم، و أعاد الناصر هذا إلى الكرك ثم طلبه ثانيا و زوّجه ببنت الأمير طايربغا من أقارب الملك الناصر، ثم أعاده إلى الكرك.

و كان الناصر هذا احسن إخوته وجها و شكلا، و كان صاحب لحية كبيرة و شعر غزير، و كان ضخما شجاعا صاحب بأس و قوّة مفرطة، و عنده شهامة مع ظلم و جبروت، و هو أسوأ أولاد الملك الناصر سيرة مع خفّة و طيش.

*** السنة التى حكم فى أوّلها المنصور أبو بكر إلى حادى عشرين صفر على أنه حكم من السنة الماضية تسعة ايام. ثم حكم فيها من صفر إلى يوم الخميس أوّل شعبان الملك الأشرف كچك. ثم حكم فيما بقى منها الملك الناصر أحمد هذا، و الثلاثة أولا الناصر محمد بن قلاوون حسب ما تقدّم ذكره، و السنة المذكورة سنة اثنتين و أربعين و سبعمائة.

فيها وقعت حادثة غريبة و هى أن رجلا بواردیا يقال له محمد بن خلف بخطّ السّيوفيّين من القاهرة قبض عليه فى يوم السبت سادس عشر رمضان، و احضر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۷۳

إلى محتسب القاهرة فوجد بمخزنه من فراخ الحمام و الزرازير المملوحة عدّة أربعة و ثلاثين ألف و مائة و ستة و تسعين، من ذلك أفراخ حمام ألف و مائة و ستة و تسعون، فرخا. وزرازير عدّة ثلاثة و ثلاثين ألف زرزور، و جميعها قد نتنت و تغيّرت أحوالها، فأدّب

و شهّر.

و فيها توفّى الأمير علاء الدين ألطنبغا الصالحىّ الناصرىّ نائب الشام مقتولا بسجن الإسكندرية. كان أصله من صغار مماليك المنصور قلاوون، و ربّى عند الملك الناصر محمد بن قلاوون، و توجه معه إلى الكرك، فلما عاد الملك الناصر إلى ملكه أنعم عليه بإمره عشرة و جعله جاشنكيره، ثم ولّاه حاجبا. ثم نقله من الحجوبيّة إلى نيابة حلب بعد موت أرغون النائب، فسار فيها سيرة مشكورة و غزا بلاد سيس، حتّى أخذها بالأمان؛ و قال فى ذلك العلّامة زين الدين عمر بن الوردى قصيدة طنّانة أوّلها:

جهادك مقبول و عامك قابل ألا فى سبيل المجد ما أنت فاعل

و عمّر الأمير ألطنبغا المذكور فى نيابته بحلب جامعا فى شرقيّها، و لم يكن إذ ذاك داخل سور حلب جامع تقام فيه الخطبة سوى الجامع الكبير الأموىّ، و أقام بحلب حتى وقع بينه و بين تنكز نائب الشام، فشكاه تنكز إلى الملك الناصر فعزله عن نيابة حلب، و ولّاه نيابة غزّة إلى أن غضب السلطان على تنكز ولّاه عوضه نيابة الشام الى أن مات الملك الناصر و تسلطن أولاده انضمّ ألطنبغا هذا إلى قوصون، فكان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۷۴

ذلك سببا لهلاكه؛ و قد تقدم ذكر ذلك كلّه مفصلا. و كان أميرا جليلا شجاعا مشكور السيرة و مات و قد جاوز الخمسين سنة من العمر.

و فيها توفّى ملك التتار أزبك خان بن طغرلجا بن منكوتمر بن طغان بن باطو ابن دوشى خان بن چنكز خان. و مات أزبك خان بعد أن ملك نحوا من ثلاثين سنة، و كان أسلم و حسن إسلامه و حرّض رعيته على الإسلام فأسلم بعضهم، و لم يلبس أزبك خان بعد أن أسلم السّراقوجات، و كان يلبس حياصة من فولاذ و يقول: لبس الذهب حرام على الرجال، و كان يميل إلى دين و خبر، و يتردّد إلى الفقراء، و كان عنده عدل فى رعيته، و تزوّج الملك الناصر محمد بابنته. و كان أزبك شجاعا كريما مليح الصورة ذا هيبة و حرمة. و مملكته متسعة، و هى من بحر قسطنطينيّة إلى نهر أرتش مسيرة ثمانمائة فرسخ، لكن أكثر ذلك قرى و مراع.

و ولى الملك بعده جانى بك خان.

و توفّى الأمير سيف الدين بشتك بن عبد اللّه الناصرى مقتولا بسجن الإسكندرية فى شهر ربيع الآخر. و كان إقطاعه يعمل بمائتى ألف دينار فى كلّ سنة، و أنعم عليه أستاذه الملك الناصر محمد فى يوم واحد بألف ألف درهم. و كان راتبه لسماطه فى كلّ يوم خمسين رأسا من الغنم و فرسا، لابدّ من ذلك. و كان كثير التّيه لا يحدّث

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۷۵

مباشريه إلا بترجمان. و هو صاحب القصر بين القصرين و الحمام بالقرب من سويقة العزّى و الجامع عند قنطرة طقزدمر خارج القاهرة. قال الشيخ صلاح الدين الصفدى: «و كان بشتك أهيف القامة، حلو الوجه. قربه السلطان و ادناه، و كان يسمّيه فى غيبته بالأمير، و كان إقطاعه سبعة عشرة [إمرة] طبلخاناه أكبر من إقطاع قوصون، و ما يعلم قوصون بذلك».

و توفّى الأمير سيف الدين طاجار بن عبد اللّه الناصرى الدّوادار قتيلا بثغر الإسكندرية. و كان من خواصّ الملك الناصر محمد بن قلاوون و من أكابر مماليكه، و رقّاه حتى ولّاه الدّواداريّة، و كان ممّن انضم إلى الملك المنصور أبى بكر فقبض عليه عند خلعه و قتل.

و فيها توفّى الأمير سيف الدين جركتمر بن عبد اللّه الناصرىّ قتيلا.

و توفّى الأمير قوصون بن عبد اللّه الناصرىّ الساقى قتيلا بثغر الإسكندرية فى شوّال، و قد مرّ من ذكره ما فيه كفاية عن تكراره ثانيا.

و توفّى الملك الأفضل علاء الدين على ابن الملك المؤيّد عماد الدين إسماعيل [ابن الملك الأفضل على] ابن الملك المظفّر محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفّر تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه ابن الأمير نجم الدين أيّوب بن شادى بن مروان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۷۶

الأيّوبى صاحب حماة و ابن صاحبها. مات بدمشق، و هو من جملة أمرائها بعد ما باشر سلطنة حماة عشرين سنة إلى أن نقله قوصون إلى إمرة الشام، و ولى نيابة حماة بعده الأمير طقزدمر الحموى. و كانت وفاته فى ليلة الثلاثاء حادى عشر ربيع الآخر عن ثلاثين سنة.

و توفّى الأمير شرف الدين، و قيل مظفّر الدين موسى بن مهنّا بن عيسى بن مهنا ابن مانع بن حديثة بن عصيّة بن فضل بن ربيعة أمير آل فضل بمدينة تدمر.

و كان من أجلّ ملوك العرب، مات فجأة فى العشر الأخير من جمادى الأولى.

و توفّى الحافظ الحجّة جمال الدين أبو الحجّاج يوسف بن الزّكى عبد الرحمن بن يوسف بن علىّ بن عبد الملك بن أبى الزّهر القضاعىّ الكلبى المزّى الحلبى المولد، ولد بظاهر حلب فى عاشر ربيع الآخر سنة أربع و خمسين و ستمائة، و مات بدمشق فى ثانى عشر صفر، و كان إمام عصره أحد الحفّاظ المشهورين. سمع الكثير و رحل و كتب و صنّف. و قد ذكرنا عدّة كبيرة من مشايخه و سماعاته فى ترجمته

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۷۷

فى «المنهل الصافى» و نبذة كبيرة من أخباره. و من مصنفاته «كتاب تهذيب الكمال» و هو فى غاية الحسن فى معناه.

و توفّى الأمير سيف الدين تمر بن عبد اللّه الساقىّ الناصرىّ أحد أمراء الألوف فى يوم الأحد ثامن عشرين ذى الحجة. و كان من أكابر الأمراء و من أعيان خاصكيّة الملك الناصر محمد بن قلاوون و مماليكه.

و توفّى القاضى برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن فخر الدين خليل بن إبراهيم الرسعنى الشافعى قاضى حلب بها. و كان فقيها فاضلا، ولى القضاء بحلب و غيرها و أفتى و درّس.

و توفى الأمير علاء الدين على ابن الأمير الكبير سيف الدين سلّار فى شهر ربيع الآخر. و كان من أعيان الأمراء بالديار المضرية.

و توفّى خطيب جامع دمشق الأموىّ الشيخ بدر الدين محمد ابن قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى الشافعىّ. و كان فاضلا خطيبا فصيحا.

و توفّى الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد اللّه الناصرىّ السلاح دار نائب الفتوحات بآياس و غيرها. و كان من أجلّ الأمراء الناصريّة. كان شجاعا كريما، و له المواقف المشهودة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ست أذرع و عشر أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و تسع أصابع. و اللّه تعالى أعلم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۷۸

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۳]

ذكر ولاية الملك الصالح إسماعيل على مصر

السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون و هو السلطان السادس عشر من ملوك الترك بالديار المصرية و الرابع من بنى محمد بن قلاوون. جلس على تحت الملك فى يوم الخميس ثانى عشرين المحرم سنة ثلاث و أربعين و سبعمائة بعد خلع أخيه الملك الناصر أحمد باتّفاق الأمراء على ذلك لما بلغهم عن حسن سيرته، فإنّه قيل للأمراء لمّا أخرج قوصون أولاد الملك الناصر إلى قوص كان إسماعيل هذا يصوم يومى الاثنين و الخميس، و يشغل أوقاته بالصلاة و قراءة القرآن مع العفّة و الصّيانة عمّا يرمى به الشّباب من اللّهو و اللّعب، فلمّا بلغهم ذلك اتّفقوا على إقامته فى الملك و سلطنوه و حلّفوا له الأمراء و العساكر و حلف لهم أيضا السلطان الملك الصالح إسماعيل المذكور ألّا يؤذى

أحدا و ألا يقبض على أمير بغير ذنب، فتمّ أمره، و لقّب بالملك الصالح، و دقّت البشائر، و نودى بزينة القاهرة و مصر، و رسم بالإفراج عن المسجونين بثغر الإسكندرية، و كتب بالإفراج أيضا إلى الوجه القبلى و البحرى و ألّا يترك بالسجون إلّا من استحقّ عليه القتل. و استقرّ الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۷۹

أرغون العلائى زوج أمّ الملك الصالح رأس نوبة، و يكون رأس المشورة و مدبر السلطنة و كافل السلطان. و استقرّ الأمير آق سنقر السّلّارى نائب السلطنة بالديار المصرية. و كتب للأمراء ببلاد الشام و النوّاب باستمرارهم و أرسل إليهم الخلع على يد الأمير طقتمر الصلاحىّ، و كتب بتقليد الأمير أيدغمش نائب حلب بنيابة الشام، و استقرّ عوضه فى نيابة حلب الأمير طقزدمر الحموى نائب حماة.

و استقرّ فى نيابة حماة عوضا عن طقزدمر الأمير علم الدين سنجر الجاولى.

ثم كتب السلطان الملك الصالح إسماعيل إلى أخيه الملك الناصر أحمد بالسلام و إعلامه أنّ الأمراء أقاموه فى السلطنة لمّا علموا أنه ليس له رغبة فى ملك مصر، و أنّه يحب بلاد الكرك و الشّوبك و هى تحكّمك و ملكك، و سأله أن يرسل القبّة و الطّير و الغاشية و النّمجاة و توجّه بالكتاب الأمير قبلاى، و خرج الأمير بيغرا و معه عدّة من الأوجاقية لجرّ الخيول السلطانية من الكرك الذى كان الملك الناصر أخذهم من الإسطبل السلطانى، و توجّه الجميع إلى جهة الكرك. ثم فى يوم الأربعاء ثامن عشرين المحرم قدم الأمراء المسجونون بثغر الإسكندرية إلى القاهرة، و عدّتهم ستة و عشرون أميرا، منهم الأمير قياتمر و طيبغا المجدىّ و ابن طوغان چق و أسنبغا ابن البوبكرى و ابن سوسون و ناصر الدين محمد بن المحسنى و الحاجّ أرقطاى نائب طرابلس فى آخرين، و طلعوا إلى القلعة و قبّلوا الأرض بين يدى السلطان. ثم رسم السلطان أن يجلس أرقطاى مكان الأمير علم الدين سنجر الجاولى المنتقل إلى نيابة حماة، و أن يتوجّه البقية على إمريات ببلاد الشام.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۸۰

و فى يوم السبت أوّل صفر قدم من غزّة الأمير قمارى أمير شكار و الأمير أبو بكر بن أرغون النائب و الأمير ملكتمر الحجازىّ و صحبتهم الخليفة الحاكم بأمر اللّه أحمد، و مقدّم المماليك الطّواشى عنبر السّحرتى و المماليك السلطانية مفارقين الملك الناصر أحمد. و فيه خرج الأمير طقردمر الحموى من القاهرة لنيابة حلب.

و فى يوم الاثنين ثالثه خلع على الأمير سنجر الجاولى نائب حماة خلعة السفر، و خلع فيه أيضا على الأمير مسعود بن خطير الحاجب خلعة السفر لنيابة غزّة، و خلع على القاضى بدر الدين محمد بن محيى الدين يحيى بن فضل اللّه، و استقرّ فى كتابة السرّ بدمشق عوضا عن أخيه شهاب الدين أحمد. و رسم بسفر مماليك قوصون و الأمير بشتك إلى البلاد الشامية متفرّقين، و كتب إلى النوّاب بذلك. و فيه استقرّ الأمير چنكلى بن البابا فى نظر البيمارستان المنصورىّ بين القصرين عوضا عن سنجر الجاولى. و جلس الأمير آق سقر السّلّارى بدار النيابة بعد ما عمّرها و فتح شباكا.

و رسم له أن يعطى الأجناد الإقطاعات من ثلثمائة دينار إلى أربعمائة دينار و يشاور فيما فوق ذلك. و استقرّ المكين إبراهيم بن قرونة فى نظر الجيش. و عيّن ابن التاج إسحاق لنظر الخاصّ كلاهما عوضا عن جمال الكفاة بحكم غيبته بالكرك عند الملك الناصر أحمد. و فيه أنعم السلطان على أخيه شعبان بإمرة طبلخاناه.

و فى يوم الاثنين رابع عشرين صفر خلع السلطان على جميع الأمراء كبيرهم و صغيرهم الخلع السنيّة. و فى يوم الثلاثاء خامس عشرينه قدم القاضى علاء الدين على بن فضل اللّه كاتب السرّ و جمال الكفاة ناظر الجيش و الخاصّ من الكرك إلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۸۱

الديار المصرية مفارقين الملك الناصر بحيلة دبرها جمال الكفاة، و قد بلغه عن الناصر أنه يريد قتلهم خوفا من حضورهم الى مصر و نقلهم لما هو عليه من سوء السيرة.

فبذل جمال الكفاة ليوسف البازدار مالا جزيلا حتى مكّنهم من الخروج، فأقبل عليهم الأمراء و السلطان، و خلع عليهم باستمرارهم على وظائفهم.

ثم فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين ربيع الأوّل رسم السلطان للأمير ألطنبغا المارداني الناصرىّ بنيابة حماة عوضا عن الأمير سنجر الجاولى و كتب بحضور سنجر الجاولى الى نيابة غزّة عوضا عن أمير مسعود و نقل أمير مسعود الى إمرة طبلخاناه بدمشق.

و قدم الخبر من شطّى أمير العرب بأن الملك الناصر أحمد قرّر مع بعض الكركيين أنه يدخل الى مصر و يقتل السلطان فتشوّش الأمراء لذلك فوقع الاتفاق على تجريد العساكر لقتال الملك الناصر و أخذه من الكرك. و فى يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر توجّهت التجريدة الى الكرك صحبة الأمير بيغرا، و هذه أوّل التجاريد الى الكرك لقتال الملك الناصر أحمد، و فى عقيب ذلك حدث للسلطان رعاف مستمرّ فاتهمت أمّه أمّ السلطان الأشرف كچك خوند أردو بأنّها سحرته، و هجمت عليها و أوقعت الحوطة على موجودها و ضربت عدّة من جواريها ليعترفن عليها، فلم يكن غير قليل حتّى عوفى السلطان، و رسم بزينة القاهرة، و حملت أمّ السلطان الى المشهد النفيسىّ قنديل ذهب، زنته رطلان و سبع أواق و نصف أوقية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۸۲

ثم قدم الخبر على يد إياز الساقى بموت الأمير أيدغمش نائب الشام فجأة، فوقع الاختيار على استقرار الأمير طقزدمر الحموىّ نائب حلب مكانه فى نيابة الشام و استقرّ الأمير ألطنبغا المارداني عوضا عن طقزدمر فى نيابة حلب، و استقرّ الأمير يلبغا اليحياوىّ فى نيابة حماة عوضا عن المارداني.

ثم أنعم السلطان على أرغون العلائىّ بإقطاع الأمير قمارى بعد موته، و كتب السلطان لنائب صفد و غزّة بالنّجدة للأمير بيغرا لحصار الملك الناصر بالكرك.

ثم قدم الخبر من شطّى أنه ركب مع العسكر على مدينة الكرك و قاتلوا أهل الكرك و هزموهم إلى القلعة، و أنّ الملك الناصر أذعن و سأل أن يمهل حتّى يكتب إلى السلطان ليرسل من يتسلّم منه قلعة الكرك، فرجعوا عنه فلم يكن غير قليل حتى استعدّ الملك الناصر و قاتلهم.

و فى يوم الأربعاء رابع شهر رجب كانت فتنة الأمير رمضان أخى السلطان، و سبب ذلك أنّ السلطان كان أنعم عليه بتقدمة ألف، فلمّا خرج السلطان إلى سرياقوس تأخّر رمضان عنه بالقلعة و تحدّث مع طائفة من المماليك فى إقامته سلطانا و اتّفقوا على ذلك، فلمّا مرض السلطان الملك الصالح هذا و استرخى قوى أمره، و شاع ذلك بين الناس و راسل تكا الخضرىّ و من خرج معه من الأمراء، و واعد من وافقه على الركوب بقبّة النصر، فبلغ ذلك السلطان و مدبّر دولته الأمير أرغون العلائى، فلم يعبأ بالخبر إلى أن أهلّ شهر رجب، جهّز الأمير رمضان خيوله و هجنه بناحية بركة الحبش، و واعد أصحابه على يوم الأربعاء، فبلغ الأمير آق سنقر أمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۸۳

آخور عند الغروب بما هو فيه من الحركة، فندب عدّة من العربان ليأتوه بخبر القوم، فلمّا أتاه خبرهم سار إليهم و أخذ جميع الخيل و الهجن عن آخرهم من خلف القلعة و ساقهم إلى الإسطبل السلطانى و عرّف السلطان و العلائى أرغون من باب السرّ بما فعله فطلباه إليهما فصعد بما ظفر به من أسلحة القوم، فاتّفقوا على طلب إخوة السلطان إلى عنده و الاحتفاظ بهم، فلمّا طلع الفجر خرج أرغون العلائى من بين يدى السلطان و طلب إخوة السلطان و وكّل بهم و وكّل ببيت رمضان جماعة حتى طلعت الشمس، و صعد الأمراء الأكابر إلى القلعة فاستدعى السلطان لهم و أعلموه بما وقع، فطلبوا سيدى رمضان إليهم فآمتنع من الحضور و هم يلحّون فى طلبه إلى أن خرجت أمّه و صاحت عليهم، فعادوا عنه إلى أرغون العلائى، فبعث أرغون بعدة من المماليك و الخدّام لإحضاره فخرج فى عشرين مملوكا إلى باب القلّة و سأل عن النائب، فقيل له عند السلطان مع الأمراء فمضى إلى باب القلعة و سيوف أصحابه مصلتة، و ركب على خيول الأمراء، و مرّ بمن معه إلى سوق الخيل تحت القلعة فلم يجد أحدا من الأمراء، فتوجّه إلى جهة قبّة النصر خارج

القاهرة و وقف هناك و معه الأمير تكا الخضرى و قد اجتمع الناس عليهم، و بلغ السلطان و الأمراء خبره فأخرج السلطان محمولا بين أربعة لما به من الاسترخاء، و ركب النائب و آق سنقر أمير آخور و قمارى أخو بكتمر الساقى و جماعة أخر، و أقام أكابر الأمراء عند السلطان و صفّت أطلابهم تحت القلعة، و ضربت الكوسات حربيا، و نزلت النقباء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۸۴

فى طلب الأجناد، و توجّه النائب إلى قبة النصر، و وقف بمن معه تجاه رمضان، و قد كثر جمع رمضان من أجناد الحسينيّة و من مماليك تكا و العامّة، و بعث النائب يخبر السلطان بذلك، فمن شدّة ما انزعج نهضت قوّته، و قام قائما على قدميه بعد ما كان يئس من نفسه من عظم استرخاء أعضائه، و أراد الركوب فقام الأمراء و هنّوه بالعافية و قبّلوا له الأرض و هوّنوا عليه أمر أخيه رمضان، و لا زالوا به حتّى جلس مكانه، فأقام إلى بعد الظهر و النائب يراسل رمضان و يعده بالجميل و يخوّفه العاقبة، و هو لا يلتفت إلى قوله، فعزم النائب على الحملة عليه هو و من معه و دقّ طبله فلم يثبت العامّة المجتمعة على رمضان و انفلّوا عنه و انهزم هو و تكا الخضرى فى عدّة من المماليك إلى البريّة، و الأمراء فى طلبه فعاد النائب إلى السلطان، فلمّا كان بعد العشاء الآخرة من ليلة الخميس أحضر رمضان و تكا الخضرى و قد أدركوهما بعد المغرب، و رموا تكا بالنّشاب، حتى ألقوه عن فرسه و قد وقف فرس رمضان من شدّة السّوق فوكّل برمضان من يحفظه، و أذن للأمراء بنزولهم إلى بيوتهم، و طلعوا من بكرة يوم الخميس إلى الخدمة على العادة، و جلس السلطان و طلب مماليك رمضان، فأحضروا فأمر بحبسهم فحبسوا أياما، ثم فرّقهم السلطان على الأمراء، ثم خلع السلطان على الأمراء و فرّق عليهم الأموال.

و فى يوم الاثنين سادس عشره وصل قاصد الأمير بيغرا المتوجّه إلى الكرك بمن معه من العساكر بعد ما حاربوا الملك الناصر أحمد بالكرك و قاتلوه قتالا شديدا، و جرح منهم جماعة و قلّت أزوادهم، فكتب السلطان بإحضارهم إلى الديار المصريّة. و فيه خلع السلطان على طرنطاى البشمقدار بنيابة غزّة عوضا عن الأمير علم الدين سنجر الجاولى، و كتب بقدوم الجاولى إلى مصر. و فى يوم الثلاثاء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۸۵

رابع عشرينه وسّط السلطان تكا الخضرى بسوق الخيل تحت القلعة و وسّط معه مملوكين من المماليك السلطانية. و فى هذا الشهر وقف السلطان الملك الصالح صاحب الترجمة ثلثى ناحية سندبيس من القليوبيّة على ستة عشر خادما لخدمة الضريح الشريف النبوىّ عليه الصلاة و السلام، فتمّت عدّة خدّام الضريح الشريف النبوى بذلك أربعين خادما.

قلت للّه دره فيما فعل! و على هذا تحسد الملوك لا على غيره.

ثم اتّفق الأمراء مع السلطان على إخراج تجريدة ثانية لقتال الملك الناصر بالكرك، فلمّا كان عاشر شعبان خرج الأمير بيبرس الأحمدى و الأمير كوكاى فى ألفى فارس تجريدة للكرك، و كتب السلطان أيضا بخروج تجريدة من الشام مضافا إلى من خرج من الأمراء و العساكر من الديار المصريّة، و توجّه الجميع و نصبت المناجيق على الكرك و جدّوا فى حصارها.

و أما الملك الصالح فإنّه بعد خروج التجريدة خلع على جمال الكفاة بعد ما عزل و صودر باستقراره مشير الدولة بسؤال وزير بغداد فى ذلك بعد أن أعيد إلى الوزارة و نزلا معا [بتشاريفهما].

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۸۶

و فى ذى القعدة رتّب السلطان دروسا للمذاهب الأربعة بالقبة المنصوريّة و وقف عليهم و على قرّاء و خدّام و غير ذلك ناحية دهمشا بالشرقيّة فاستمرّ ذلك و عرف بوقف الصالح.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج ۱۰؛ ص۸۶

فى يوم الأربعاء عاشر المحرّم سنة أربع و أربعين و سبعمائة قبض السلطان على أربعة أمراء، و هم الأمير آق سنقر السّلّارى نائب

السلطنة و الأمير بيغرا أمير جاندار صهر آق سنقر المذكور و الأمير قراجا الحاجب و أخيه أولاجا، و قيّدوا و رسم بحبسهم فى الإسكندرية، و خرج الأمير بلك على البريد إلى المجرّدين إلى الكرك فأدركهم على السّعيدية، و طيّب خواطرهم و أعلمهم بالقبض على الأمراء و عاد سريعا، فقدّم قلعة الجبل طلوع الشمس من يوم الخميس حادى عشره، و بعد وصوله قبض السلطان على طيبغا الدّوادار الصغير، و كان سبب قبض السلطان على هؤلاء الأمراء أن الأمير آق سنقر كان فى نيابته لا يردّ قاصدا و لا قصّة ترفع إليه، فقصده الناس من الأقطار و سألوه الرّزق و الأراضى التى أنهوا أنّها لم تكن بيد أحد، و كذلك نيابة القلاع و الأعمال و الرواتب و إقطاعات الحلقة، فلم يردّ أحدا سأله شيئا من ذلك سواء أكان ما أنهاه صحيحا أم باطلا، فإذا قيل له: هذا الذى سأله يحتاج أن يكشف عنه تغيّر وجهه و قال: ليش تقطع رزق الناس؛ و كان إذا كتب الإقطاع لأحد فيحضر صاحبه من سفره أو تعافى من مرضه و سأله فى إعادة إقطاعه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۸۷

قال له: هذا أخذ إقطاعك و نحن نعوّضك، ففسدت الأحوال لا سيّما البلاد الشاميّة، فكتب النوّاب بذلك للسلطان، فكلّمه السلطان فلم يرجع و قال: كلّ من طلب منى شيئا أعطيته، و ما أردّ قلمى عن أحد، بحيث إنه كان تقدّم إليه القصّة و هو يأكل فيترك أكله، و يكتب عليها من غير أن يعلم ما فيها، فأغلظ له بسبب ذلك الأمير شمس الدين آق سنقر الناصرىّ أمير آخور؛ و اتّفق مع ذلك أنّه وشى به أنّه مباطن مع الملك الناصر أحمد، و أنّ كتبه تصل إليه فقرّر أرغون العلائىّ مسكه مع السلطان، فأمسك هو و حاشيته، هذا ما كان من أمره.

و فى يوم الجمعة ثانى عشر المحرم من سنة أربع و أربعين المذكورة خلع السلطان على الأمير الحاجّ آل ملك، و استقر فى نيابة السلطنة عوضا عن آق سنقر السّلّارى المذكور. ثم فى ثانى عشر صفر قدم الخبر بوفاة الأمير ألطنبغا المارداني الناصرىّ نائب حلب، فرسم السلطان للأمير يلبغا اليحياوىّ نائب حماة باستقراره فى نيابة حلب عوضه، و استقر فى نيابة حماة الأمير طقتمر الأحمدى نائب صفد و استقر بلك الجمدار فى نيابة صفد. و توجه الأمير أرغون شاه بتقليد يلبغا اليحياوى و توجه الأمير ألطنبغا البرناق بتقليد نائب حماة.

و فى يوم السبت خامس عشرين صفر قدم الأمير بيبرس الأحمدى و الأمير كوكاى بمن معهما من المجرّدين إلى الكرك، فركب الأمراء إلى لقائهم، و استمرّ الأمير أصلم على حصار الكرك و هى التجريدة الثانية للكرك، و عرّفوا الأمراء السلطان أنّه لا بدّ من خروج تجريدة ثالثة سريعا تقوية لأصلم لئلّا يتنفس الناصر و يدوم الحصار عليه، فعيّن السلطان جماعة من أعيان الأمراء و تجهّزوا و خرجوا فى يوم الاثنين رابع شهر ربيع الآخر، و هم الأمير چنكلى بن البابا و الأمير آق سنقر الناصرى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۸۸

الأمير آخور و الأمير ملكتمر السّرجوانىّ و الأمير عمر بن أرغون النائب فى أربعة آلاف فارس تقوية لأصلم، و هذه التجريدة الثالثة إلى الكرك، و توجّه صحبتهم عدّة حجّارين و نجّارين و نقّابين و نفطيّة، و خرج السلطان أيضا فى يوم سفرهم إلى سرياقوس على العادة كالمودّع لهم.

و فى هذه الأيام اشتدّ نائب السلطنة الحاجّ آل ملك على والى القاهرة و مصر فى بيع الخمور و غيره من المحرّمات، و عاقب جماعة كثيرة على ذلك و كان هذا دأب النائب من يوم أخرب خزانة البنود فى العام الماضى و أراق خمورها و بناها مسجدا، و حكّرها للناس فعمروها دورا. و كان الذى يفعل فى خزانة البنود من المعاصى و الفسق يستحى من ذكره فعفّ الناس فى أيام نيابة آل ملك المذكور عن كثير من المعاصى خوفا منه، و استمرّ على ما هو عليه من تتبّع الفواحش و الخواطئ و غير ذلك حتّى إنه نادى: من أحضر سكرانا واحدا معه جرّة خمر خلع عليه فقعد العامّة لشربة الخمر بكلّ طريق، و أتوه مرّة بجندىّ قد سكر فضربه و قطع خبزه و خلع على من قبض عليه، و وقع له أمور مع بيعة الخمر يطول الشرح فى ذكرها.

و كان يجلس فى شبّاك النيابة طول النهار لا يملّ من الحكم و لا يسأم، و تروح أصحاب الوظائف و لا يبقى عنده إلّا النقباء البطالة حتى لا يفوته أحد، و صار له مهابة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۸۹

عظيمة و حرمة كفّت الناس عن أشياء كثيرة حتى أعيان الأمراء، حتى قال فيه بعض شعراء عصره:

ال ملك الحجّ غدا سعده يملأ ظهر الأرض مهما سلك

فالأمرا من دونه سوقة و الملك الظاهر هوّ الملك

و فى يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى قدم الأمير أصلم و [أبو بكر] بن أرغون النائب و أرنبغا من تجريدة الكرك بغير إذن و اعتذروا بضعف أبدانهم و كثرة الجراحات فى أصحابهم و قلّة الزاد عندهم، فقبل السلطان عذرهم، و رسم بسفر طقتمر الصلاحىّ و تمر الموساوىّ فى عشرين مقدّما من الحلقة و ألفى فارس نجدة لمن بقى من الأمراء على حصار الكرك فساروا فى سلخه، و هذه التجريدة الرابعة بل الخامسة؛ فإنّه تكرر رواح الأمراء فى تلك التجريدة مرّتين.

ثم بعد مدّة رسم السلطان بتجهيز الأمير علم الدين سنجر الحاولىّ و الأمير أرقطاى و الأمير قمارى الأستادار و عشرين أمير طبلخاناه و ثلاثين مقدّم حلقة فساروا يوم الثلاثاء خامس عشر شوال فى ألفى فارس إلى الكرك و هى التجريدة السادسة و توجّه معهم أيضا عدّة حجّارين و نقّابين و نفطية و غير ذلك.

و فى مستهلّ شهر رمضان فرغت عمارة السلطان الملك الصالح إسماعيل صاحب الترجمة من القاعة التى أنشأها المعروفة الآن بالدهيشة الملاصقة للدور السلطانية المطلّة على الحوش و فرشت بأنواع البسط و المقاعد الزّركش.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۹۰

قلت: هى الآن مجاز لأوباش الرعيّة لمن له حاجة عند السلطان من التّركمان و الأعراب و الأوغاد و الأتباع. و للّه درّ القائل:

و إذا تأمّلت البقاع وجدتها تشقى كما تشقى الرجال و تسعد

و جلس السلطان الملك الصالح فيها، و بين يديه جواريه و خدمه و حرمه، و أكثر السلطان فى ذلك اليوم من الخلع و العطاء، و كان السلطان قد اختصّ ببيبغا الصالحىّ و أمّره و خوّله فى النّعم و زوّجه بابنة الأمير أرغون العلائىّ مدبّر مملكة السلطان و زوج أمّه، و البنت المذكورة أخت السلطان لأمّه. و كثر فى هذه الأيام استيلاء الجوارى و الخدّام على الدولة و عارضوا النائب فى أمور كثيرة حتّى صار النائب يقول لمن يسأله شيئا: روح إلى الطواشى فلان فينقضى شغلك. و استمرّ السلطان يكثر من الجلوس فى الدهيشة بأبّهة عظيمة إلى الغاية.

ثم رسم السلطان بإحضار المجرّدين إلى الكرك و عيّن عوضهم تجريدة أخرى إلى الكرك و هى التجريدة السابعة، فيها الأمير بيبرس الأحمدىّ و الأمير كوكاى و عشرون أمير طبلخاناه و ستة عشر أمير عشرة، و كتب بخروج عسكر أيضا من دمشق و معهم المنجنيق و الزحّافات، و حمل إلى الأحمدى مبلغ ألفى دينار، و كذلك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۹۱

لكوكاى، و لكلّ أمير طبلخاناه خمسمائه دينار، و لكل أمير عشرة مائتى دينار، و أرسل أيضا مع الأحمدى أربعة آلاف دينار لمن عساه ينزل إليه من قلعة الكرك طائعا، و جهّز معه تشاريف كثيرة، و عيّنت لهم الإقامات، و كان الوقت شتاء فقاسوا من الأمطار مشقّات كثيرة، و أقاموا نحو شهرين و خرّج معهم ستة آلاف رأس من البقر و مائتى رأس جاموس و نحو ألفى راجل فاستعدّ لهم الملك الناصر، و جمع الرجال و أنفق فيهم مالا كثيرا، و فرّق فيهم الأسلحة المرصدة بقلعة الكرك.

و ركّب المنجنيق الذى بها، و وقع بينهم القتال و الحصار إلى ما سيأتى ذكره.

ثم رسم السلطان بالقبض على الأمير آقبغا عبد الواحد فقبض عليه بدمشق فى عدّة من أمرائها و سجنوا بها لميلهم للملك الناصر

أحمد، و اشتدّ الحصار على الملك الناصر بالكرك و ضاقت عليه هو و من معه لقلّة القوت، و تخلّى عنه أهل الكرك، و ضجروا من طول الحصار، و وعدوا الأمراء بالمساعدة عليه، فحملت إليهم الخلع و مبلغ ثمانين ألف درهم. هذا و قد استهمّ السلطان فى أوّل سنة خمس و أربعين و سبعمائة بتجريدة ثامنة إلى الكرك، و عيّن فيها الأمير منكلى بغا الفخرىّ و الأمير قمارى و الأمير طشتمر طلليه، و لم يجد السلطان فى بيت المال ما ينفقه عليهم فأخذ مالا من تجّار العجم و من بنت الأمير بكتمر الساقى على سبيل القرض و أنفق فيهم، و خرج المجرّدون فى يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم سنة خمس و أربعين و سبعمائة، و هؤلاء نجدة لمن توجّه قبلهم خوفا أن يملّ من كان توجّه من القتال، فيجد الناصر فرجا بعودهم عنه، و قطعت الميرة عن الملك الناصر، و نفدت أمواله من كثرة نفقاته فوقع الطمع فيه و أخذ بالغ، و كان أجلّ ثقاته فى العمل عليه و كاتب الأمراء و وعدهم بأنّه يسلّم إليهم الكرك و سأل الأمان فكتب اليه من السلطان أمان و قدم إلى القاهرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۹۲

و معه مسعود و ابن أبى الليث و هما أعيان مشايخ الكرك فأكرمهم السلطان و أنعم عليهم، و كتب لهم مناشير بجميع ما طلبوه من الإقطاعات و الأراضى، و كان من جملة ما طلبه بالغ وحده [نحو] أربعمائة و خمسين ألف درهم فى السنة، و كذلك أصحابه.

ثم ركب العسكر للحرب و خرج الكركيّون فلم يكن غير ساعة حتّى انهزموا منهم إلى داخل المدينة، فدخل العسكر أفواجا و استوطنوها، و جدّوا فى قتال أهل القلعة عدّة أيام، و الناس تنزل اليهم منها شيئا بعد شىء حتّى لم يبق عند الملك الناصر أحمد بقلعة الكرك سوى عشرة أنفس فأقام يرمى بهم على العسكر و هو يجدّ فى القتال و يرمى بنفسه و كان قوىّ الرّمى شجاعا إلى أن جرح فى ثلاثة مواضع و تمكّنت النقابة من البرج و علقوه و أضرموا النار تحته، حتّى وقع. و كان الأمير سنجر الجاولى قد بالغ أشدّ مبالغة فى الحصار و بذل فيه مالا كثيرا.

ثم هجم العسكر على القلعة فى يوم الاثنين ثانى عشرين صفر سنة خمس و أربعين و سبعمائة فوجدوا الناصر قد خرج من موضع و عليه زردية و قد تنكّب قوسه و شهر سيفه فوقفوا، و سلّموا عليه فردّ عليهم و هو متجهّم و فى وجهه جرح، و كتفه أيضا يسيل دما، فتقدّم إليه الأمير أرقطاى و الأمير قمارى فى آخرين، و أخذوه و مضوا به إلى دهليز الموضع الذى كان به و أجلسوه، و طيّبوا قلبه و هو ساكت لا يحييهم، فقيّدوه و وكّلوا به جماعة، و رتّبوا له طعاما، فأقام يومه و ليلته، و من باكر الغد يقدّم إليه الطعام فلا يتناول منه شيئا إلى أن سألوه أن يأكل فأبى أن يأكل، حتّى يأتوه بشابّ يقال له: عثمان، كان يهواه فأتوه به فأكل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۹۳

عند ذلك، و خرج الأمير ابن بيبغا حارس طير بالبشارة إلى السلطان الملك الصالح و على يده كتب الأمراء فقدم قلعة الجبل فى يوم السبت سابع من عشرين صفر، فدقّت البشائر سبعة أيام. و أخرج السلطان منجك اليوسفىّ الناصرىّ السلاح دار ليلا من القاهرة على البخت لقتل الملك الناصر أحمد من غير مشاورة الأمراء فى ذلك، فوصل إلى الكرك و أدخل عليه من أخرج الشاب من عنده، ثم خنفه فى ليلة رابع شهر ربيع الأول، و قطع رأسه و سار من ليلته و لم يعلم الأمراء و لا العسكر بشىء من ذلك، حتى أصبحوا و قد قطع منجك مسافة بعيدة، و قدم بعد ثلاثة أيام قلعة الجبل ليلا، و قدّم الرأس بين يدى السلطان، و كان ضخما مهولا، له شعر طويل، فاقشعر السلطان عند رؤيته و بات مرجوفا، و طلب الأمير قبلاى الحاجب، و رسم له أن يتوجّه لحفظ الكرك إلى أن يأتيه نائب لها، و كتب السلطان بعود الأمراء و العساكر المجرّدين إلى الكرك، فكانت مدّة حصار الملك الناصر بالكرك سنتين و شهرا و ثلاثة أيام. ثم قدم الأمراء المجردون إلى الكرك فخلع السلطان على الجميع و شكرهم و أكثر من الثناء عليهم. ثم خلع على الأمير ملكتمر السّرجوانىّ باستقراره فى نيابة الكرك على ما كان عليه قديما، و جهّز معه عدّة صناع لعمارة ما تهدّم من قلعة الكرك و إعادة البرج على ما كان عليه، و رسم بأن يخرج مائة مملوك معه من مماليك قوصون و بشتك الذين كان الملك الناصر قد أسكنهم بالقلعة، و رتّب لهم الرواتب و يخرج منهم مائتان إلى دمشق و حماة و حمص و طرابلس و صفد و حلب فأخرجوا جميعا فى يوم واحد، و نساؤهم و

أولادهم فى بكاء و عويل، و سخّروا لهم خيول الطواحين ليركبوا عليها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۹۴

ثم وقعت الوحشة بين الأمير أرغون العلائى و الأمير ملكتمر الحجازىّ و بين الحاج آل ملك نائب السلطنة و صار الحجازى و العلائى معا على آل ملك النائب، و وقع بين آل ملك و الحجازى أمور يطول شرحها، و كان الحجازى مولعا بالخمر و آل الملك ينهى عن شربها، فكان كلّما ظفر بأحد من حواشى الحجازى مثّل به فتقوم قيامة الحجازىّ لذلك، و تفاوضا غير مرّة بسبب هذا فى مجلس السلطان، و أرغون العلائى يميل مع الحجازى لما فى نفسه من آل ملك و داما على ذلك مدّة.

و أما السلطان فإنه بعد مدّة نزل إلى سرياقوس بتجمّل زائد على العادة فى كل سنة. ثم عاد إلى القلعة بعد أيام، فورد عليه قصّاد صاحب الروم و قصّاد صاحب الغرب. ثم بدا للسلطان الحجّ فتهيّأ لذلك و أرسل يطلب العربان و أعطاهم الأموال بسبب كراء الجمال، فتغيّر مزاجه فى مستهلّ شهر ربيع الأول و لزم الفراش و لم يخرج إلى الخدمة أياما، و كثرت القالة بسبب ضعفه، و تحسّنت الأسعار. ثم أرجف بموت السلطان فى بعض الأيام، فأغلقت الأسواق حتّى ركب الوالى و المحتسب و ضربوا جماعة و شهّروهم، ثم اجتمعوا الأمراء و دخلوا على السلطان و تلطّفوا به حتّى أبطل حركة الحجّ، و كتب بعود طقتمر من الشام، و استعادة الأموال من العربان، و ما زال السلطان يتعلّل إلى أن تحرك أخوه شعبان و اتفق مع عدّة مماليك و قد انقطع خبر السلطان عن الأمراء، و كتب السلطان بالإفراج عن المسجونين من الأمراء و غيرهم بالأعمال، و فرّقت صدقات كثيرة، و رتّبت جماعة لقراءة «صحيح البخارى» فقوى أمر شعبان، و عزم أن يقبض على النائب فاحترز النائب منه، و أخذ أكابر الأمراء فى توزيع أموالهم و حرمهم فى الأماكن، و دخلوا على السلطان و سألوه أن يعهد لأحد من إخوته، فطلب النائب و بقيّة الأمراء فلم يحضر إليه أحد منهم، و قد اتّفق الأمير أرغون العلائى مع جماعة على إقامة شعبان فى الملك، و فرّق فيهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۹۵

مالا كبيرا، فإنه كان أيضا ابن زوجته شقيق الملك الصالح إسماعيل لأبيه و أمه، و أقام مع أرغون غرلو و تمر الموساوى و امتنع النائب من إقامته و صاروا حزبين، فقام النائب آل ملك فى الإنكار على سلطنة شعبان، و قد اجتمع مع الأمراء بباب القلّة و قبض على غرلو و سجنه و تحالف هو و أرغون العلائى و بقيّة الأمراء على عمل مصالح المسلمين.

و مات السلطان الملك الصالح إسماعيل فى ليلة الخميس رابع شهر ربيع الآخر سنة ست و أربعين و سبعمائة، و قد بلغ من العمر نحو عشرين سنة، فكتم موته، و قام شعبان إلى أمّه و منع من إشاعة موت أخيه، و خرج إلى أصحابه و قرّر معهم أمره، فخرج طشتمر و رسلان بصل إلى منكلى بغا ليستعطفوا الأمير أرقطاى و الأمير أصلم، و كان النائب و الأمراء علموا من العصر أن السلطان فى النزع و اتّفقوا على النزول من القلعة إلى بيوتهم بالقاهرة، فدخل الجماعة على أرقطاى ليستميلوه لشعبان فوعدهم بذلك، ثم دخلوا على أصلم فأجابهم و عادوا إلى شعبان، و قد ظنوا أنّ أمرهم تمّ، فلمّا أصبحوا نهار الخميس خرج الأمير أرغون العلائى و الأمير ملكتمر الحجازى و تمر الموساوى و طشتمر طلليه و منكلى بغا الفخرى و أسندمر و جلسوا بباب القلّة فأتاهم الأمير أرقطاى و الأمير أصلم و الوزير نجم الدين محمود و الأمير قمارى الأستادار و طلبوا النائب فلم يحضر إليهم، فمضوا كلّهم إلى عنده و استدعوا الأمير چنكلى بن البابا و اشتوروا فيمن يولوه السلطنة فأشار چنكلى أن يرسل إلى المماليك السلطانية و يسألهم من يحتاروه فإنّ من اختاروه رضيناه سلطانا، فعاد جوابهم مع الحاجب أنهم رضوا بشعبان سلطانا، فقاموا جميعا و معهم النائب إلى داخل باب القلّة. و كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۹۶

شعبان تخيّل من دخولهم عليه و جمع المماليك و قال. من دخل علىّ و جلس على الكرسىّ قتلته بسيفى هذا! و أنا أجلس على الكرسى حتى أبصر من يقيمنى عنه.

فسيّر أرغون العلائى [إليه] و بشّره و طيّب خاطره، و دخل الأمراء إليه و سلطنوه و لقّب بالملك الكامل سيف الدين شعبان حسب ما

يأتى ذكره فى أوّل ترجمته.

و لنرجع إلى بقية ترجمة الملك الصالح إسماعيل.

و كان الملك الصالح سلطانا ساكنا عاقلا قليل الشّرّ كثير الخير، هيّنا ليّنا بشوشا، و كان شكلا حسنا حلو الوجه أبيض بصفرة و على خدّه شامة. و لم يكن فى أولاد الملك الناصر خيرا منه. رتّب دروسا بمدرسة جدّه المنصور قلاوون. و جدّد جماعة من الخدّام بالحرم النّبوىّ، حسب ما ذكرناه فى وقته. و له مآثر كثيرة بمكّة و اسمه مكتوب على رباط السّدرة بحرم مكّة، و لم يزل مثابرا على فعل الخير حتّى توفّى.

و لما مات رثاه الشيخ صلاح الدين الصفدىّ بقوله

مضى الصالح المرجوّ للبأس و النّدى و من لم يزل يلقى المنى بالمنائح

فيا ملك مصر كيف حالك بعده إذا نحن أثينا عليك بصالح

و كان الملك الصالح محبّبا للرعية على مشقّة كانت فى أيامه من كثرة التجاريد إلى قتال أخيه الملك الناصر أحمد بالكرك و كانت السّبل مخيفة. و شغف مع ذلك بالجوارى السّود، و أفرط فى محبة اتّفاق العوّادة و فى العطاء لها، و قرّب أرباب الملاهى، و أعرض

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٠، ص: ٩٧

عن تدبير الملك بإقباله على النساء و المطربين، حتّى كان إذا ركب إلى سرحة سرياقوس أو سرحة الأهرام ركبت أمّه فى مائتى امرأة الأكاديش بثياب الأطلس الملوّن و على رءوسهن الطراطير الجلد البرغالى المرصّعة بالجوهر و اللآلئ و بين أيديهنّ الخدّام الطواشية من القلعة إلى السّرحة. ثم تركب حظاياه الخيول العربية و يتسابقن و يركبن تارة بالكامليّات الحرير و يلعبن بالكرة، و كانت لهنّ فى المواسم و الأعياد و أوقات النّزهة أمور من هذا النّموذج. و استولى الخدّام و الطواشيّة فى أيامه على أحوال الدولة، و عظم أمرهم بتحكّم كبيرهم عنبر السّحرتى لالاة السلطان، و اقتنى عنبر السحرتى البزاة و السناقر، و صار يركب إلى المطعم و يتصيّد بثياب الحرير المزركشة، و اتّخذ له كفّا للصيد مرصّعا بالجوهر. و عمل له خاصكيّة و خدّاما و مماليك تركب فى خدمته، حتى ثقل أمره على أكابر أمراء الدولة، فإنه أكثر من شراء الأملاك و التجارة فى البضائع، كلّ ذلك لكونه لالا السلطان. و أفرد له ميدانا يلعب فيه بالكرة، و تصدّى لقضاء الأشغال و قصده الناس فصارت الإقطاعات و الرّزق و الوظائف لا تقضى إلا بالخدّام و النساء.

و كان متحصّل الدولة فى أيام الملك الصالح قليلا و مصروف العمارة كثيرا.

و كان مغرما بالجلوس بقاعة الدهيشة، لا سيما لمّا ولدت منه اتّفاق العوّادة ولدا ذكرا، عمل لها فيه مهمّا بلغ الغاية التى لا توصف، و مع هذا كانت حياته منغّصة و عيشته منكّدة لم يتمّ سروره بالدهيشة سوى ساعة واحدة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٠، ص: ٩٨

ثم قدم عليه منجك السلاح دار برأس أخيه الملك الناصر أحمد من الكرك، فلمّا قدم بين يديه و رآه بعد غسله اهتزّ و تغيّر لونه و ذعر، حتّى إنه بات تلك الليلة يراه فى نومه و يفزع فزعا شديدا، و تعلّل من رؤيته، و ما برح يعتريه الأرق و رؤية الأحلام المزعجة، و تمادى مرضه و كثر إرجافه، حتى اعتراه القولنج، و قوى عليه حتّى مات منه فى يوم الخميس المذكور، و دفن عند أبيه و جدّه الملك المنصور قلاوون بالقبّة المنصورية فى ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر، فكانت مدّة ملكه بالديار المصرية ثلاث سنين و شهرين و أحد عشر يوما. و قال الصفدى:

ثلاث سنين و شهرا و ثمانية عشر يوما. و تسلطن من بعده أخوه شقيقه شعبان و لقّب بالكامل. و عمل للملك الصالح العزاء بالديار المصرية أياما كثيرة، و دارت الجوارى بالملاهى يضربن بالدفوف، و المخدّرات حواسر يبكين و يلطمن، و كثر حزن الناس عليه و وجدوا عليه وجدا عظيما.

*** السنة الأولى من سلطنة الملك الصالح إسماعيل على مصر، و هى سنة ثلاث و أربعين و سبعمائة.

فيها توفّى الشيخ الإمام برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السّفاقسىّ المالكىّ فى ذى الحجّة. و كان إماما فقيها بارعا أفتى و درّس سنين، و له مصنّفات مفيدة، منها: «إعراب القرآن» «و شرح ابن الحاجب فى الفقه» و غير ذلك.

و كان معدودا من علماء المالكية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۹۹

و توفّى الأمير سيف الدين أرنبغا بن عبد اللّه الناصرى ناظر طرابلس بها.

و كان من أجلّ أمراء الدولة و من أعيان مماليك الناصر محمد و خاصكيّته و تنقّل فى عدّة ولايات. و كان معدودا من الشّجعان.

و توفّى الأمير الكبير علاء الدين أيدغمش بن عبد اللّه الناصرىّ الأمير آخور، ثم نائب حلب ثم نائب الشام فجأة فى بكرة يوم الأربعاء رابع جمادى الآخرة، و دفن فى آخر ميدان الحصى فى تربة عمّرت له هناك. و كانت مدّة نيابته بحلب و الشام نصف سنة، و كانت موتته غريبة و هو أنه ركب فى بكرة ثالث جمادى الآخرة و خرج ظاهر دمشق و أطعم طيور الصيد و عاد إلى دار السعادة و قرئت عليه قصص يسيرة، ثم أكل السّماط. ثم عرض طلبه و المضافين إليه، و قدّم جماعة و أخّر جماعة ثم دخل إليه ديوانه و قرأ عليه مخازيم و حساب و مصروف ديوانه. ثم قال أيدغمش: هؤلاء الذين تزوّجوا من مماليكى اقطعوا مرتّبهم. ثم أكل الطّارى، و قعد هو و ابن جمّاز يتحدّثان فسمع حسّ جماعة من جواريه يتخاصمن، فقام و أخذ عصاه و دخل إليهن و ضرب واحدة منهن ضربتين و سقط ميتا لم يتنفّس، فتحيّر الناس فى أمره فأمهلوه إلى بكرة يوم الأربعاء فلم يتحرك، فغسّلوه و كفّنوه و دفنوه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۰۰

و كان أصل أيدغمش هذا من مماليك الأمير بلبان الطّباخى، ثم اتّصل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون فجعله من جملة خاصكيّته. ثم رقّاه حتى جعله أمير آخور كبير بعد بيبرس الحاجب فدام فى وظيفة الأمير آخورية نحو عشرين سنة. و قد استوعبنا من حاله مع قوصون و غيره قطعة جيدة فى ترجمة الملك الناصر أحمد و غيره.

و كان أميرا جليلا عاقلا مهابا شجاعا مدبّرا مقداما كريما، قلّ من دخل إليه للسلام إلا و أعطاه شيئا. و كان مكينا عند أستاذه الملك الناصر، على أنه أنعم على أولاده الثلاثة بإمرة، و هم أمير حاج ملك و أمير أحمد و أمير على. و كان أيدغمش يميل إلى فعل الخير، و له مآثر حميدة. و هو صاحب الحمّام و الخوخة خارج بابى زويلة. رحمه اللّه.

و توفّى الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد اللّه الناصرىّ الحاجب بدمشق فى شهر رجب و هو أيضا من المماليك الناصرية، رقّاه أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى صار أمير مائة و مقدّم ألف. ثم ولّاه أمير آخور مدّة سنين. ثم عزله بالأمير أيدغمش المقدّم ذكره، و ولّاه الحجوبيّة ثم جرّده إلى اليمن فبلغه عنه أنه أخذ برطيل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۰۱

صاحب اليمن و تراخى فى أمر السلطان، فلمّا عاد قبض عليه و حبسه تسع سنين و ثمانية أشهر إلى أن أفرج عنه فى سنة خمس و ثلاثين و سبعمائة و أخرجه إلى حلب أميرا بها. ثم نقل إلى إمرة بدمشق، فما زال بها حتّى مات فى التاريخ المذكور.

و كان له ثروة كبيرة و أملاك كثيرة و له دار عند باب الزّهومة.

و توفّى الأمير سيف الدين قمارى بن عبد اللّه الناصرىّ أمير شكار فى يوم الأحد خامس جمادى الأولى. و كان خصيصا عند أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون، و هو أحد من زوّجه الملك الناصر بإحدى بناته، بعد ما أنعم عليه بإمرة مائة و تقدمة ألف بالديار المصرية و جعله أمير شكار.

و توفّى سيف الدين طشتمر بن عبد اللّه الساقىّ الناصرىّ المعروف بحمص أخضر مقتولا بسيف الملك الناصر أحمد بالكرك، و كان أيضا أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون و خواصّه، رقّاه و أمّره و ولّاه نيابة صفد و هو الذى توجّه من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۰۲

صفد و قبض على تنكز نائب الشام حسب ما تقدّم ذكره. ثم نقله إلى نيابة حلب عوضا عن طوغان الناصرى فى سنة إحدى و أربعين و سبعمائة، فدام بحلب حتى خرج منها إلى الروم، و قد مرّ ذكر ذلك كلّه إلى أن قدم الديار المصرية صحبة الأمراء الشاميّين، و ولّاه الملك الناصر أحمد نيابة السلطنة. ثم قبض عليه بعد أن باشر النيابة خمسة و ثلاثين يوما و أخرجه معه إلى الكرك، فقتله هناك و قتل الأمير قطلوبغا الفخرى الآتى ذكره. و لمّا قتل طشتمر قال فيه الصلاح الصفدى:

طوى الرّدى طشتمرا بعد ما بالغ فى دفع الأذى و احترس

عهدى به كان شديد القوى أشجع من يركب ظهر الفرس

أ لم يقولوا حمّصا أخضرا فاعجب له يا صاح كيف اندرس

قلت: و هو صاحب الدار العظيمة و الربع الذى بجانبها بحدرة البقر خارج القاهرة و الجامع بالصحراء و المئذنة الحلزون و الجامعين بالزريبه و الربع الذى بالحريريّين داخل القاهرة. و كان شجاعا كريما كثير الإنعام و الصدقات

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۰۳

و توفّى الأمير سليمان بن مهنّا بن عيسى بن مهنا ملك العرب و أمير آل فضل بظاهر سلمية، و كان من أجلّ ملوك العرب.

و توفّى الأمير سيف الدين طينال بن عبد اللّه الناصرىّ نائب غزة و نائب صفد ثم نائب طرابلس، و مات و هو على نيابة صفد فى يوم الجمعة رابع شهر ربيع الأول.

و كان من أعيان الأمراء الناصريّة.

و توفّى الأمير سيف الدين قطلوبغا بن عبد اللّه الفخرىّ الساقى الناصرىّ نائب الشام، مقتولا بسيف الملك الناصر أحمد بالكرك، و كان من أكابر مماليك الناصر محمد بن قلاوون من طبقة أرغون الدّوادار. قال الصفدى: لم يكن لأحد من الخاصكيّة و لا غيرهم إدلاله على الملك الناصر محمد و لا من يكلّمه بكلامه، و كان يفحش فى كلامه له و يردّ عليه الأجوبة الحادّة المرّة و هو يحتمله، و لم يزل عند السلطان أثيرا إلى أن أمسكه فى نوبة إخراج أرغون إلى حلب نائبا، فلمّا دخل تنكز عقيب ذلك إلى القاهرة أخرجه السلطان معه إلى الشام. انتهى

قلت: و قد سقنا من ذكره فى ترجمة الملك الناصر أحمد و غيره ما فيه كفاية عن ذكره هنا ثانيا.

و لمّا أمسك و قتل قال الأديب البارع خليل بن أيبك الصفدىّ شعرا:

سمت همّة الفخرىّ حتّى ترفّعت على هامة الجوزاء و النّسر بالنّصر

و كان به للملك فخر فخانه الزّمان فأضحى ملك مصر بلا فخر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۰۴

و توفّى الأمير سيف الدين بهادر بن عبد اللّه الجوبانىّ رأس نوبة.

و توفّى الأمير سيف الدين بكا الخضرىّ الناصرى موسّطا بسوق الخيل فى رابع شهر رجب، و قد مرّ من ذكره نبذة فى ترجمة الملك الصالح إسماعيل.

و توفّى الشيخ الإمام تاج الدين أبو المحاسن عبد الباقى بن عبد المجيد اليمانىّ المخزومىّ الشافعى الأديب الكاتب بالقدس الشريف فى هذه السنة عن ثلاث و ستين سنة.

و توفّى الشيخ الإمام الخطيب محيى الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهّاب ابن على بن أحمد أبو المعالى السّلمى الشافعى خطيب بعلبك فى ليلة الأربعاء تاسع شهر رمضان. و مولده فى شهر رمضان سنة ثمان و خمسين و ستمائة. و كان فاضلا عالما خطيبا فصيحا، و كتب الخطّ المنسوب.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و إصبعان. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء. و اللّه تعالى أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۴]

السنة الثانية من ولاية الملك الصالح إسماعيل على مصر، و هى سنة أربع و أربعين و سبعمائة.

فيها توفّى قاضى القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علىّ بن أحمد بن علىّ ابن عبد الحقّ قاضى القضاة الحنفيّة بالديار المصريّة و هو مقيم بدمشق. و كان إماما عالما بارعا أفتى و درّس سنين و ناب فى الحكم، ثم استقلّ بقضاء القضاة بالديار المصرية و حسنت سيرته.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۰۵

و توفّى الأمير سيف الدين و قيل شمس الدين آق سنقر بن عبد اللّه السّلّارى نائب السلطنة بالديار المصريّة قتيلا بثغر الإسكندرية فى السجن. و كان أصله من مماليك الأمير سلّار و اتّصل بعده بخدمة الملك الناصر محمد بن قلاوون فرقّاه إلى أن ولّاه نيابة غزّة ثم صفد. ثم ولى بعد موت الملك الناصر نيابة السلطنة بالديار المصرية. و قد تقدّم ذكره فى ترجمة الملك الصالح هذا و التعريف بأحواله و كرمه إلى أن قبض عليه و سجن، ثم قتل. و كان من الكرماء الشّجعان.

و توفّى الأمير علاء الدين ألطنبغا بن عبد اللّه الماردانى الناصرىّ الساقىّ نائب حلب بها. و كان ألطنبغا أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون و خاصّكيّته و أحد من شغف بمحبته و رقّاه فى مدّة يسيرة، حتّى جعله أمير مائة و مقدّم ألف، و زوّجه بابنته. ثم وقع له أمور بعد موته ذكرناها فى تراجم: المنصور و الأشرف و الناصر و الصالح أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن ولى نيابة حماة، ثم حلب بعد الأمير طقزدمر فباشر نيابة حلب نصف سنة، و توفّى و لم يبلغ من العمر خمسا و عشرين سنة. و كان أميرا شابّا لطيف الذات، حسن الشكل، كريم الأخلاق مشهورا بالشجاعة و الكرم. و هو صاحب الجامع المعروف به خارج باب زويلة.

و قد تقدّم ذكر بنائه فى ترجمة أستاذه الملك الناصر محمد.

و توفّى الأمير الأديب الشاعر علاء الدين ألطنبغا بن عبد اللّه الجاولى. أصله من مماليك بن باخل. ثم صار إلى الأمير علم الدين سنجر الجاولى فجعله دواداره لمّا كان نائب غزّة فعرف به، ثم تنقّلت به الأحوال حتى صار من جملة أمراء دمشق إلى أن مات بها فى شهر ربيع الأول.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۰۶

قلت: و هو أحد فحول الشعراء من الأتراك لا أعلم أحدا من أبناء جنسه فى رتبته فى نظم القريض، اللّهم إلا إن كان أيدمر المحيوى فيمكن. و من شعر ألطنبغا المذكور:

ردفه زاد فى الثّقالة حتّى أقعد الخصر و القوام سويّا

نهض الخصر و القوام و قاما و ضعيفان يغلبان قويّا

و له:

و بارد الثغر حلو بمرشف فيه حوّه

و خصره فى انتحال يبدى من الضعف قوّه

و له:

و صالك و الثريّا فى قران و هجرك و الجفا فرسا رهان

فديتك ما حفظت لشؤم بختى من القرآن إلّا لن ترانى

و له:

يقول لى العاذل فى لومه و قوله زور و بهتان

ما وجه من أحببته قبلة قلت و لا قولك قرآن

و قد سقنا من شعره قطعة جيّدة فى تاريخنا «المنهل الصافى و المستوفى بعد الوافى».

و توفّى القاضى شرف الدين أبو بكر بن محمد ابن الشهاب محمود كاتب سرّ مصر ثم دمشق فى شهر ربيع الأوّل. و كان فاضلا بارعا فى صناعته، و هو من بيت علم و فضل و رياسة و إنشاء. و كان فاضلا مترسّلا رئيسا نبيلا، و له نظم رائق و نثر فائق. و من شعره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۰۷

بعثت رسولا للحبيب لعلّه يبرهن عن وجدى له و يترجم

فلمّا رآه حار من فرط حسنه و ما عاد إلّا و هو فيه متيّم

و توفّى الأمير سيف الدين طرغاى الجاشنكير الناصرىّ نائب حلب و طرابلس فى شهر رمضان. و كان من أعيان مماليك الملك الناصر و أمرائه. و كان شجاعا مقداما سيوسا. ولى الولايات و الأعمال الجليلة.

و توفّى الأمير علاء الدين آقبغا عبد الواحد الناصرىّ بحبسه بثغر الإسكندرية، و قد تكرّر ذكره فى ترجمة أستاذه الملك الناصر فى مواطن كثيرة، و فى أوّل ترجمة الملك المنصور أبى بكر أيضا، و كيف كان القبض عليه، و ما وقع له من المصادرة و غير ذلك إلى أن ولى نيابة حمص ثم عزل و قبض عليه و حبس إلى أن مات.

و كان أصله من مماليك الناصر محمد و أخا زوجته خوند طغاى، و تولّى فى أيام أستاذه عدّة وظائف و ولايات، منها أنه كان من جملة مقدّمى الألوف ثم أستادار.

ثم مقدّم المماليك السلطانية، و شادّ العمائر و كان يندبه لكلّ أمر مهمّ فيه العجلة لمعرفته بشدّة بأسه و قساوة قلبه، و كثرة ظلمه. و كان من أقبح المماليك الناصرية سيرة.

و هو صاحب المدرسة على يسار الداخل إلى الجامع الأزهر و الدار بالقرب من الجامع المذكور.

و توفّى الشيخ حسن بن تمرتاش بن جوبان متملّك تبريز و العراق فى شهر رجب.

و كان من أعظم الملوك، و كان داهية صاحب حيل و مكر و خديعة. و كان كثير العساكر من التّرك و غيرها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۰۸

و توفّى القاضى زين الدين إبراهيم بن عرفات بن صالح بن أبى المنى القنائىّ الشافعى قاضى قنا. كان فقيها رئيسا كثير الأموال. كان يتصدّق فى كلّ سنة بألف دينار فى يوم واحد مع مكارم و إنعام.

و توفّى الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن على بن أيبك السّروجىّ. مولده بمصر فى ذى الحجة سنة أربع عشرة و سبعمائة، و مات بحلب فى الثامن من شهر ربيع الأوّل.

و توفّى المحدّث شهاب الدين أحمد بن أبى الفرج الحلبى بمصر بعد أن حدث عن النّجيب و الأبرقوهىّ و الرّشيد بن علّان و غيرهم. و مولده فى شهر رمضان سنة خمسين و ستمائة.

و توفّى القاضى علم الدين سليمان بن إبراهيم بن سليمان المعروف بابن المستوفى المصرى ناظر الخاصّ بدمشق فى جمادى الآخرة. و له فضيلة و شعر جيّد، و كان يعرف بكاتب قراسنقر، فإنه كان بخدمته. و باشر عدّة وظائف بدمشق: نظر البيوت ثم نظر الخاصّ ثم صحابة الديوان. و كان بارعا فى صناعة الحساب و يكتب الخط المليح. و له يد فى النظم و قدرة على الارتجال، و كان يتكلّم فصيحا باللغة التركية.

و من شعره:

غرامى فيك قد أضحى غريمى و هجرك و التّجنّى مستطاب

و بلواى ملالك لا لذنب و قولك ساعة التسليم طابوا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۰۹

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا. و اللّه تعالى أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۵]

السنة الثالثة من سلطنة الملك الصالح إسماعيل على مصر، و هى سنة خمس و أربعين و سبعمائة.

فيها توفّى قاضى القضاة العلّامة جلال الدين [أحمد] ابن القاضى حسام الدين أبى الفضائل حسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان الأنكورىّ الحنفى قاضى قضاة دمشق و عالمها فى يوم الجمعة تاسع عشر رجب، و مولده بمدينة أنكورية ببلاد الروم فى سنة إحدى و خمسين و ستمائة. و كان إماما عالما ديّنا عارفا بالمذهب و أصوله، محقّقا إماما فى العلوم العقليّة، و أفتى و درّس و تصدّر للإقراء فى حياة والده. و ولى قضاء خرتبرت و عمره سبع عشرة سنة، و حمدت سيرته. ثم انتقل إلى البلاد الشامية حتى كان من أمره ما كان.

و توفّى الأمير علم الدين سنجر الجاولى، أحد أعيان أمراء بالديار المصرية فى يوم الخميس ثامن شهر رمضان، و دفن بمدرسته فوق جبل الكبش. و كان أصله من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۱۰

مماليك جاول أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس. ثم اتّصل بعده إلى بيت السلطان، و أخرج أيام الأشرف خليل بن قلاوون إلى الكرك، و استقرّ فى جملة بحريّتها. ثم قدم فى أيام العادل كتبغا إلى مصر بحال زرىّ، فقدّمه الأمير سلّار و نوّه بذكره إلى أن ولى نيابة غزّة، ثم عدة ولايات بعد ذلك بمصر و البلاد الشامية، و طالت أيامه فى السعادة و عمّر. و قد مرّ من ذكره أشياء فيما تقدّم. و هو صاحب الجامع، بغزّة و الخليل عليه السلام و خان بيسان و خان قاقون. و كان فاضلا فقيها، و له مصنّفات فى الفقه و غيره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۱۱

و توفّى الأمير سيف الدين طقصبا بن عبد اللّه الظاهرىّ، و قد أناف على مائة [و عشرين] سنة. و كان أصله من مماليك الظاهر بيبرس البندقدارىّ.

و توفّى [إبراهيم القاضى] جمال الكفاة الرئيس جمال الدين ناظر الخاصّ ثم الجيش ثم المشدّ تحت العقوبة فى ليلة الأحد سادس شهر ربيع الأول. و كان ابن خالة النّشو ناظر الخاصّ، و هو الذى استسلمه و استخدمه مستوفيا فى الدولة، ثم عند بشتك ثم وقع بينهما المعاداة الصعبة على سوء ظنّ من النّشو، و لم يزالا على ذلك حتّى مات النشو تحت العقوبة، و ولى جمال الكفاة هذا مكانه، و طالت أيامه و نالته السعادة. قال الصفدى: و كان شكلا حسنا ظريفا مليحا يكتب خطّا قويّا جيدا، و يتحدث بالتّركى، و فيه ذوق للمعانى الأدبية و محبة للفضلاء و لطف عشرة و كرم أخلاق و مروءة. و كان أوّلا عند الأمير طيبغا القاسمىّ. و مدّة مباشرته الخاصّ ست سنين تقريبا. انتهى كلام الصفدىّ باختصار. و قال غيره: و كان أوّلا يباشر فى بعض البساتين على بيع ثمرته، و تنقّل فى خدمة ابن هلال الدولة، ثم خدم بيدمر البدرىّ و هو خاصّكىّ خبزه بمحلّة منوف، فكتب على بابه إلى أن تأمّر.

ثم انتقل بعد ذلك حتّى كان من أمره ما ذكرناه. و لمّا صودر أخذ منه أموال كثيرة.

و توفّى الشيخ الإمام العلّامة فريد عصره أثير الدّين أبو حيّان محمد بن يوسف ابن علىّ [بن يوسف] بن حيّان الغرناطىّ المغربىّ المالكىّ ثم الشافعىّ. مولده

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۱۲

بغرناطة فى أخريات شوّال سنة أربع و خمسين و ستمائة، و قرأ القرآن بالروايات، و اشتغل و سمع الحديث بالأندلس و إفريقية و إسكندرية و القاهرة و الحجاز، و حصّل الإجازات من الشام و العراق، و اجتهد فى طلب العلم، حتى برع فى النحو و التصريف و صار فيهما إمام عصره، و شارك فى علوم كثيرة. و كان له اليد الطّولى فى التفسير و الحديث و الشروط و الفروع و تراجم الناس و طبقاتهم و تواريخهم خصوصا المغاربة، و هو الذى جسّر الناس على مصنّفات ابن مالك، و رغّبهم فى قراءتها، و شرح لهم غوامضها، و قد سقنا من أخباره و سماعاته و مشايخه و مصنّفاته و شعره فى ترجمته فى تاريخنا «المنهل الصافى» ما يطول الشرح فى ذكره هنا؛ و من أراد ذلك فلينظره هناك. و لنذكر هنا من شعره نبذة يسيرة بسندنا إليه: أنشدنا القاضى عبد الرحيم بن الفرات إجازة، أنشدنا الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدىّ إجازة، قال: أنشدنى العلّامة أثير الدين أبو حيّان من لفظه لنفسه:

سبق الدمع بالمسير المطايا إذ نوى من أحبّ عنّى نقله

و أجاد السّطور فى صفحة الخد و لم لا يجيد و هو ابن مقله

و له بالسند:

راض حبيبى عارض قد بدا يا حسنه من عارض رائض

فظنّ قوم أنّ قلبى سلا و الأصل لا يعتدّ بالعارض

و له موشّحة، أوّلها:

إن كان ليل داج، و خاننا الإصباح، فنورها الوهّاج، يغنى عن المصباح

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۱۳

سلافة تبدو كالكوكب الأزهر

مزاجها شهد و عرفها عنبر

يا حبّذا الورد منها و إن أسكر

قلبى بها قد هاج، فما ترانى صاح، عن ذلك المنهاج، و عن هوى يا صاح

و بى رشا أهيف قد لجّ فى بعدى

بدر فلا يخسف منه سنا الخدّ

بلحظه المرهف يسطو على الأسد

كسطوة الحجّاج، فى الناس و السّفّاح، فما ترى من ناج، من لحظه السّفّاح

علّل بالمسك قلبى رشا أحور

منعم المسك ذو مبسم أعطر

ريّاه كالمسك و ريقه كوثر

غصن على رجراج، طاعت له الأرواح، فحبّذا الآراج، إن هبّت الأرواح

مهلا أبا القاسم على أبى حيّان

ما إن له عاصم من لحظك الفتّان

و هجرك الدائم قد طال بالهيمان

قدمعه أمواج، و سرّه قد باح، لكنّه ما عاج، و لا أطاع اللّاح

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۱۴

يا ربّ ذى بهتان يعذلنى فى الرّاح

و فى هوى الغزلان دافعت بالرّاح

و قلت لا سلوان عن ذاك يالاحى

سبع الوجوه و التّاج، هى منية الأرواح، فآختر لى يا زجّاج، قمصال و زوج أقداح قلت: و مذهبى فى أبى حيّان أنّه عالم لا شاعر.

و لم أذكر هذه الموشّحة هنا لحسنها؛ بل قصدت التعريف بنظمه بذكر هذه الموشّحة، لأنّه أفحل شعراء المغاربة فى هذا الشأن، و أما الشاعر العالم هو الأرّجانىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۱۵

و أبو العلاء المعرّى و ابن سناء الملك. انتهى. و كانت وفاته بالقاهرة فى ثامن عشرين صفر.

و توفّى الأمير صلاح الدين يوسف بن أسعد الدّوادار الناصرى بطرابلس و كان من أكابر الأمراء، ولى الدواداريّة الكبرى فى أيام الناصر محمد، ثم ولى نيابة الإسكندريّة، ثم أخرج إلى البلاد الشامية إلى أن مات بطرابلس. و كان كاتبا شاعرا.

و توفّى الأمير علم الدين سنجر بن عبد اللّه البشمقدار المنصورىّ، كان من مماليك المنصور قلاوون.

و توفى الأمير سيف الدين طرنطاى المنصورىّ المحمّدىّ بدمشق، و كان من جملة من وافق على قتل الأشرف خليل، فسجنه الملك الناصر سبعا و عشرين سنة، ثم أفرج عنه و أخرجه إلى طرابلس أمير عشرة.

و توفّى الأمير سيف الدين بلبان المنصورىّ الشمسىّ بمدينة حلب. و كان الناصر أيضا حبسه سنين ثم أخرجه إلى حلب.

و توفّى سيف الدين كندغدى بن عبد اللّه المنصورى بحلب أيضا و هو رأس الميسرة و مقدّم العساكر المجرّدة إلى سيس. و كان من كبار الأمراء بالديار المصريّة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۱۶

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و ثمانى أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۶]

ذكر سلطنة الملك الكامل شعبان على مصر

السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النّجمى.

و الكامل هذا هو السابع عشر من ملوك الترك بالديار المصرية و الخامس من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون. جلس على تخت الملك بعد موت أخيه و شقيقه الملك الصالح إسماعيل فى يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الآخر سنة ست و أربعين و سبعمائة، و لقّب بالملك الكامل. و فيه يقول الأديب البارع جمال الدين بن نباتة.

رحمه اللّه تعالى. [مخلّع البسيط]

جبين سلطاننا المرجّى مبارك الطالع البديع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۱۷

يا بهجة الدهر إذ تبدّى هلال شعبان فى ربيع

و كان سبب سلطنة الملك الكامل هذا أنه لمّا اشتدّ مرض أخيه الملك الصالح إسماعيل دخل عليه زوج أمّه و مدبّر مملكته الأمير أرغون العلائىّ فى عدّة من الأمراء ليعهد الملك الصالح إسماعيل بالملك لأحد من إخوته. و كان أرغون العلائى المذكور غرضه عند شعبان كونه أيضا ربيبه ابن زوجته، فعارضه فى شعبان الأمير آل ملك نائب السلطنة حسب ما ذكرنا طرفا من ذلك فى مرض

الملك الصالح المذكور. ثم وقع ما ذكرناه إلى أن اتّفق المماليك و الأمراء على توليته، و حضروا إلى باب القلّعة و استدعوا شعبان المذكور، و ألبسوه أبّهة السلطنة و أركبوه بشعار الملك و مشت الأمراء بخدمته، و الجاوشيّة تصيح بين يديه على العادة، حتى قرب من الإيوان لعب الفرس تحته و جفل من صياح الناس، فنزل عنه و مشى خطوات بسرعة إلى أن طلع إلى الإيوان فتفاءل الناس بنزوله عن فرسه أنّه لا يقيم فى السلطنة إلّا يسيرا. و لمّا طلع الى الإيوان و جلس على الكرسيّ و باسوا الأمراء له الأرض و أحضروا المصحف ليحلفوا له، فحلف هو أوّلا- أنّه لا يؤذيهم، ثم حلفوا له بعد ذلك على العادة. و دقّت البشائر بسلطنته بمصر و القاهرة، و خطب له من الغد على منابر مصر و القاهرة، و كتب بسلطنته إلى الأقطار.

ثم فى يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الآخر المذكور جلس الملك الكامل بدار العدل، و جدّد له العهد من الخليفة بحضرة القضاة و الأمراء، و خلع على الخليفة و على القضاة و الأمراء، و كتب بطلب الأمير آق سنقر الناصرى من طرابلس و سأل

الأمير قمارى الأستادار أن يستقرّ عوضه فى نيابة طرابلس، فتشفّع قمارى المذكور بأرغون العلائى و ملكتمر الحجازىّ فأجيب إلى ذلك؛ ثم تغيّر ذلك و خلع عليه فى يوم الخميس حادى عشرة بنيابة طرابلس فخرج من فوره على البريد. و خلع على الأمير أرقطاى و استقرّ فى نيابة حلب عوضا عن يلبغا اليحياوى، و خرج أيضا على البريد، و كتب يطلب اليحياوى، ثم طلب الأمير آل ملك نائب السلطنة الإعفاء من النيابة و قبل الأرض، و سأل فى نيابة الشام عوضا عن طقزدمر الحموىّ و أن ينتقل طقزدمر إلى مصر فاجيب إلى ذلك، و كتب بعزل طقزدمر عن نيابة الشام و إحضاره الى الديار المصريّة.

و فى يوم السبت ثالث عشرة خلع السلطان الملك الكامل على الأمير الحاج آل ملك نائب السلطنة باستقراره فى نيابة الشام عوضا عن طقزدمر، و أخرج من يومه على البريد، فلم يدخل مدينة غزّة لسرعة توجّهه، و بينما هو سائر إلى دمشق لحقه البريد بتقليده نيابة صفد، و سبب ذلك أنّ أرغون العلائى لمّا قام فى أمر الملك الكامل شعبان هذا و فى سلطنته قال له الحاج آل ملك: بشرط ألّا يلعب بالحمام، فلمّا بلغ ذلك شعبان نقم عليه، فلمّا ولى دمشق استكثرها عليه و حوّله إلى نيابة صفد. و رسم للأمير يلبغا اليحياوى نائب حلب كان، باستقراره فى نيابة الشام.

ثم أخذ السلطان الملك الكامل فى تدبير مملكته و النظر فى أمور الدولة فأنعم بإقطاع أرقطاى على الأمير أرغون شاه، و استقرّ أستادارا عوضا عن قمارى المستقرّ فى نيابة طرابلس. و أخرج السلطان الأمير أحمد شادّ الشرابخاناه هو و إخوته من

أجل أنهم كانوا ممّن قام مع الأمير آل ملك هم و قمارى الأستادار فى منع سلطنة الملك الكامل هذا. ثم خلع السلطان على علم الدين عبد اللّه بن أحمد بن إبراهيم بن زنبور باستقراره ناظر الخواصّ عوضا عن الموفّق عبد اللّه بن إبراهيم، و عنى الأمير أرغون العلائى بالموفّق حتّى نزل إلى داره بغير مصادرة.

ثم قدم الأمير آق سنقر الناصرىّ المعزول عن نيابة طرابلس فخلع السلطان عليه، و سأله بنيابة السلطنة بالديار المصرية فامتنع أشدّ امتناع، و حلف أيمانا مغلّظة أنه لا يليها فأعفاه السلطان فى ذلك اليوم.

ثم بدا للسلطان أن يخطب بنت بكتمر الساقى فامتنعت أمّها من إجابته و احتجّت عليه بأنّ ابنتها تحته و لا يجمع بين أختين و أنّه بتقدير أن يفارق أختها، فإنّه أيضا قد شغف باتّفاق العوّادة جارية أخيه الملك الصالح شغفا زائدا، ثم قالت: و مع ذلك فقد ضعف حال المخطوبة من شدّة الحزن، فإنّه أوّل من أعرس عليها آنوك ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، و كان لها ذلك المهمّ العظيم، و مات آنوك عنها و هى بكر فتزوّجها من بعده أخوه الملك المنصور أبو بكر، فقتل فتزوّجها بعد الملك المنصور أخوه السلطان الملك الصالح إسماعيل و مات عنها أيضا، فحصل لها حزن شديد من كونه تغيّر عليها عدّة أزواج فى هذه المدّة اليسيرة، فلم يلفت الملك الكامل إلى كلامها و طلّق أختها، و أخرج جميع قماشها من عنده فى ليلته، ثم عقد عليها و دخل بها.

ثم أنعم السلطان على ابن طشتمر حمّص أخضر بإمرة مائة و تقدمة ألف بالديار المصريّة، و على ابن أصلم بإمرة طبلخاناه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۲۰

ثم فى مستهلّ جمادى الأولى خلع السلطان الملك الكامل على جميع الأمراء المقدّمين و الطبلخانات، و أنعم على ستين مملوكا بستين قباء بطرز زركش و ستين حياصة ذهب، و فرّق الخيول على الأمراء برسم نزول الميدان.

ثم رسم السلطان ان يتوفّر إقطاع النيابة للخاصّ، و خلع على الأمير بيغرا و استقرّ حاجبا كبيرا. ثم نزل السلطان إلى الميدان على العادة، فكان لنزوله يوم مشهود.

و خلع على الشريف عجلان بن رميثة بن أبى نمىّ الحسنىّ باستقراره أمير مكّة. ثم عاد السلطان إلى القلعة.

و فى يوم السبت خامس عشرين جمادى الأولى قدم الأمير طقزدمر من الشام إلى القاهرة مريضا فى محفّة بعد أن خرج الأمير أرغون العلائى و صحبته الأمراء إلى لقائه، فوجدوه غير واع، و دخل عليه الأمراء و قد أشفى على الموت، و لمّا دخل طقزدمر إلى القاهرة على تلك الحالة أخذ أولاده فى تجهيز تقدمة جليلة للسلطان تشتمل على خيول، تحف و جواهر فقبلها السلطان منهم و وعدهم بكلّ خير.

و فيه أنعم السلطان على الأمير أرغون الصالحىّ بتقدمة ألف، و رسم أن يقال له: أرغون الكاملى، و وهب له فى أسبوع ثلثمائة ألف درهم و عشرة آلاف اردبّ من الأهراء؛ و رسم له بدار أحمد شادّ الشّربخاناه، و أن يعمّر له

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۲۱

بجواره من مال السلطان قصر على بركة الفيل، و يطل على الشارع فعمل له ذلك.

قلت: و البيت المذكور هو الذى كان يسكنه الملك الظاهر جقمق و تسلطن منه، ثم سكنه الملك الأشرف إينال و تسلطن منه و هو تجاه الكبش. انتهى.

و فى يوم الخميس مستهلّ جمادى الآخرة ركب السلطان الملك الكامل لسرحة سرياقوس و معه عساكره على العادة و أخذ حريمه صحبته، فنصب لهنّ أحسن الخيم فى البساتين.

ثم فى يوم الجمعة قدم أولاد طقزدمر على السلطان بسرياقوس بخبر وفاة أبيهم طقزدمر، فلم يمكّن السلطان الأمراء من العود إلى القاهرة للصلاة عليه، و رسم بإخراجه فأخرج و دفن بخانقاته بالقرافة، و أخذت خيله و جماله و هجنه إلى الإسطبل السلطانىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۲۲

ثم خلع السلطان على الأمير أرسلان بصل، و استقرّ حاجبا ثانيا مع بيغرا، و رسم له أن يحكم بين الناس، و لم تكن العادة جرت بذلك أن يحكم الحجّاب بين الناس غير حاجب الحجّاب.

قلت: كان الحجّاب يوم ذاك كهيئة رءوس النّوب الصّغار الآن. انتهى.

و خلع على الأمير ملكتمر السّرجوانىّ باستقراره فى نيابة الكرك و أنعم بتقدمته على الأمير طشتمر طلليه و أنعم بطبلخانات طشتمر طلليه على الأمير قبلاى.

ثم قدم على السلطان الخبر بموت أخيه الملك الأشرف كچك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون عن اثنتى عشرة سنة، و اتّهم السلطان أنّه بعث من سرياقوس من قتله فى مضجعه على يد أربعة خدّام طواشيّة، فعظم ذلك على الناس قاطبة.

ثم عاد السلطان من سرياقوس إلى القلعة بعد ما تهتّكت المماليك السلطانية من شرب الخمور و الإعلان بالفواحش و ركبوا فى الليل و قطعوا الطريق على المسافرين و اغتصبوا حريم الناس. ثم أخذ السلطان الملك الكامل فى تجديد المظالم و المصادرات.

ثم قدم البريد على السلطان بأنّ الشيخ حسنا صاحب بغداد واقع سلطان شاه و أولاد تمرداش و انتصر الشيخ حسن و حصر سلطان شاه بماردين و أخذ ضياعها.

ثم إن السلطان الملك الكامل بدا له أن ينشئ مدرسته موضع خان الزكاة، و نزل الأمير أرغون العلابى و الوزير لنظره، و كان أبوه الملك الناصر محمد قد وقفه فلم يوافق القضاة على حلّه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۲۳

و فى مستهلّ شعبان عمل السلطان مهمّه على بنت الأمير طقزدمر الحموى سبعة أيام. و فى مستهلّ شوّال رسم السلطان للأمير أرغون الكاملىّ بزيارة القدس و أنعم عليه بمائة ألف درهم، و كتب إلى نوّاب الشام بالركوب لخدمته، و حمل التقادم و تجهير الإقامات له فى المنازل إلى حين عوده؛ و رسم له أن ينادى بمدينة بلبيس و أعمالها أنّه من قال عنه: أرغون الصغير شنق، و ألّا يقال له إلّا أرغون الكاملى، فشهر النّداء بذلك فى الأعمال.

و فى هذه الأيام كثر لعب الناس بالحمام و كثر جرى السّعاة، و تزايد شلّاق الزّعر و تسلّط عبيد الطواشيّة على الناس، و صاروا كلّ يوم يقفون للضراب فتسفك بينهم دماء كثيرة. و نهبت الحوانيت بالصّليبة خارج القاهرة، و إذا ركب إليهم الوالى لا يعبئون به، و إن قبض على أحد منهم أخذ من يده سريعا، فاشتد قلق الناس من ذلك.

ثم اخترع السلطان شيئا لم يسبق إليه، و هو أنّه أعرس السلطان بعض الطواشيّة ببعض سراريه بعد عقده عليها، و عمل له السلطان مهمّا حضره جميع جوارى بيت السلطان، و جليت العروس على الطواشى، و نثر السلطان عليها وقت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۲۴

الجلاء الذهب بيده، فكانت هذه الحادثة من أشنع ما يكون، و عظم ذلك على سائر أعيان الدولة.

و فى ذى الحجّة كثرت الإشاعة باتفاق الأمير آل ملك نائب صفد مع الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام لورود بعض مماليك آل ملك هاربا منه كونه شرب الخمر و أشاع هذا الخبر فرسم السلطان بإخراج منجك اليوسفى السلاح دار على البريد لكشف الخبر فلمّا توجه منجك إلى الشام حلف له نائب الشام أنه برىء ممّا قيل عنه، و أنعم على منجك بألفى دينار سوى الخيل و القماش.

ثم نودى بالقاهرة بألّا يعارض أحد من لعّاب الحمام و أرباب الملاعيب و السعاة، فتزايد الفساد و شنع الأمر، كلّ ذلك لمحبّة السلطان فى هذه الأمور.

ثم ندب السلطان الأمير طقتمر الصالحىّ للتوجّه إلى الشام على البريد ليوقّع الحوطة على جميع أرباب المعاملات، و أصحاب الرّزق و الرواتب بالبلاد الشامية من الفرات إلى غزّة و ألّا يصرف لأحد منهم شيئا و أن يستخرج منهم و من الأوقاف و أرباب الجوامك ألف ألف درهم برسم سفر السلطان إلى الحجاز، و يشترى بذلك الجمال و نحوها، فكثر الدعاء على السلطان من أجل ذلك، و تغيّرت الخواطر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۲۵

و فى هذه الأيام كتب بإحضار الأمير آل ملك نائب صفد إلى القاهرة ليستقرّ على إقطاع الأمير چنكلى بن البابا بعد موته و توجّه لإحضاره الأمير منجك السلاحدار.

ثم فى يوم السبت تاسع عشرين ذى الحجة أمسك أينبك أخو قمارى ثم عفى عنه من يومه. ثم كتب باستقرار الأمير أراق الفتّاح نائب غزّة فى نيابة صفد بعد عزل آل ملك. و أمّا الأمير منجك فإنّه وصل إلى صفد فى أوّل المحرم من سنة سبع و أربعين و سبعمائة، و استدعى آل ملك فخرج معه إلى غزّة، فقبض عليه بها فى اليوم المذكور، و قيل بل فى سادس عشرين ذى الحجة من سنة ست و أربعين. انتهى.

ثم فى أول المحرّم المذكور قدم إلى جهة القاهرة الأمير ملكتمر السّرجوانىّ من نيابة الكرك فمات بمسجد التّبن خارج القاهرة و دفن بتربته. ثم قدم إلى القاهرة الأمير أحمد بن آل ملك فقبض عليه و سجن من ساعته. و خلع السلطان على الأمير أسندمر العمرىّ باستقراره فى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير قمارى.

و فى يوم الاثنين سادس المحرّم قدم الأمير آل ملك و الأمير قمارى نائب طرابلس مقيّدين إلى قليوب و ركبا النيل إلى الإسكندريّة فاعتقلا بها. و كان الأمير طقتمر الصّلاحىّ قبض على قمارى لمّا توجّه للحوطه على أملاك الشام، و قيّده و بعثه على البريد. ثم ندب السلطان الأمير مغلطاى الأستادار لإيقاع الحوطة على موجود آل ملك، و ندب الطواشى مقبلا التّقوىّ لإيقاع الحوطة على موجود قمارى نائب طرابلس، و ألزم مباشريهما بحمل جميع أموالهما، فوجد لآل ملك قريب ثلاثين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۲۶

ألف إردب غلّة، و ألزم مولده بمائة ألف درهم، و أخذ لزوجته خبيّة فيها أشياء جليلة، و أخذ أيضا لزوجة قمارى صندوقا فيه مال جليل.

ثم خلع السلطان على الأمير أرسلان بصل الحاجب الثانى فى نيابة حماة عوضا عن أرقّطاى و كتب بقدوم أرقطاى، فقدم أرقطاى إلى القاهرة فأنعم عليه السلطان بإقطاع چنكلى بن البابا بعد وفاته، و استقرّ رأس الميمنة مكان چنكلى. ثم خلع السلطان على زوج أمّه الأمير أرغون العلائى و استقرّ فى نظر البيمارستان المنصوريّ عوضا عن الأمير چنكلى بن البابا فنزل إليه أرغون العلائى و أصلح أموره، و أنشأ بجوار باب البيمارستان المذكور سبيل ماء و مكتب سبيل لقراءة الأيتام، و وقف عليه وقفا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۲۷

ثم خلع السلطان على الأمير نجم الدين محمود [بن علىّ] بن شروين وزير بغداد و أعيد إلى الوزارة بالديار المصريّة، و كان لها مدّة شاغرة، و خلع على علم الدين عبد اللّه ابن زنبور و استقرّ ناظر الدولة عوضا عن ابن مراجل.

و فى هذه الأيام انتهت عمارة قصر الأمير أرغون الكاملىّ بالجسر الأعظم تجاه الكبش، بعد أن صرف عليه مالا عظيما، و أخذ فيه من بركة الفيل نحو العشرين ذراعا، فلمّا عزم أرغون إلى النزول إليه مرض فقلق السلطان لمرضه و بعث إليه بفرس و ثلاثين ألف درهم يصدّق بها عنه. و أفرج عن أهل السجون، و ركب السلطان لعيادته بالميدان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۲۸

ثم اهتمّ السلطان بسفره إلى الحجاز و أخذ فى تجهيز أحواله. و فى يوم الجمعة رابع عشر صفر ولد للسلطان ولد ذكر من بنت الأمير بكتمر الساقى.

ثم فى يوم السبت ثانى عشرين صفر أفرج السلطان عن الأمير أحمد بن آل ملك و عن أخى قمارى و أمرهما بلزوم بيتهما.

و فى أوّل شهر ربيع الأوّل توجّه السلطان إلى سرياقوس و أحضر الأوباش فلعبوا قدّامه باللّبخة و هى عصىّ كبار، حدث اللعب بها فى هذه الأيام، و لمّا لعبوا بها بين يديه قتل رجل رفيقه، فخلع السلطان على بعضهم و أنعم على كبيرهم بخبز فى الحلقة، و استمرّ السلطان يلعب بالكرة فى كلّ يوم و أعرض عن تدبير الأمور، فتمرّدت المماليك و أخذوا حرم الناس و قطعوا الطريق و فسدت عدّة من الجوارى، و كثرت الفتن حتّى بلغ السلطان فلم يعبأ بما قيل له، بل قال: خلّوا كلّ أحد يعمل ما يريد. فلمّا فحش الأمر قام الأمير أرغون العلائى فيه مع السلطان حتّى عاد إلى القلعة و قد تظاهر الناس بكلّ قبيح و نصبوا أخصاصا بالجزيرة الوسطانيّة و جزيرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۲۹

بولاق سمّوها حليمة، بلغ مصروف كلّ حصّ منها من ألفين إلى ثلاثة آلاف درهم، و كان هذا المبلغ يوم ذاك بحقّ ملك هائل. و عمل فى الأخصاص الرّخام و الدّهان البديع، و زرع حوله المقاثئ و الرياحين و أقام بالأخصاص المذكورة معظم الناس من الباعة و التّجّار و غيرهم، و كشفوا سترا لحياء، و ما كفّوا فى التهتّك فى حليمة و الطمية و تنافسوا فى أرضها، حتّى كان كلّ قصبة قياس تؤجّر بعشرين درهما،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۳۰

فبلغ أجرة الفدّان الواحد ثمانية آلاف درهم، فأقاموا على ذلك ستة أشهر، حتى زاد الماء و غرقت الجزيرة، و قبل مجيء الماء بقليل

قام الأمير أرغون العلائى فى هدمها قياما عظيما، و حرق الأخصاص على حين غفلة و ضرب جماعة و شهّرهم فتلف بها مال عظيم جدا.

و فى هذه الأيام قلّ ماء النيل حتى صار ما بين المقياس و مصر يخاض، و صار من بولاق إلى منشأة المهرانىّ طريقا يمشى فيه، و من بولاق الى جزيرة الفيل و إلى المنية طريقا واحدا. و بعد الماء على السقّايين و صاروا يأخذون الماء من تجاه قرية منبابة، و بلغت راوية الماء إلى درهمين بعد ما كانت بنصف درهم و ربع درهم. فشكا الناس ذلك إلى أرغون العلائى فبلّغ السلطان غلاء الماء بالمدينة و انكشاف ما تحت بيوت البحر، فركب السلطان و معه الأمراء و كثير من أرباب الهندسة، حتّى كشف ذلك، فوجدوا الوقت فيه قد فات لزيادة النيل، و اقتضى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۳۱

الرأى أن ينقل التراب و الشقاف من مطابخ السّكّر بمدينة مصر و ترمى من برّ الجيزة إلى المقياس حتى يصير جسرا يعمل عليه العمل، حتى يدفع الماء إلى الجهة التى يحسر عنها، فنقلت الأتربة فى المراكب و ألقيت هناك إلى أن بقى جسرا ظاهرا و تراجع الماء قليلا إلى برّ مصر، فلما قويت الزيادة علا الماء على هذا الجسر و أخذه و محا أثره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۳۲

و فى هذه الأيام لعب السلطان الكرة مع الأمراء فى الميدان من القلعة فاصطدم الأمير يلبغا الصالحى مع آخر سقطا معا عن فرسيهما إلى الأرض، و وقع فرس يلبغا على صدره فانقطع نخاعه و مات لوقته فأنعم السلطان بإقطاعه على قطلوبغا الكركىّ.

ثم فى هذه الأيام اشتدّت المطالبة على أهل النواحى بالجمال و الشعير و الأعدال و الأخراج لسبب سفر السلطان إلى الحجاز و كثرت مغارمهم إلى الولاة و شكا أرباب الإقطاعات ضررهم للسلطان فلم يلتفت لهم، فقام فى ذلك الأمير أرغون شاه الأستادار مع الأمير أرغون العلائى فى التحدّث مع السلطان فى إبطال حركة السفر فلم يصغ لقولهم، و كتب باستعجال العربان بالجمال و استحثاث طقتمر الصّلاحىّ فيما هو فيه بصدد السفر.

ثم أوقع السلطان الحوطة على أموال الطّواشى عرفات و أخرج عرفات إلى الشام منفيّا. ثم قصد السلطان أخذ أموال الطواشى كافور الهندىّ، فشفعت فيه خوند طغاى زوجة الملك الناصر محمد بن قلاوون؛ و كان كافور المذكور من خواصّ خدّام الملك الناصر محمد بن قلاوون فأخرج كافور إلى القدس، و كافور المذكور هو صاحب التّربة بقرافة مصر، ثم نفى السلطان أيضا ياقوتا الكبير الخادم، و كافورا المحرم و سرورا الدّامينىّ، ثم نفى دينارا الصوّاف و مختصّا الخطائى.

ثم فى أوّل شهر ربيع الآخر مات ولد السلطان من بنت بكتمر الساقى و ولد له من اتّفاق العوّادة حظيّة أخيه ولد سمّاه شاهنشاه و سرّ به سرورا عظيما زائدا، و عمل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۳۳

مهمّا عظيما مدة سبعة أيام. ثم مات أخوه يوسف ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون و اتّهم السلطان أيضا بقتله.

ثم قدم طقتمر الصلاحىّ من الشام بالقماش المستعمل برسم الحجاز. ثم قدم كتاب يلبغا اليحياوىّ نائب الشام يتضمّن خراب بلاد الشام مما أنفق بها من أخذ الأموال و انقطاع الجالب إليها، و الرأى تأخير سفر السلطان إلى الحجاز الشريف فى هذه السنة، فقام الأمير أرغون العلائى و ملكتمر الحجازىّ فى تصويب رأى نائب الشام و ذكرا للسلطان أيضا ما حدث ببلاد مصر من نفاق العربان و ضرر الزروع و كثرة مغارم البلاد، و ما زالا به حتى رجع عن سفر الحجاز فى هذه السنة، و كتب إلى نائب الشام بقبول رأيه، و كتب للأعمال باسترجاع ما قبضته العرب من كراء الأحمال و غير ذلك، فلم يوافق هذا غرض نساء السلطان و والدته، و أخذت فى تقوية عزمه على السفر للحجاز حتى مال اليهم، و كتب لنائب الشام و حلب و غيرها أنّه لا بدّ من سفر السلطان إلى الحجاز فى هذه السنة، و أمرهم بحمل ما يحتاج اليه، و وقع الاهتمام، و تجدّد الطّلب على الناس و غلاء الأسعار، و توقّفت الأحوال و قلّ الواصل من كل شىء.

و أخذ الأمراء فى أهبة السفر صحبة السلطان إلى الحجاز، و قلقوا لذلك، و سألوا أرغون العلائى و ملكتمر الحجازىّ فى الكلام مع السلطان فى إبطال السفر و معرفته رقّة حالهم من حين تجاريدهم إلى الكرك فى نوبة الملك الناصر أحمد، فكلّما السلطان فى ذلك فاشتدّ غضبه و أطلق لسانه، فما زالا به حتى سكن غضبه. و رسم من الغد لجميع الأمراء بالسفر، و من عجز عن السفر يقيم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۳۴

بالقاهرة، فاشتدّ الأمر على الناس بمصر و الشام من كثرة السّخر، و كثر دعاؤهم على السلطان، و تنكّرت قلوب الأمراء، و كثرت الإشاعة بتنكّر السلطان على نائب الشام، و أنّه يريد مسكه حتّى بلغه ذلك، فاحترز على نفسه، و بلغه قتل يوسف ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، و قوّة عزم السلطان على سفر الحجاز موافقة لأغراض نسائه، فجمع أمراء دمشق، و حلّفهم على القيام معه، و برز إلى ظاهر دمشق فى نصف جمادى الأولى و أقام هناك و حضر إليه الأمير طرنطاى البشمقدار نائب حمص و الأمير أراق الفتّاح نائب صفد و الأمير أسندمر نائب حماة و الأمير بيدمر البدرى نائب طرابلس، فاجتمعوا جميعا بظاهر دمشق مع عسكر دمشق لخلع الملك الكامل شعبان هذا، و ظاهروا بالخروج عن طاعته، و كتب الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام إلى السلطان: بأنى أحد الأوصياء عليك، و أنّ مما قاله السلطان السعيد الشهيد، رحمه اللّه تعالى، (يعنى عن الملك الناصر) لى و للأمراء فى وصيّته: إذا أقمتم أحدا من أولادى و لم ترضوا بسيرته جرّوا برجله و أخرجوه و أقيموا غيره أحدا، و أنت أفسدت المملكة و أفقرت الأمراء و الأجناد، و قتلت أخاك و قبضت على أكابر أمراء السلطان و اشتغلت عن الملك و التهيت بالنساء و شرب الخمر، و صرت تبيع أخباز الأجناد بالفضّة، و ذكر له أمورا فاحشة عملها، فقدم كتابه إلى القاهرة فى يوم الجمعة العشرين من جمادى الأولى فلما قرأه السلطان تغيّر تغيّرا كبيرا، و أوقف أرغون العلائى عليه بمفرده، فقال له أرغون العلائى: و اللّه لقد كنت أحسب هذا! و قلت لك فلم تسمع قولى، و أشار عليه بكتمان هذا، و كتب الجواب يتضمّن التلطّف فى القول: و أخرج الأمير منجك اليوسفى على البريد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۳۵

إليه فى ثانى عشرينه، ليرجعه عما عزم عليه، و يكشف أحوال الأمراء. و كتب السلطان إلى أعمال مصر بإبطال السلطان سفر الحجاز فكثرت القالة بين الناس بخروج نائب الشام عن الطاعة، حتى بلغ ذلك الأمراء و المماليك، فأشار أرغون العلائى على السلطان بإعلام الأمراء الخبر، فطلبوا إلى القلعة، و أخذ رأيهم فوقع الاتفاق على خروج العسكر إلى الشام مع الأمير أرقطاى، و معه من الأمراء [منكلى بغا] الفخرى أمير جاندار و آق سنقر الناصرىّ و طيبغا المجدىّ و أرغون الكاملى و أمير علىّ ابن طغريل الطّوغانىّ و ابن طقزدمر و ابن طشتمر و أربعون أمير طبلخاناه، و أربعون أمير عشرة و أربعون مقدّم حلقة، و حملت النفقة إليهم لكلّ مقدّم ألف ألف دينار، ما عدا ثلاثة مقدّمين، لكل مقدّم ثلاثة آلاف دينار. و كتب بإحضار الأجناد من البلاد، فقدم كتاب منجك من الغور بموافقة نوّاب الشام إلى نائب الشام، و أن التجريدة إليه لا تفيد، فإنّه يقول: إن أمراء مصر معه.

ثم قدم كتاب نائب الشام ثانيا، و فيه خطّ الأمير مسعود بن خطير و أمير علىّ بن قراسنقر و قلاوون و حسام الدين البشمقدار يتضمّن أنّك لا تصلح للملك، و إنما أخذته

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۳۶

بالغلبة من غير رضا الأمراء- ثم عدّد ما فعله- و نحن ما بقينا نصغى لك و أنت ما تصغى لنا، و المصلحة أن تعزل نفسك من الملك ليتولّى غيرك، فلمّا سمع السلطان ذلك استدعى الأمراء و حلفهم على طاعته ثم أمرهم بالسفر فخرجوا من الغد و خرج طلب منكلى بغا و بعده أرغون الكاملىّ، فعند ما وصل طلب أرغون إلى تحت القلعة خرجت ريح شديدة ألقت شاليش أرغون الكاملىّ على الأرض، فصاحت العامّة: راحت عليكم يا كامليّة و تطيّروا بأنّهم غير منصورين. ثم أخذ الأمراء المجرّدون فى الخروج شيئا بعد شىء. و قدم حلاوة الأوجاقى يخبر بأنّ منجك ساعة وصوله إلى دمشق قبض عليه الأمير يلبغا نائب الشام و سجنه بقلعة دمشق، فبعث السلطان بالطواشى سرور الزّبنىّ لإحضار أخوى السلطان، و هما أمير حاجّ و أمير حسين فاعتذرا بوعكهما و بعث أمهاتهما إلى العلائىّ و

الحجازىّ تسألانهما فى التلطّف مع السلطان فى أمرهما، و بلّغت العلائىّ بعض جوارى زوجته أمّ السلطان بأنها سمعت السلطان و قد سكر و كشف رأسه و هو يقول: «يا إلهى أعطيتنى الملك و ملّكتنى آل ملك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۳۷

و قمارى، و بقى من أعدائى أرغون العلائى و ملكتمر الحجازى فمكّنّى منهما حتى أبلغ غرضى منهما»، فأقلق أرغون العلائى هذا الكلام. ثم دخل على السلطان فى خلوة فإذا هو متغيّر الوجه مفكّر، فبدره بأن قال له: من جاءك من جهة إخوتى، أنت و الحجازى؟ فعرّفه أن النساء دخلن عليهما [و طلبن] أن يكون السلطان طيّب الخاطر عليهما و يؤمّنهما، فإنّهما خائفان، فرد عليه السلطان جوابا جافيا، و وضع يده فى السيف ليضربه به، فقام أرغون عنه لينجو بنفسه، و عرّف الحجازىّ ما جرى له مع السلطان و شكا من فساد السلطنة، فتوحّش خاطرهما، و انقطع أرغون العلائى عن الخدمة و تعلّل، و أخذت المالیك أيضا فى التنكّر على السلطان، و كاتب بعضهم نائب الشام، و اتّفقوا بأجمعهم، حتى اشتهر أمرهم، و تحدّث به العامّة و ألحّ السلطان فى طلب أخويه، و بعث قطلوبغا الكركىّ فى جماعة حتى هجموا عليهما ليلا، فقامت النساء و منعنهم منهما فهمّ أن يقوم بنفسه حتى يأخذهما، فجىء بهما إليه وقت الظهر من يوم السبت تاسع عشرين جمادى الأولى فأدخلهما إلى موضع و وكّل بهما، و قام العزاء فى الدور السلطانى عليهما، و اجتمعت جوارى الملك الناصر محمد بن قلاوون و أولاده، فلما سمع المماليك صياحهنّ هموا بالثورة و الركوب للحرب و تعبّوا.

فلمّا كان يوم الاثنين مستهلّ جمادى الآخرة خرج طلب أرقطاى مقدّم العساكر المجرّدين إلى الشام حتّى وصل إلى باب زويلة و وقف هو مع الأمراء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۳۸

فى الموكب تحت القلعة، و إذا بالناس قد اضطربوا، و نزل الحجازى سائقا يريد إسطبله، و سبب ذلك أنّ السلطان الملك الكامل جلس بالإيوان على العادة، و قد ثبت مع ثقاته القبض على الحجازى و أرغون شاه إذا دخلا، و كانا جالسين ينتظران الإذن على العادة، فخرج طغيتمر الدوّادار فى الإذن لهما فأشار لهما بعينه أن اذهبا، و كانا قد بلغهما أنّ السلطان قد تنكّر عليهما، فقاما من فورهما و نزلا إلى إسطبلهما و لبسا بمماليكهما و حواشيهما و ركبا و توجّها إلى قبّة النصر، و بعث لحجازىّ يستدعى آق سنقر من سرياقوس، فما تضحّى النهار حتى اجتمعت أطلاب الأمراء بقبّة النصر، فطلب السلطان عند ذلك أرغون العلائى و استشاره فيما يعمل، فأشار عليه بأن يركب بنفسه إليهم، فركب السلطان بمماليكه و خاصّكيّته و معه زوج أمّه الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۳۹

أرغون العلانى المذكور و تمر الموساوىّ و عدّة أخر من الأمراء، و القلوب متغيّرة، و دقّت الكوسات حربيا، و دارت النقباء على أجناد الحلقة و المماليك ليركبوا فركب بعضهم و تخاذل بعضهم؛ و سار السلطان فى جمع كبير من العامّة و هو يسألهم الدعاء فأسمعوه مالا يليق، و دعوا عليه، و سار فى نحو ألف فارس لا- غير حتى قابل ملكتمر الحجازىّ و أصحابه من الأمراء و المماليك، فعند المواجهة انسلّ عن السلطان أصحابه، و بقى فى أربعمائة فارس، فبرز له آق سنقر، و ساق حتى قارب السلطان و تحدّث معه و أشار عليه بأن ينخلع من السلطنة فأجابه إلى ذلك و بكى، فتركه آق سنقر و عاد إلى الأمراء و عرّفهم بأنه أجاب أن يخلع نفسه، فلم يرض أرغون شاه، و بدر و معه الأمير قرابغا و الأمير صمغار و الأمير بزلار و الأمير غرلو فى أصحابهم حتى وصلوا إلى السلطان و سيّروا إلى أرغون العلائى ليأتيهم ليأخذوه إلى عند الأمراء فلم يوافق العلائى على ذلك، فهجموا عليه و مزّقوا من كان معه من مماليكه و أصحابه. ثم ضرب واحد منهم أرغون العلائى بدبّوس حتى أرماه عن فرسه إلى الأرض، فضربه الأمير بيبغا أروس بسيف قطع خدّه، فانهزم عند ذلك عسكر السلطان، و فرّ الملك الكامل شعبان إلى القلعة و اختفى عند امه روجة الأمير أرغون العلائى، فسار الأمراء إلى القلعة فى جمع هائل و أخرجوا أمير حاج و أمير حسين من سجنهما، و قبّلوا يد أمير حاجّ و خاطبوه بالسلطنة. ثم طلبوا الملك الكامل شعبان من عند أمّه فلم يجدوه فحرّضوا فى طلبه حتى وجدوه مختفيا بين الأزيار، و قد اتّسخت ثيابه من وسخ الأزيار، فأخرجوه بهيئته إلى الرّحبة

ثم أدخلوه إلى الدهيشة فقيّدوه و سجنوه حيث كان أخواه مسجونين و وكّل به قرابغا القاسمىّ و الأمير صمغار.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۴۰

و من غريب الاتفاق أنه كان عمل طعاما لأخويه: أمير حاجّ و حسين حتى يكون غداءهما فى السجن، و عمل سماط السلطان على العادة فوقعت الضّجة، و قد مدّ السّماط، فركب السلطان من غير أكل، فلمّا انهزم و قبض عليه، و أقيم بدله أخوه أمير حاج مدّ السّماط [بعينه له] فأكل منه، و أدخل بطعامه و طعام أخيه أمير حسين إلى الملك الكامل فأكله فى السجن. و استمرّ الملك الكامل المذكور فى السجن إلى يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة سبع و أربعين و سبعمائة قتل وقت الظهر و دفن عند أخيه يوسف ليلة الخميس، فكانت مدّة سلطنته على مصر سنة واحدة و ثمانية و خمسين يوما؛ و قال الصّفدىّ: سنة و سبعة عشر يوما.

و كان من أشرّ الملوك ظلما و عسفا و فسقا. و فى أيامه- مع قصر مدّته- خربت بلاد كثيرة لشغفه باللّهو و عكوفه على معاقرة الخمور، و سمع الأغانى و بيع الإقطاعات بالبذل، و كذلك الولايات، حتى إنّ الإقطاع كان يخرج عن صاحبه و هو حىّ بمال لآخر، فإذا وقف من خرج إقطاعه قيل له نعوّض عليك قد أخرجناه لفلان الفلانى. و كان مع هذا كله سفّاكا للدماء، و لو طالت يده لأتلف خلائق كثيرة، و كان سيئ التدبير، يمكّن النساء و الطواشيّة من التصرّف فى المملكة و التهتّك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۴۱

فى النّزه و الصيد و لعب الكرة بالهيئات الجميلة و ركوب الخيول المسوّمة، مع عدم الاحتشام من غير حجاب من الأمير آخورية و الغلمان، و يعجبه ذلك من تهتّكهنّ على الرجال، فشغف لذلك جماعة كثيرة من الجند بحرمه بما يفعلن من ركوب الخيول و غيرها. و كان حريمه إذا نزلن إلى نزهة بلغت الجرّة الخمر إلى ثلاثين درهما، و هذا كلّه مع شرهه و شره حواشيه و نسائه إلى ما فى أيدى الناس من البساتين و الرّزق و الدواليب و نحوها، فأخذت أمّه معصرة وزير بغداد و منظرته على بركة الفيل، و أشياء غير ذلك. و حدث فى أيامه أخذ خراج الرّزق و زيادة القانون و نقص الأجائر، و أعيدت فى أيامه ضمان أرباب الملاعيب و عدّة مكوس، و كان يحب لعب الحمام، فلما تسلطن تغالى فى ذلك و قرّب من يكون من أرباب هذا الشأن، و مع هذا الظلم و الطمع لم يوجد له من المال سوى مبلغ ثمانين ألف دينار و خمسمائة ألف درهم، إلا أنه كان مهابا شجاعا سيوسا متفقّدا لأحوال مملكته، لا يشغله لهوه عن الجلوس فى المواكب و الحكم بين الناس. و لما أمسك و قتل قال فيه الصفدى:

بيت قلاوون سعاداته فى عاجل كانت و فى آجل [السريع]

حلّ على أملاكه للرّدى دين قد استوفاه بالكامل

*** السنة الأولى من سلطنة الملك الكامل شعبان على مصر و هى سنة ستّ و أربعين و سبعمائة، على أن أخاه الملك الصالح إسماعيل حكم منها إلى رابع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۴۲

شهر ربيع الآخر، ثم حكم الملك الكامل هذا فى باقيها و فى أشهر من سنة سبع كما سيأتى ذكره.

فيها (أعنى سنة ست و أربعين) توفّى السلطان الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون حسب ما تقدّم ذكره فى ترجمته. و فيها أيضا توفّى السلطان الملك الأشرف كچك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد خلعه من السلطنة بسنين، و قد تقدّم ذكر سلطنته أيضا و وفاته فى ترجمته.

و توفّى الأمير سيف الدين طقزدمر بن عبد اللّه الحموىّ الناصرىّ الساقى بالقاهرة فى مستهل جمادى الآخرة، و كان أصله من مماليك الملك المؤيّد عماد الدين إسماعيل الأيّوبىّ صاحب حماة، ثم انتقل إلى ملك الملك الناصر محمد بن قلاوون و حظى عنده و جعله ساقيا، ثم رقّاه حتى صار أمير مائة و مقدّم ألف بالديار المصرية، ثم جعله أمير مجلس و زوّجه بإحدى بناته، و صار من عظماء أمرائه الى أن مات.

و [لمّا] تسلطن ابنه الملك المنصور أبو بكر استقرّ طقزدمر هذا نائب السلطنة بديار مصر، و وقع له أمور حكيناها فى تراجم السلاطين من بنى الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن أخرج إلى نيابة حماة. ثم نقل إلى نيابة حلب، ثم إلى نيابة الشام، ثم طلب إلى القاهرة فى سلطنة الملك الكامل هذا فحضر اليها مريضا فى محفّة و مات بعد أيام حسب ما تقدّم. و كان من أجلّ الأمراء و أحسنهم سيرة. كان عاقلا ديّنا سيوسا، عارفا، و هو صاحب الخانقاه بالقرافة و القنطرة خارج القاهرة على الخليج و غير ذلك مما هو مشهور به.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٠، ص: ١٤٣

و توفّى القاضى بدر الدين محمد ابن القاضى محيى الدين [يحيى] بن فضل اللّه العمرى الدّمشقى، كاتب سرّ دمشق فى سادس عشرين شهر رجب بدمشق. و كان كاتبا فاضلا من بيت فضل و رياسة، و قد تقدّم ذكر جماعة من آبائه و أقاربه، و يأتى ذكر جماعة أخر من أقاربه فى محلهم من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

و توفّى الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد اللّه الأحمدىّ المنصورىّ أمير جاندار فى يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرّم، و هو فى عشر الثمانين. و كان أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون، و أحد أعيان أمراء الديار المصرية، و هو الذى قوّى عزم قوصون على سلطنة الملك المنصور أبى بكر، و كان جار كسىّ الجنس، تنقّل إلى أن صار من أعيان الأمراء بمصر، ثم ولى نيابة صفد و طرابلس، ثم قدم القاهرة و تولّى أمير جاندار. و كان كريما شجاعا ديّنا قوىّ النفس، لم يركب قطّ إلّا فحلا، و لم يركب حجرة و لا إكديشا فى عمره. و كان له ثروة كبيرة، و طالت أيّامه فى السعادة، و خلّف أملاكا كثيرة، أذهب غالبها جماعة من أوباش ذرّيته بالاستبدال و البيع إلى يومنا هذا.

و توفّى الأمير بدر الدين چنكلى [بن محمد بن البابا بن چنكلى] بن خليل ابن عبد اللّه المعروف بابن البابا العجلىّ أتابك العساكر بالديار المصريّة فى عصر يوم الاثنين سابع [عشر] ذى الحجّة. و كان أصله من بلاد الروم، طلبه الملك الأشرف خليل بن قلاوون و كتب له منشورا بالإقطاع الذى عيّنه إليه فلم يتّفق حضوره إلّا فى أيّام الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة أربع و سبعمائة فأمّره و أكرمه،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٠، ص: ١٤٤

و لا زال يرقّيه حتى صار يجلس ثانى آقوش نائب الكرك. ثم بعد آقوش جلس چنكلى هذا رأس الميمنة.

قال الشيخ صلاح الدين: و هو من الحشمة و الدّين و الوقار و عفّة الفرج فى المحلّ الأقصى، و لم يزل معظّما من حين ورد إلى أن مات. و كان ركنا من أركان المسلمين ينفع العلماء و الصلحاء و الفقراء بماله و جاهه، و كان يتفقّه، و يحفظ ربع العبادات. و يقال: إنّ نسبه يتّصل بإبراهيم بن أدهم رضى اللّه عنه، قال: و قلت فيه و لم أكتب به إليه:

[السريع]

لا تنس لى يا قاتلى فى الهوى حشاشة من حرقى تنسلى

لا ترس لى ألقى به فى الهوى سهام عينيك متى ترسلى

لا تخت لى يشرف قدرى به إلّا إذا ما كنت بى تختلى

لا چنك لى تضرب أوتاره إلّا ثنا يملى على چنكلى

و توفّى رميثة و اسمه منجد بن أبى نمىّ محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة ابن أبى غرير إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علىّ ابن عبد اللّه بن محمد بن موسى بن عبد اللّه المحض بن موسى [بن عبد اللّه] بن الحسن ابن الحسن بن علىّ بن أبى طالب الحسنىّ المكىّ أمير مكة بها فى يوم الجمعة ثامن ذى القعدة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٠، ص: ١٤٥

و توفّى الشيخ الإمام فخر الدين أحمد بن الحسين الجاربردى شارح «البيضاوىّ».

و توفّى الشيخ الإمام العلّامة تاج الدين أبو الحسن على بن عبد اللّه [ابن أبى الحسن] ابن أبى بكر الأردبيلىّ الشافعى، مدرّس مدرسة الأمير حسام الدّين طرنطاى المنصورى بالقاهرة. كان فقيها عالما بارعا أفتى و درّس سنين.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج ۱۰؛ ص۱۴۵

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۴۶

و توفّى الشيخ المقرئ تقىّ الدين محمد [بن محمد بن على] بن همام ابن راجى الشافعى إمام جامع الصالح خارج باب زويلة و مصنّف «كتاب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۴۷

سلاح المؤمن». رحمه اللّه.

- أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ست عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و خمس عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۴۸

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۷]

ذكر سلطنة الملك المظفر حاجّى على مصر

السلطان الملك المظفّر زين الدين حاجّى المعروف بأمير حاج ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، و هو السلطان الثامن عشر من ملوك الترك بالديار المصريّة و السادس من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون. جلس على سرير الملك بعد خلع أخيه الملك الكامل شعبان و القبض عليه فى يوم الاثنين مستهلّ جمادى الآخرة سنة سبع و أربعين و سبعمائة. و كان سجنه أخوه الملك الكامل شعبان كما تقدّم ذكره. فلمّا انهزم الملك الكامل من الأمراء بقبّة النصر ساق فى أربعة مماليك إلى باب السرّ من القلعة، فوجده مغلقا و المماليك بأعلاه، فتلطّف بهم حتّى فتحوه له، و دخل إلى القلعة لقتل أخويه حاجّى هذا و معه حسين، لأنهما كانا حبسا معا، فلم يفتح له الخدّام الباب فمضى إلى أمّه فاختفى عندها و صعد الأمراء فى أثره إلى القلعة بعد أن قبضوا على الأمير أرغون العلائىّ و على الطواشى جوهر السّحرتى اللالا و أسندمر الكاملىّ و قطلوبغا الكركىّ و جماعة أخر، و دخل بزلار و صمغار راكبين إلى باب الستارة و طلبا أمير حاج المذكور، فأدخلهما الخدّام إلى الدهيشة حتى أخرجوه و أخاه من سجنهما، و خاطبا أمير حاجّ فى الوقت بالملك المظفّر. ثم دخل إليه الأمير أرغون شاه، و قبّل له الأرض و قال له: بسم اللّه اخرج أنت سلطاننا، و سار به و بأخيه حسين إلى الرحبة و أجلسوه على باب الستارة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۴۹

ثم طلب شعبان حتّى وجد بين الأزيار و حبسوه حيث كان أخواه، و طلبوا الخليفة و القضاة و فوّض عليه الخلعة الخليفتى، و ركب من باب الستارة بأبّهة السلطنة و شعار الملك من باب الستارة إلى الإيوان. و جلس على تخت الملك و حمل المماليك أخاه أمير حسين على أكتافهم إلى الإيوان. و لقّب بالملك المظفّر و قبل الأمراء الأرض بين يديه و حلف لهم أنه لا يؤذى أحدا منهم، ثم حلفوا له على طاعته، و ركب الأمير بيغرا البريد و خرج إلى الشام ليبشّر الأمير يلبغا اليحياوىّ نائب الشام و يحلّفه و يحلّف أيضا أمراء الشام للملك المظفّر.

ثم كتب إلى ولاة الأعمال بإعفاء النواحى من المغارم و رماية الشعير و البرسيم.

ثم حمل الأمير أرغون العلائى إلى الإسكندرية. و فى يوم الأربعاء ثالثه قتل الملك الكامل شعبان و قبض على الشيخ علىّ الدوادار، و

على عشرة من الخدّام الكامليّة، و سلّموا إلى شادّ الدواوين، و سلّم أيضا جوهر السّحرتى و قطلوبغا الكركىّ، و ألزموا بحمل الأموال التى أخذوها من الناس فعذّبوا بأنواع العذاب، و وقعت الحوطة على موجودهم. ثم قبض على الأمير تمر الموساوى، و أخرج إلى الشام.

و أمر بأمّ الملك الكامل و زوجاته فأنزلن من القلعة إلى القاهرة، و عرضت جوارى دار السلطان فبلغت عدّتهن خمسمائة جارية ففرّقن على الأمراء، و أحيط بموجود حظيّة الملك الكامل التى كانت أولا حظيّة أخيه الملك الصالح إسماعيل المدعوّة اتفاق و أنزلت من القلعة، و كانت جارية سوداء حالكة السواد، اشترتها ضامنة المغانى بدون الأربعمائة درهم من ضامنة المغانى بمدينة بلبيس، و علّمتها الضرب بالعود على الأستاذ عبد علىّ العوّاد، فمهرت فيه و كانت حسنة الصوت جيّدة الغناء فقدّمتها لبيت السلطان، فاشتهرت فيه حتى شغف بها الملك الصالح

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۵۰

إسماعيل، فإنه كان يهوى الجوارى السودان و تزوّج بها. ثم لما تسلطن أخوه الملك الكامل شعبان باتت عنده من ليلته، لما كان فى نفسه منها أيام أخيه، و نالت عندهما من الحظّ و السعادة ما لا عرف فى زمانها لامرأة، حتّى إن الكامل عمل لها دائر بيت طوله اثنتان و أربعون ذراعا و عرضه ست أذرع، دخل فيه خمسة و تسعون ألف دينار مصرية، و ذلك خارج عن البشخاناه و المخادّ و المساند، و كان لها أربعون بذلة ثياب مرصّعة بالجواهر، و ستة عشر مقعد زركش، و ثمانون مقنعة، فيها ما قيمته عشرون ألف درهم و أشياء غير ذلك، استولوا على الجميع.

ثم استرجع السلطان جميع الأملاك التى أخذتها حريم الكامل لأربابها. ثم نودى بالقاهرة و مصر برفع الظلامات، و منع أرباب الملاعيب جميعهم.

و خلع السلطان على علم الدين عبد اللّه [بن أحمد بن إبراهيم] بن زنبور بانتقاله من وظيفة نظر الدولة إلى نظر الخاصّ عوضا عن فخر الدين بن السعيد، و قبض على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۵۱

ابن السعيد و خلع على موفّق الدين عبد اللّه بن إبراهيم باستقراره ناظر الدولة عوضا عن ابن زنبور، و خلع على سعد الدين حربا، و استقر فى استيفاء الدولة عوضا عن ابن الرّيشة.

ثم قدم الأمير بيغرا من دمشق بعد أن لقى الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام، و قد برز إلى ظاهر دمشق يريد السير إلى مصر بالعساكر لقتال الملك الكامل شعبان، فلما بلغه ما وقع سرّ سرورا عظيما زائدا بزوال دولة الملك الكامل، و إقامة أخيه المظفّر حاجّى فى الملك، و عاد يلبغا إلى دمشق و حلف للملك المظفر و حلّف الأمراء على العادة، و أقام له الخطبة بدمشق، و ضرب السّكة باسمه، و سير إلى السلطان دنانير و دراهم، و كتب يهنّئ السلطان بجلوسه على تخت الملك، و شكا من نائب حلب و نائب غزة و نائب قلعة دمشق مغلطاى و من نائب قلعة صفد قرمجى، من أجل أنهم لم يوافقوه على خروجه عن طاعة الملك الكامل شعبان، فرسم السلطان بعزل الأمير طقتمر الأحمدى نائب حلب و قدومه إلى مصر، و كتب باستقرار الأمير بيدمر البدرى نائب طرابلس عوضه فى نيابة حلب، و استقرّ الأمير أسندمر العمرىّ نائب حماة فى نيابة طرابلس، و هذا أوّل نائب انتقل من حماة إلى طرابلس، و كانت قديما حماة أكبر من طرابلس، فلما اتّسع أعمالها صارت أكبر من حماة.

ثم كتب السلطان بالقبض على الأمير مغلطاى نائب قلعة دمشق و على قرمجى نائب قلعة صفد. ثم كتب بعزل نائب غزّة، و كان الأمير يلبغا اليحياوىّ لما عاد إلى دمشق بغير قتال عمّر- موضع كانت خيمته عند مسجد القدم- قبّة سمّاها قبّة النصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۵۲

التى تعرف الآن بقبّة يلبغا. ثم خلع السلطان على الطواشى عنبر السّحرتى باستقراره مقدّم المماليك السلطانية، كما كان أولا فى دولة

الملك الصالح عوضا عن محسن الشّهابى. و خلع على مختصّ الرسولى باستقراره زمام دار، و أنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

ثم أنعم السلطان بإقطاع الأمير أرغون العلائى على الأمير أرغون شاه، و أنعم على كلّ من أصلم و أرقطاى بزيادة على إقطاعه، و أنعم على ابن تنكز بإمرة طبلخاناه، و على أخيه الصغير بإمرة عشرة.

ثم فى يوم الاثنين خامس [عشر] جمادى الآخرة أمّر السلطان ثمانية عشر أميرا و نزلوا إلى قبّة المنصوريّة و لبسوا الخلع، و شقّوا القاهرة حتى طلعوا إلى القلعة فكان لهم بالقاهرة يوم مشهود. ثم فى يوم الخميس ثالث شهر رجب خلع السلطان على الأمير أرقطاى باستقراره نائب السلطنة بديار مصر باتفاق الأمراء على ذلك بعد ما امتنع من ذلك تمنعا زائدا، حتى قام الحجازى بنفسه و أخذ السيف، و أخذ أرغون شاه الخلعة و دارت الأمراء حوله، و ألبسوه الخلعة على كره منه، فخرج فى موكب عظيم، حتى جلس فى شبّاك دار النيابة، و حكم بين الناس، و أنعم السلطان عليه- بزيادة على إقطاعه- ناحيتى المطريّة و الخصوص، لأجل سماط النيابة. ثم ركب السلطان بعد ذلك و نزل إلى سرياقوس على العادة كلّ سنة، و خلع على الأمير تمربغا العقيلى باستقراره فى نيابة الكرك عوضا عن الأمير قبلاى. ثم عاد السلطان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۵۳

إلى القلعة، و بعد عوده فى أوّل شهر رمضان مرض السلطان عدّة أيام. ثم فى يوم الاثنين خامس عشرين شهر رمضان خرج الأمير أرغون شاه الأستادار على البريد إلى نيابة صفد، و سبب ذلك تكبّره على السلطان، و تعاظمه عليه و تحكّمه فى الدولة، و معارضته السلطان فيما يرسم به، و فحشه فى مخاطبة السلطان و الأمراء حتّى كرهته النفوس، و عزم السلطان على مسكه فتلطّف به النائب حتّى تركه، و خلع عليه باستقراره فى نيابة صفد، و أخرجه من وقته خشية من فتنة يثيرها، فإنّه كان قد اتفق مع عدّة من المماليك على المخامرة، و أنعم السلطان بإقطاعه على الأمير ملكتمر الحجازى و أعطى ناحية بوتيج زيادة عليه.

ثم فى يوم الأحد أوّل شوّال تزوّج السلطان ببنت الأمير تنكز زوجة أخيه الكامل. و فى آخر شوّال طلبت اتفاق العوّادة إلى القلعة فطلعت بجواريها مع الخدّام و تزوّجها السلطان خفية، و عقد له عليها شهاب الدين أحمد بن يحيى الجوجرى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۵۴

شاهد الخزانة، و بنى عليها من ليلته، بعد ما جليت عليه، و فرش تحت رجليها ستون شقّة أطلس، و نثر عليها الذهب. ثم ضربت بعودها و غنّت فأنعم السلطان عليها بأربعة فصوص و ستّ لؤلؤات، ثمنها أربعة آلاف دينار.

قلت: و هذا ثالث سلطان من أولاد ابن قلاوون تزوّج بهذه الجارية السوداء، و حظيت عنده، فهذا من الغرائب، على أنها كانت سوداء حالكة لا مولّدة، فإن كان من أجل ضربها بالعود و غنائها فيمكن من تكون أعلى منها رتبة فى ذلك و تكون بارعة الجمال بالنسبة إلى هذه. فسبحان المسخّر.

و فى ثانى شوّال أنعم السلطان على الأمير طنيرق مملوك أخيه يوسف بتقدمة ألف بالديار المصريّة دفعة واحدة، نقله من الجنديّة إلى التقدمة لجمال صورته، و كثر كلام المماليك بسبب ذلك. ثم رسم السلطان بإعادة ما كان أخرج عن اتّفاق العوّادة من خدّامها و جواريها، و غير ذلك من الرواتب، و طلب السلطان عبد علىّ العوّاد المغنّى معلّم اتفاق إلى القلعة و غنّى السلطان فأنعم عليه بإقطاع فى الحلقة زيادة على ما كان بيده و أعطاه مائتى دينار و كاملية حرير بفرو سمّور. و انهمك أيضا الملك المظفّر فى اللذات، و شغف باتفاق حتى شغلته عن غيرها و ملكت قلبه، و أفرط فى حبّها، فشقّ ذلك على الأمراء و المماليك و أكثروا من الكلام، حتّى بلغ السلطان، و عزم على مسك جماعة منهم، فما زال به النائب حتى رجع عن ذلك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۵۵

ثم خلع السلطان على قطليجا الحموىّ و استقرّ فى نيابة حماة عوضا عن طيبغا المجدى و خلع أيضا على أيتمش عبد الغنى و استقرّ فى نيابة غزّة، و خرجا من وقتهما على البريد، و كتب بإحضار المجدى، فقدم بعد ذلك إلى القاهرة، و خلع عليه باستقراره أستادار عوضا

عن أرغون شاه المنتقل إلى نيابة صفد.

و فى يوم أوّل محرم سنة ثمان و أربعين و سبعمائة ركب السلطان فى أمرائه الخاصّكيّة و نزل إلى الميدان و لعب بالكرة فغلب الأمير ملكتمر الحجازىّ فى الكرة، فلزم الحجازىّ عمل وليمة فعملها فى سرياقوس، ذبح فيها خمسمائة رأس من الغنم و عشرة أفراس، و عمل أحواضا مملوءة بالسكر المذاب، و جمع سائر أرباب الملاهى و حضرها السلطان و الأمراء، فكان يوما مشهودا. ثم ركب السلطان و عاد، و بعد عوده قدم كتاب الأمير أسندمر نائب طرابلس يسأل الإعفاء فأعفى. و خلع على الأمير منكلى بغا أمير جاندار و استقرّ فى نيابة طرابلس.

و فى هذا الشهر شكا الناس للسلطان من بعد الماء عن برّ مصر و القاهرة، حتى غلت روايا الماء، فرسم السلطان بنزول المهندسين لكشف ذلك، فكتب تقدير ما يصرف على الجسر مبلغ مائة و عشرين ألف درهم، جبيت من أرباب الأملاك المطلّة على النيل، حسابا عن كل ذراع خمسة عشر درهما، فبلغ قياسها سبعة آلاف ذراع و ستمائة ذراع، و قام باستخراج ذلك و قياسه محتسب القاهرة ضياء الدين [يوسف بن أبى بكر محمد الشهيربا] بن خطيب بيت الأبّار.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۵۶

و فى هذه الأيام توقّفت أحوال الدولة من كثرة رواتب الخدّام و العجائز و الجوارى، و أخذهم الرّزق بأرض بهتيم من الضواحى و بأراضى الجيزة و غيرها، بحيث إنه أخذ مقبل الرومى عشرة آلاف فدان.

و فى هذه الأيام رسم السلطان للطواشى مقبل الرومى أن يخرج اتّفاق العوّادة و سلمى و الكركيّة حظايا السلطان من القلعة بما عليهن من الثياب، من غير أن يحملن شيئا من الجوهر و الزّركش، و أن تقلع عصبة اتفاق عن رأسها و يدعها عنده، و كانت هذه العصبة قد اشتهرت عند الأمراء، و شنعت قالتها، فإنه قام بعملها ثلاثة ملوك الإخوة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون: الملك الصالح إسماعيل و الملك الكامل شعبان و الملك المظفّر حاجّى هذا، و تنافسوا فيها و اعتنوا بجواهرها حتّى بلغت قيمتها زيادة على مائة ألف دينار مصريّة.

و سبب إخراج اتّفاق و هؤلاء من الدور السلطانيّة أن الأمراء الخاصّكيّة:

قرابغا و صمغار و غيرهما بلغهما إنكار الأمراء الكبار و المماليك السلطانية شدّة شغف السلطان بالنسوة الثلاث المذكورات و انهماكه على اللهو بهنّ، و انقطاعه إليهن بقاعة الدهيشة عن الأمراء و إتلافه الأموال العظيمة فى العطاء لهنّ و لأمثالهن، و إعراضه عن تدبير الملك، و خوّفوه عاقبة ذلك، فتلطّف بهم و صوّب ما أشاروا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۵۷

به عليه من الإقلاع عن اللهو بالنساء، و أخرجهنّ السلطان و فى نفسه حزازات لفراقهنّ، تمنعه من الهدوء و الصبر عنهنّ، فأحب أن يتعوض عنهن بما يلهيه و يسليه، فاختار صنف الحمام، و أنشأ حضيرا على الدهيشة ركّبه على صوارى و أخشاب عالية، و ملأه بأنواع الحمام، فبلغ مصروف الحضير خاصّة سبعة آلاف درهم، و بينا السلطان فى ذلك قدم جماعة من أعيان الحلبيين و شكوا من الأمير بيدمر البدرى نائب حلب فعزله السلطان بأرغون شاه نائب صفد، و رسم ألّا يكون لنائب الشام عليه حكم، و أن تكون مكاتباته للسلطان، حمل إليه التقليد الأمير طنيرق.

ثم ورد الخبر باختلال مراكز البريد بطريق الشام، فأخذ من كل أمير مقدّم ألف أربعة أفراس، و من كل طبلخاناه فرسان، و من كلّ أمير عشرة فرس واحد، و كشف عن البلاد المرصدة للبريد فوجد ثلاث بلاد منها وقف الملك الصالح إسماعيل، وقف بعضها و أخرج باقيها إقطاعات، فأخرج السلطان عن عيسى بن حسن الهجّان بلدا تعمل فى كل سنة عشرين الف درهم، و ثلاثة آلاف إردب غلّة، و جعلها مرصدة لمراكز البريد.

و استمرّ خاطر السلطان موغرا على الجماعة من الأمراء بسبب اتفاق و غيرها، إلى أن كان يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الأول من سنة

ثمان و أربعين و سبعمائة، كانت الفتنة العظيمة التى قتل فيها ملكتمر الحجازىّ و آق سنقر و أمسك بزلار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۵۸

و صمغار و أيتمش عبد الغنى؛ و سبب ذلك أن السلطان لما أخرج اتّفاق و غيرها، و تشاغل بلعب الحمام صار يحضر إلى الدهيشة الأوباش، و يلعب بالعصا لعب صباح، و يحضر الشيخ على بن الكسيح مع حظاياه يسخر له و ينقل إليه أخبار الناس، فشقّ ذلك على الأمراء و حدّثوا ألجيبغا و طنيرق بأن الحال قد فسد، فعرّفا السلطان ذلك، فاشتدّ حنقه، و أطلق لسانه، و قام إلى السطح و ذبح الحمام بيده بحضرتهما، و قال لهما: و اللّه لأذبحنّكم كما ذبحت هذه الطيور، و أغلق باب الدهيشة، و أقام غضبان يومه و ليلته، و كان الأمير غرلو قد تمكّن من السلطان فأعلمه السلطان بما وقع، فنال غرلو من الأمراء و هوّن أمرهم عليه، و جسّره على الفتك بهم و القبض على آق سنقر، فأخذ السلطان فى تدبير ما يفعله، و قرّر ذلك مع غرلو. ثم بعث طنيرق فى يوم الأربعاء خامس عشر شهر ربيع الآخر إلى النائب يعرّفه أن قرابغا القاسمىّ و صمغار و بزلار و أيتمش عبد الغنى قد اتّفقوا على عمل فتنة، و عزمى أن أقبض عليهم قبل ذلك، فوعده النائب بردّ الجواب غدا على السلطان فى الخدمة، فلمّا اجتمع النائب بالسلطان أشار عليه النائب بالتثبّت فى أمرهم حتّى يصحّ له ما قيل عنهم.

ثم أصبح فعرّفه السلطان فى يوم الجمعة بأنه صح عنده ما قيل بإخبار بيبغا أرس أنهم تحالفوا على قتله، فأشار عليه النائب أن يجمع بينهم و بين بيبغا أرس، حتى يحاققهم بحضرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۵۹

الأمراء يوم الأحد، و كان الأمر على خلاف هذا، فإنّ السلطان كان اتّفق مع غرلو و عنبر السّحرتى مقدّم المماليك على مسك آق سنقر و ملكتمر الحجازى فى يوم الأحد.

فلمّا كان يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر المذكور حضر الأمراء و النائب إلى الخدمة على العادة بعد العصر و مدّ السماط؛ و إذا بالقصر قد ملئ بالسيوف المسلّلة من خلف آق سنقر و الحجازى، و أحيط بهما و بقرابغا، و أخذوا إلى قاعة هناك، فضرب ملكتمر الحجازىّ بالسيوف و قطّع هو و آق سنقر قطعا، و هرب صمغار و أيتمش عبد الغنى، فركب صمغار فرسه من باب القلعة، و فرّ إلى القاهرة، و اختفى أيتمش عند زوجته، و خرجت الخيل وراء صمغار حتى أدركوه خارج القاهرة؛ و أخذ أيتمش من داره فارتجّت القاهرة، و غلّقت الأسواق و أبواب القلعة، و كثر الإرجاف إلى أن خرج النائب و الوزير قريب المغرب، و طلبا الوالى و نودى بالقاهرة، فاشتهر ما جرى بين الناس، و خاف كلّ أحد من الأمراء على نفسه.

ثمّ أمر السلطان بالقبض على مرزة علىّ و على محمد بن بكتمر الحاجب و أخيه و على أولاد أيدغمش [و أولاد قمارى، و أخرجوا الجميع إلى الإسكندرية هم و بزلار و أيتمش] و صمغار، لأنهم كانوا من ألزام الحجازى و معاشريه، فسجنوا بها، و أخرج آق سنقر و ملكتمر الحجازى فى ليلة الاثنين العشرين من شهر ربيع الآخر على جنويّات فدفنا بالقرافة. و أصبح الأمير شجاع الدين غرلو و جلس فى دست عظيم، ثم ركب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۶۰

و أوقع الحوطة على بيوت الأمراء المقتولين و الممسوكين و على أموالهم، و طلع بجميع خيولهم إلى الإسطبل السلطانىّ، و ضرب عبد العزيز الجوهرى صاحب آق سنقر و عبد المؤمن أستاداره بالمقارع، و أخذ منهما مالا جزيلا، فخلع السلطان على الأمير غرلو قباء من ملابسه بطرز زركش عريض، و أركبه فرسا من خاصّ خيل الحجازى بسرج ذهب و كنبوش زركش.

ثم خلا به يأخذ رأيه فيما يفعل فأشار عليه بأن يكتب إلى نوّاب الشام بما جرى، و يعدّد لهم ذنوبا كثيرة، حتى قبض عليهم، فكتب إلى الأمير يلبغا اليحياوىّ نائب الشام على يد الأمير آق سنقر المظفّرى أمير جاندار، فلما بلغ يلبغا الخبر كتب الجواب يستصوب ما فعله فى الظاهر، و هو فى الباطن غير ذلك، و عظم عليه قتل الحجازى و آق سنقر إلى الغاية. ثم جمع يلبغا أمراء دمشق بعد يومين بدار السعادة

و أعلمهم الخبر، و کتب إلی النّوّاب بذلک، و بعث الأمیر ملک آص إلی حمص و حماة و حلب، و بعث الأمیر طیبغا القاسمیّ إلی طرابلس.

ثم انتقل فی یوم الجمعة مستهلّ جمادی الأولی إلی القصر بالمیدان فنزل به، و نزل ألزامه حوله بالمیدان، و شرع فی الاستعداد للخروج عن طاعة الملک المظفّر هذا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۶۱

و أما السلطان الملک المظفّر فإنه أخذ بعد ذلک یستمیل المماليک السلطانیّة بتفرقة المال فیهم، و أمّر منهم جماعة، و أنعم علی غرلو بإقطاع أیتمش عبد الغنی و أصبح غرلو هو المشار إلیه فی المملکة، فعظمت نفسه إلی الغایة.

ثم أخرج السلطان ابن طقزدمر علی إمرة طبلخاناه بحلب و أنعم بتقدمته علی الأمیر طاز، و تولّی غرلو بیع قماش الأمراء و خیولهم، و صار السلطان یتخوّف من النوّاب بالبلاد الشامیة إلی أن حضرت أجوبتهم بتصویب ما فعله، فلم یطمئنّ بذلک، و رسم بخروج تجریدة إلی البلاد الشامیة، فرسم فی عاشر جمادی الأولی بسفر سبعة أمراء من المقدّمین بالدیار المصریّة، و هم الأمیر طیبغا المجدیّ و بلک الجمدار و الوزیر نجم الدین محمود بن شروین و طنغرا و أیتمش الناصری الحاجب و کوکای و الزّرّاق و معهم مضافوهم من الأجناد، و طلب الأجناد من النواحی، و کان وقت إدراک المغلّ، فصعب ذلک علی الأمراء، و ارتجّت القاهرة بأسرها لطلب السلاح و آلات السفر.

ثم کتب السلطان إلی أمراء دمشق ملطّفات علی أیدی النّجّابة بالتیقّظ بحرکات الأمیر یلبغا الیحیاویّ نائب الشام. ثم أشار النائب علی السلطان بطلب یلبغا لیکون بمصر نائبا أو رأس مشورة فإن أجاب و إلّا أعلم بأنه قد عزل عن نیابة الشام بأرغون شاه نائب حلب، فکتب السلطان فی الحال یطلبه علی ید أرای أمیر آخور، و عند سفر أرای قدمت کتب نائب طرابلس و نائب حماة و نائب صفد علی السلطان بأنّ یلبغا دعاهم للقیام معه علی السلطان لقتل الأمراء، و بعثوا بکتبه إلیه فکتب السلطان لأرغون شاه نائب حلب أن یتقدّم لعرب آل مهنّا بمنسک الطرقات علی یلبغا و أعلمه أنّه ولّاه نیابة الشام عوضه، فقام أرغون شاه فی ذلک أتمّ قیام،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۶۲

و أظهر لیلبغا أنه معه، و لما وصل إلی یلبغا أرای أمیر آخور فی یوم الأربعاء سادس جمادی الأولی و دعاه إلی مصر لیکون رأس أمراء المشورة، و أن نیابة الشام أنعم بها السلطان علی الأمیر أرغون شاه نائب حلب، ظنّ یلبغا أن استدعاءه حقیقة، و قرأ کتاب السلطان فأجاب بالسمع و الطاعة، و أنّه إذا وصل أرغون شاه إلی دمشق توجّه هو إلی مصر، و کتب الجواب بذلک، و أعاده سریعا، فتحلّلت عند ذلک عزائم أمراء دمشق و غیرها عن یلبغا، و تجهّز یلبغا و خرج إلی الکسوة ظاهر دمشق فی خامس عشره، و کانت ملطّفات السلطان قد وردت إلی أمراء دمشق بإمساکه، فرکبوا علی حین غفلة و قصدوه ففرّ منهم بمماليکه و أهله و هم فی أثره إلی خلف ضمیر. ثم سار فی البرّیّة یرید أولاد تمرداش ببلاد الشرق، حتی نزل علی حماة بعد أربعة أیام و خمس لیال، فرکب الأمیر قطیلجا نائب حماة بعسکره فتلقّاه و دخل به إلی المدینة و قبض علیه و علی من کان معه من الأمراء، و هم الأمیر قلاوون و الأمیر سیفة و الأمیر محمد بک بن جمق و أعیان مماليکه و کتب للسلطان بذلک، فقدم الخبر بذلک علی السلطان فی جمادی الأولی أیضا، فسرّ سرورا زائدا، و رسم فی الوقت بإبطال التجریدة. ثم کتب بحمل یلبغا الیحیاوی المذکور إلی مصر.

ثم بدا للسلطان غیر ذلک و هو أنه أخرج الأمیر منجک الیوسفیّ السّلاح‌دار بقتله، فسار منجک حتی لقی آقجبا [الحموی] و معه یلبغا الیحیاوی و أبوه بقاقون فنزل منجک بقاقون، و صعد بیلبغا الیحیاوی إلی قلعة قاقون و قتله بها فی یوم الجمعة

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۶۳

عشرین جمادی الأولی، و حزّ رأسه و حمله إلی السلطان. قال الشیخ صلاح الدین الصفدی: «و کان یلبغا حسن الوجه ملیح الثغر أبیض اللّون، طویل القامة من أحسن الأشکال، قلّ أن تری العیون مثله، کان ساقیا، و کانت الإنعامات التی تصل إلیه من السلطان لم یفرح بها

أحد قبله. كان يطلق له الخيل بسروجها و عددها و آلاتها الزّركش و الذهب المصوغ خمسة عشر فرسا و الأكاديش ما بين مائتى رأس فينعم بها عليه، و تجهّز إليه الخلع و الحوائص و غير ذلك من التشاريف التى يرسم له بها خارجة عن الحدّ. و بنى له الإسطبل الذى فى سوق الخيل تجاه القلعة».

قلت: و الإسطبل المذكور كان مكان مدرسة السلطان حسن الآن، اشتراه السلطان حسن و هدمه و بنى مكانه مدرسته المعروفة به. و قد سقنا ترجمته أى يلبغا اليحياوىّ بأوسع من هذا فى تاريخنا «المنهل الصافى» إذ هو كتاب تراجم. انتهى.

و فى يوم الأحد خامس عشرين جمادى الأولى المذكور أخرج السلطان الوزير نجم الدين محمودا و الأمير بيدمر البدرى نائب حلب كان، و الأمير طغيتمر النجمى الدوادار إلى الشام؛ و سببه أن الأمير شجاع الدين غرلو لمّا كان شادّ الدواوين قبل تاريخه حقد على الوزير نجم الدين المذكور و على طغيتمر الدوادار، فحسّن للسلطان أحذ أموالهما، فقال السلطان للنائب عنهما و عن بيدمر أنهم كانوا يكاتبون يلبغا فأشار عليه النائب بإبعادهم، و أن يكون الوزير نجم الدين نائب غزّة و بيدمر نائب حمص و طغيتمر نائب طرابلس، فأخرجهم السلطان على البريد، فلم يعجب غرلو ذلك، و أكثر عند السلطان من الوقيعة فى الأمير أرقطاى النائب حتّى غيّر السلطان عليه، و ما زال به حتّى بعث السلطان بأرغون الإسماعيلى إلى نائب غزّة بقتلهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۶۴

فدخل أرغون معهم إلى غزّة بعد العصر و عرّف النائب ما جاء بسببه، فقبض عليهم نائب غزّة و قتلهم فى ليلته، و عاد أرغون و عرّف السلطان الخبر، فتغيّر قلب الأمراء و نفر خواطرهم فى الباطن من السلطان و ميله إلى غرلو، و تمكّن غرلو من السلطان و أخذ أموال من قتل، و تزايد أمره و اشتدّت و طأته، و كثر إنعام السلطان عليه حتّى إنه لم يكن يوم إلا و ينعم عليه فيه بشىء. ثم أخذ غرلو فى العمل على علم الدين عبد اللّه بن زنبور ناظر الخاصّ؛ و على القاضى علاء الدين علىّ بن فضل اللّه العمرى كاتب السّر. و صار يحسّن للسلطان القبض عليهما و أخذ أموالهما، فتلطّف النائب بالسلطان فى أمرهما حتى كفّ عنهما، فلم يبق بعد ذلك أحد من أهل الدولة حتّى خاف من غرلو و صار يصانعه بالمال حتى يسترضيه. ثم حسّن غرلو للسلطان قتل الأمراء المحبوسين بالإسكندرية، فتوجّه الطواشى مقبل الرومى بقتلهم فقتل الأمير أرغون العلائى و قرابغا القاسمى و تمر الموساوىّ و صمغار و أيتمش عبد الغنى، و أفرج عن أولاد قمارى و أولاد أيدغمش و أخرجوا إلى الشام. و استمرّ السلطان على الانهماك فى لهوه، فصار يلعب فى الميدان تحت القلعة بالكرة فى يومى الأحد و الثلاثاء، و يركب إلى الميدان الذى على النيل فى يوم السبت.

فلمّا كان آخر ركوبه إلى الميدان رسم السلطان بركوب الأمراء المقدّمين بمضافيهم و وقوفهم صفّين من الصّليبة إلى فوق القلعة ليرى السلطان عسكره، فضاق الموضع، فوقف كلّ مقدّم بخمسة من مضافيه، و جمعت أرباب الملاهى، و رتّبت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۶۵

فى عدّة أماكن من القلعة إلى الميدان. ثم ركبت أمّ السلطان فى جمعها، و أقبل الناس من كلّ جهة، فبلغ كراء كلّ طبقة مائة درهم، و كلّ بيت كبير لنساء الأمراء مائتى درهم، و كلّ حانوت خمسين درهما، و كلّ موضع إنسان بدرهمين. فكان يوم لم يعهد فى ركوب الميدان مثله.

ثم فى يوم الخميس خامس عشره قبض السلطان الملك المظفّر هذا على أعظم أمرائه و مدبّر مملكته الأمير شجاع الدين غرلو و قتله، و سبب ذلك أمور: منها شدّة كراهية الأمراء له لسوء سيرته، فإنه كان يخلو بالسلطان، و يشير عليه بما يشتهيه، فما كان السلطان يخالفه فى شىء، و كان عمله أمير سلاح فخرج عن الحدّ فى التعاظم، و جسّر السلطان على قتل الأمراء، و قام فى حقّ النائب أرقطاى يريد القبض عليه و قتله، و استمال المماليك الناصريّة و الصالحيّة و المظفّريّة بكمالهم، و أخذ يقرّر مع السلطان، أن يفوّض إليه أمور المملكة بأسرها ليقوم عنه بتدبيرها، و يتوفّر السلطان على لذاته.

ثم لم يكفه ذلك، حتّى أخذ يغرى السلطان بألجيبغا و طنيرق و كانا أخصّ الناس بالسلطان، و لا زال يمعن فى ذلك حتى تغيّر

السلطان عليهما، و بلغ ذلك ألجيبغا، و تناقلته المماليك فتعصّبوا عليه و أرسلوا إلى الأمراء الكبار، حتى حدّثوا السلطان فى أمره، و خوّفوه عاقبته، فلم يعبأ السلطان بقولهم، فتنكّروا بأجمعهم على السلطان بسبب غرلو إلى أن بلغه ذلك عنهم من بعض ثقاته، فاستشار النائب فى أمر غرلو المذكور، فلم يشر عليه فى أمره بشىء، و قال للسلطان: لعلّ الرجل قد كثرت حسّاده على تقريب السلطان له، و المصلحة التثبت فى أمره. و كان أرقطاى النائب عاقلا سيوسا، يخشى من معارضته غرض السلطان فيه، فاجتهد ألجيبغا و عدّة من الخاصّكيّة فى التدبير عليه و تخويف السلطان منه و من سوء عاقبته، حتى أثّر قولهم فى نفس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۶۶

السلطان، و أقاموا الأمير أحمد شادّ الشرابخاناه، و كان مزّاحا للوقيعة فيه، فأخذ أحمد شاق الشرابخاناه فى خلوته مع السلطان يذكر كراهية الأمراء لغرلو و موافقة المماليك له، و أنه يريد أن يدبّر المملكة و يكون نائب السلطنة ليتوثّب بذلك على المملكة و يصير سلطانا، و يخرج له قوله هذا فى وجه المسخريه و الضحك، و صار أحمد المذكور يبالغ فى ذلك على عدة فنون من الهزل، إلى أن قال السلطان: أنا الساعة أخرجه و أعمله أمير آخور، فمضى أحمد شادّ الشربخاناه إلى النائب و عرّفه مما وقع فى السّر، و أنه جسّر السلطان على الوقيعة فى غرلو، فبعث السلطان وراء النائب أرقطاى و استشاره فى أمر غرلو ثانيا فأثنى عليه النائب و شكره، فعرف السلطان كثرة وقيعة الخاصّكيّة فيه، و أنه قصد أن يعمله أمير آخور، فقال النائب: غزلو رجل شجاع جسور لا يليق أن يعمل أمير آخور، فكأنّه أيقظ السلطان من رقدته بحسن عبارة و ألطف إشارة، فأخذ السلطان فى الكلام معه بعد ذلك فيما يوليه! فأشار عليه النائب بتوليته نيابة غزّة، فقبل السلطان ذلك، و قام عنه النائب، فأصبح السلطان بكرة يوم الجمعة و بعث الأمير طنيرق إلى النائب أن يخرج غرلو إلى نيابة غزّة، فلم يكن غير قليل حتى طلع غرلو على عادته إلى القلعة و جلس على باب القلّة، فبعث النائب يطلبه، فقال: مالى عند النائب شغل و ما لأحد معى حديث غير أستاذى، فأرسل النائب يعرّف السلطان جواب غرلو فأمر السلطان مغلطاى أمير شكار و جماعة من الأمراء أن يعرّفوا غرلو عن السلطان أن يتوجّه إلى غزّة، و إن امتنع يمسكوه، فلما صار غرلو بداخل القصر لم يحدّثوه بشىء، و قبضوا عليه و قيّدوه و سلّموه لألجيبغا فأدخله إلى بيته

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۶۷

بالأشرفية، فلمّا خرج السلطان لصلاة الجمعة على العادة قتلوا غرلو و هو فى الصلاة، و أخذ السلطان بعد عوده من الصلاة يسأل عنه، فنقلوا عنه أنه قال: أنا ما أروح مكانا، و أراد سلّ سيفه و ضرب الأمراء به فتكاثروا عليه فما سلّم نفسه حتى قتل، فعزّ قتله على السلطان، و حقد عليهم لأجل قتله، و لم يظهر لهم ذلك، و رسم بإيقاع الحوطة على حواصله. و كان لموته يوم مشهود.

ثم أخرج بغرلو المذكور و دفن بباب القرافة، فأصبح و قد خرجت يده من القبر، فأتاه الناس أفواجا ليروه و نبشوا عليه و جرّوه بحبل فى رجله إلى تحت القلعة، و أتوا بنار ليحرقوه و صار لهم ضجيج عظيم، فبعث السلطان عدّة من الأوجاقية قبضوا على كثير من العامة، فضربهم الوالى بالمقارع و أخذ منهم غرلو المذكور و دفنه. و لم يظهر لغرلو المذكور كثير مال.

قلت: و من الناس من يسمّيه «أغزلو» بألف مهموزة و بعدها غين معجمة مكسورة و زاى ساكنة و لام مضمونة و واو ساكنة. و معنى أغزلو باللغة التركية: «له فم» و قد ذكرناه نحن أيضا فى المنهل الصافى فى حرف الهمزة، غير أن جماعة كثيرة ذكروه «غرلو» فاقتدينا بهم هنا و خالفناهم هناك، و كلاهما اسم باللغة التركية. انتهى.

و كان غرلو هذا أصله من مماليك الحاجّ بهادر العزّى، و خدم بعده عند بكتمر السّاقى و صار أمير آخوره، ثم خدم بعد بكتمر عند بشتك، و صار أمير آخوره أيضا.

ثم ولى بعد ذلك ناحية (أشمون)، ثم ولى نيابة الشّوبك. ثم ولى القاهرة، و أظهر العفّة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۶۸

و الأمانة، و حسنت سيرته، ثم تقرّب عند الملك الكامل شعبان، و فتح له باب الأخذ فى الولايات و الإقطاعات، و عمل لذلك ديوانا

قائم الذات، سمّى ديوان البدل، فلما تولّى الصاحب تقىّ الدين بن مراحل الوزر شاححه فى الجلوس و العلامة، فترجّح الصاحب تقى الدين و عزل غرلو هذا عن شدّ الدواوين، و دام على ذلك إلى أن كانت نوبة السلطان الملك المظفّر كان غرلو هذا ممن قام معه، لما كان فى نفسه من الكامل من عزله عن شد الدواوين، و ضرب فى الوقعة أرغون العلائى بالسيف فى وجهه، و تقرّب من يوم ذاك إلى الملك المظفّر، حتى كان من أمره ما حكيناه.

ثم خرج السلطان الملك المظفّر بعد قتله إلى سرياقوس على العادة و أقام بها أياما، ثم عاد و خلع على الأمير منجك اليوسفى السلاح‌دار باستقراره حاجبا بدمشق عوضا عن أمير على بن طغريل. و أنعم السلطان على اثنى عشر من المماليك السلطانية بإمريات ما بين طبلخاناه و عشرة و أنعم بتقدمة الأمير منجك السّلاح دار على بعض خواصّه.

و فى يوم مستهلّ شعبان خرج الأمير طيبغا المجدى و الأمير أسندمر العمرىّ و الأمير بيغرا و الأمير أرغون الكاملى و الأمير بيبغا أرس و الأمير بيبغا طط إلى الصيد. ثم خرج الأمير أرقطاى النائب بعدهم إلى الوجه القبلىّ بطيور السلطان، و رسم السلطان لهم ألّا يحضروا إلى العشر الأخير من شهر رمضان، فخلا الجو للسلطان، و أعاد حضير الحمام و أعاد أرباب الملاعيب من الصّراع و الثقاف و الشباك، و جرى السّعاة، و نطاح الكباش، و مناقرة الدّيوك، و القمار، و غير ذلك من أنواع الفساد. و نودى بإطلاق اللعب بذلك بالقاهرة [و مصر] و صار للسلطان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۶۹

اجتماع بالأوباش و أراذل الطوائف من الفراشين و البابية و مطيّرى الحمام، فكان السلطان يقف معهم و يراهن على الطير الفلانى و الطيرة الفلانيّة؛ و بينما هو ذات يوم معهم عند حضير الحمام، و قد سيّبها إذ أذّن العصر بالقلعة و القرافة فجفلت الحمام عن مقاصيرها و تطايرت فغضب و بعث إلى المؤذّنين يأمرهم أنهم إذا رأوا الحمام لا يرفعون أصواتهم. و يلعب مع العوامّ بالعصىّ و كان السلطان إذا لعب مع الأوباش يتعرّى و يلبس تبّان جلد و يصارع معهم و يلعب بالرّمح و الكرة، فيظلّ نهاره مع الغلمان و العبيد فى الدهيشة، و صار يتجاهر بما لا يليق به أن يفعله.

ثم أخذ مع ذلك كلّه فى التدبير على قتل أخيه حسين، و أرصد له عدّة خدّام ليهجموا عليه عند إمكان الفرصة و يغتالوه، فبلغ حسينا ذلك فتمارض و احترس على نفسه فلم يجدوا منه غفلة.

ثم فى سابع عشر شعبان توفّى الخليفة أبو الربيع سليمان، و بويع بالخلافة ابنه أبو بكر و لقّب بالمعتصم بالله أبى الفتح. و فى آخر شعبان قدم الأمراء من الصيد شيئا بعد شىء و قد بلغهم ما فعله السلطان فى غيبتهم، و قدم ابن الحرّانى من دمشق بمال يلبغا اليحياوى فتسلّمه الخدّام، و أنعم السلطان من ليلته على حظيّته «كيدا» من المال بعشرين ألف دينار، سوى الجواهر و اللآلئ و نثر الذهب على الخدّام و الجوارى، فاختطفوه و هو يضحك، و فرّق على لعّاب الحمام و الفراشين و العبيد الذهب و اللؤلؤ، و هو يحذفه عليهم و هم يترامون عليه و يأخذوه بحيث إنه لم يدع من مال يلبغا سوى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۷۰

القماش، فكان جملة التى فرّقها ثلاثين ألف دينار و ثلثمائة ألف درهم، و جواهر و حليّا و لؤلؤا و زركشا و مصاغا، قيمته زيادة على ثمانين ألف دينار، فعظم ذلك على الأمراء، و أخذ ألجيبغا و طنيرق يعرّفان السلطان ما ينكره عليه الأمراء من لعب الحمام و تقريب الأوباش، و خوّفاه فساد الأمر، فغضب و أمر آقجباشاد و العمائر بخراب حضير الحمام، ثم أحضر الحمام و ذبحهم واحدا بعد واحد بيده و قال لألجيبغا و طنيرق:

و اللّه لأذبحنّكم كلّكم كما ذبحت هذا الحمام و تركهم و قام، و فرق جماعة من خشداشيّة ألجيبغا طنيرق فى البلاد الشامية، و استمرّ على إغراضه عن الجميع، ثم قال لحظاياه و عنده معهن الشيخ على بن الكسيح: و اللّه ما بقى يهنأ لى عيش و هذان الكذّابان بالحياة (يعنى بذلك عن ألجيبغا و طنيرق) فقد فسدا علىّ جميع ما كان لى فيه سرور، و اتّفقا علىّ، و لابدّ لى من ذبحهما، فنقل ذلك ابن

الكسيح لألجيبغا فإن ألجيبغا هو الذى أوصله إلى السلطان، و قال: مع ذلك خذ لنفسك فو اللّه لا يرجع عنك و عن طنيرق، فطلب ألجيبغا طنيرق و عرّفه ذلك، فأخذا فى التدبير عليه فى الباطن [و أخذ فى التدبير عليهما]، و خرج الأمير بيبغا أرس للصيد بالعبّاسة، فإنه كان صديقا لألجيبغا و تنمّر السلطان على طنيرق و اشتدّ عليه و بالغ فى تهديده، فبعث طنيرق و ألجيبغا إلى الأمير طشتمر طلليه، و ما زالا به حتّى وافقهما و دارا على الأمراء، و ما منهم إلا من نفرت نفسه من السلطان الملك المظفّر، و توقّع به أنه يفتك به، فصاروا معهما يدا واحدة لما فى نفوسهم. ثم كلّموا النائب فى موافقتهم و أعلموه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۷۱

أنه يريد القبض عليه، و كان عنده أيضا حسّ من ذلك، و أكثروا من تشجيعه.

حتى وافقهم و أجابهم، و تواعدوا جميعا فى يوم الخميس تاسع شهر رمضان على الركوب على السلطان فى يوم الأحد ثانى عشر شهر رمضان

فبعث السلطان فى يوم السبت يطلب بيبغا أرس من العبّاسة، و قد قرّر مع الطواشى عنبر مقدّم المماليك أن يعرّف المماليك السلاح دارّية أن يقفوا خلفه فإذا دخل بيبغا أرس، و قبّل الأرض ضربوه بالسيوف و قطعوه قطعا، فعلم بذلك ألجيبغا، و بعث إليه يعلمه مما دبّره السلطان عليه من قتله و يعرّفه بما وقع اتفاق الأمراء عليه، و أنه يوافيهم بكرة يوم الأحد على قبّة النصر، فاستعدوا ليلتهم و نزل ألجيبغا من القلعة، و تلاه بقيّة الأمراء، حتى كان آخرهم ركوبا الأمير أرقطاى نائب السلطنة، و توافوا بأجمعهم عند مطعم الطير، و إذا ببيبغا أرس قد وصل إليهم، فعبّوا أطلابهم و مماليكهم ميمنة و ميسرة، و بعثوا فى طلب بقية الأمراء، فما ارتفع النهار حتى وقفوا بأجمعهم ملبسين عند قبّة النصر، و بلغ السلطان ذلك، فأمر بضرب الكوسات فدقّت، و بعث الأوجاقية فى طلب الأمراء فجاءه طنيرق و شيخون و أرغون الكاملى و طاز و نحوهم من الأمراء الخاصّكيّة. ثم بعث المقدّمين فى طلب أجناد الحلقة فحضروا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۷۲

ثم أرسل السلطان يعتب النائب على ركوبه فردّ جوابه بأن مملوكك الذى ربّيته ركب عليك (يعنى عن ألجيبغا) و أعلمنا فساد نيّتك لنا، و قد قتلت مماليك أبيك و أخذت أموالهم، و هتكت حريمهم بغير موجب، و عزمت على الفتك بمن بقى، و أنت أوّل من حلف أنك لا تخون الأمراء و لا تخرّب بيت أحد، فردّ الرسول إليه يستخبره عمّا يريدوه الأمراء من السلطان حتّى يفعله لهم، فعاد جوابهم أنه لا بدّ أن يسلطنوا غيره، فقال: ما أموت إلّا على ظهر فرسى، فقبضوا على رسوله و همّوا بالزّحف عليه، فمنعهم النائب أرقطاى من ذلك حتى يكون القتال أوّلا من السلطان، فبادر السلطان بالركوب إليهم و أقام أرغون الكاملى و شيخون فى الميمنة، ثم أقام عدّة أمراء أخر فى الميسرة، و سار بمماليكه حتّى وصل إلى قريب قبّة النصر، فكان أول من تركه و مضى إلى القوم الأمير طاز ثم الأمير أرغون الكاملى ثم الأمير ملكتمر السعدى ثم الأمير شيخون و انضافوا الجميع إلى النائب أرقطاى و الأمراء، و تلاهم بقيّتهم حتى جاء الأمير طنيرق و الأمير لاچين أمير جاندار صهر السلطان آخرهم، و بقى السلطان فى نحو عشرين فارسا، فبرز له الأمير بيبغا أرس و الأمير ألجيبغا فولّى السلطان فرسه و انهزم عنهم فتبعوه و أدركوه و أحاطوا به، فتقدّم إليه بيبغا أرس فضربه السلطان بالطّبر، فأخذ بيبغا الضربة بترسه. ثم حمل عليه بالرّمح و تكاثروا عليه حتى قلعوه من سرجه و ضربه طنيرق بالسيف جرح وجهه و أصابعه. ثم ساروا به على فرس غير فرسه محتفظين به إلى تربة آق سنقر الرومى تحت الجبل و ذبحوه من ساعته قبيل عصر يوم الأحد ثانى عشر شهر رمضان سنة ثمان و أربعين و سبعمائة، و دفن بتربة أمّه،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۷۳

و لما أنزلوه و أرادوا ذبحه قال لهم: باللّه لا تستعجلوا علىّ، خلونى ساعة، فقالوا:

كيف استعجلت أنت على قتل الناس! لو صبرت عليهم صبرنا عليك فذبحوه.

و قيل: إنّهم لما أنزلوه عن فرسه كتّفوه و أحضروه بين يدى النائب أرقطاى ليقتله، فلما رآه النائب نزل عن فرسه و ترجّل و رمى عليه

قباءه و قال: أعوذ بالله، هذا سلطان ابن سلطان ما أقتله! فأخذوه و مضوا إلى الموضع الذى ذبحوه فيه، و فيه يقول الشيخ صلاح الدين الصفدى: [الخفيف]

أيها العاقل اللبيب تفكّر فى المليك المظفّر الضّرغام

كم تمادى فى البغى و الغىّ حتى كان لعب الحمام جدّ الحمام

و فيه يقول: [المجتث]

حان الرّدى للمظفّر و فى التراب تعفّر

كم قد أباد أميرا على المعالى توفّر

و قاتل النفس ظلما ذنوبه ما تكفّر

ثم صعد الأمراء القلعة من يومهم، و نادوا فى القاهرة بالأمان و الاطمئنان و باتوا بالقلعة ليلة الاثنين، و قد اتّفقوا على مكاتبة نائب الشام و الأمير أرغون شاه بما وقع، و أن يأخذوا رأيه فيمن يقيموه سلطانا فأصبحوا و قد اجتمع المماليك على إقامة حسين ابن الملك الناصر محمد عوضا عن أخيه المظفّر فى السلطنة و وقعت بين حسين و بينهم مراسلات فقام المماليك فى أمره فقبضوا الأمراء على عدّة منهم و وكّلوا الأمير طاز بباب حسين، حتّى لا يجتمع به أحد من جهة المماليك، و أغلقوا باب القلعة، و استمرّوا بآلة الحرب يومهم و ليلة الثلاثاء، و قصد المماليك إقامة الفتنة، فحاف الأمراء تأخير السلطنة حتى يستشيروا نائب الشام أن يقع من المماليك مالا يدرك فارطه، فوقع اتّفاقهم عند ذلك على حسن فسلطنوه فتمّ أمره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۷۴

و كانت مدّة سلطنة الملك المظفّر هذا على مصر سنة واحدة و ثلاثة أشهر و أربعة عشر يوما. و كان المظفّر أهوج سريع الحركة، عديم المداراة، سيّئ التدبير، يؤثر صحبة الأوباش على أرباب الفضائل و الأعيان، و كان فيه ظلم و جبروت و سفك للدماء، قتل فى مدة سلطنته مع قصرها خلائق كثيرة من الأمراء و غيرهم و كان مسرفا على نفسه، يحبّ لعب الحمام و غيره، و يحسن فنونا كثيرة من الملاعيب، كالرمح و الكرة و الصّراع و الثّقاف و ضرب السيف، مع شجاعة و إقدام من غير تثبّت فى أموره.

قلت: و بالجملة هو أسوأ سيرة من جميع إخوته ممن تسلطن قبله من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون، على أن الجميع غير نجباء و حالهم كقول القائل:

«عجيب نجيب من نجيب»؛ اللهم إن كان السلطان حسن الآتى ذكره، فهو لا بأس به. انتهى.

*** السنة التى حكم فى أوّلها الملك الكامل شعبان إلى سلخ جمادى الأولى، ثم حكم فى باقيها الملك المظفّر حاجى صاحب الترجمة و هى سنة سبع و أربعين و سبعمائة.

فيها توفى الأمير بهاء الدين أصلم بن عبد اللّه الناصرى أحد أمراء الألوف بالديار المصرية فى يوم السبت عاشر شعبان؛ و إليه ينسب جامع أصلم خارج القاهرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۷۵

بسوق الغنم. و كان أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون و كان من خواصّ الملك الناصر محمد و قبض عليه و حبسه سنين، ثم أطلقه، و كان من أعيان الأمراء، و تولّى عدّة ولايات بالبلاد الشامية و غيرها حسب ما تقدّم ذكره فيما مضى، طالت أيامه فى السعادة و الإمرة حتى صار من أمراء المشورة.

و توفّى الأمير الكبير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار، ثم نائب السلطنة بالديار المصرية مقتولا بالإسكندرية فى أيام الملك الكامل شعبان، و أحضر ميتا إلى القاهرة فى يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة. و أصله من كسب الأبلستين فى الأيام الظاهريّة بيبرس فى سنة ست و سبعين و ستمائة، و اشتراه قلاوون و هو أمير و معه سلّار النائب، فأنعم بسلار على ولده علىّ، و أنعم بآل ملك

هذا على ولده الآخر.

و قيل قدّمه لصهره الملك السعيد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس، فأعطاه الملك السعيد لكوندك و قيل غير ذلك. و ترقّى آل ملك فى الخدم إلى أن صار من جملة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٠، ص: ١٧۶

أمراء الديار المصرية. و تردّد للملك الناصر محمد بن قلاوون فى الرسليّة لمّا كان بالكرك من جهة الملك المظفّر بيبرس الجاشنكير، فأعجب الملك الناصر عقله و كلامه.

فلمّا أن عاد الملك الناصر إلى ملكه رقّاه و ولّاه الأعمال الجليلة إلى أن ولى نيابة السلطنة بديار مصر فى دولة الملك الصالح إسماعيل. فلمّا ولى الملك الكامل شعبان أخرجه لنيابة صفد. ثم طلبه و قبض عليه و قتله بالإسكندرية، و قد ذكرنا من أحواله نبذة كبيرة فى عدّة تراجم فلا حاجة لتكرار ذلك، إذ ليس هذا المحلّ محلّ الإطناب إلا فى تراجم ملوك مصر فقط، و من عداهم يكون على سبيل الاختصار.

و آل ملك هذا هو صاحب الدار العظيمة بالقرب من باب مشهد الحسين- رضى اللّه عنه- و له هناك مدرسة أيضا تعرف به، و هو صاحب الجامع بالحسينية. و كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٠، ص: ١٧٧

خيرا ديّنا عفيفا مثريا، كان يقول: كلّ أمير لا يقيم رمحه و يسكب الذهب حتى يساوى السّنان ما هو أمير.

و توفّى الأمير سيف الدين قمارى بن عبد اللّه الناصرى أخو بكتمر الساقى مقتولا، و قد ولى نيابة طرابلس و الأستادارية بديار مصر، و كان من أعيان الأمراء الناصرية مشهورا بالشجاعة و الإقدام، و هو غير قمارى أمير شكار، و كلاهما من الأمراء الناصرية.

و توفّى الأمير سيف الدين ملكتمر بن عبد اللّه السّرجوانىّ نائب الكرك فى يوم الاثنين مستهلّ المحرّم خارج القاهرة، و قد قدمها من الكرك مريضا، و كان من أعيان الأمراء، و تولّى عدّة ولايات، لا سيما نيابة الكرك، فإنّه وليها غير مرّة.

قلت: و غالب هؤلاء الأمراء ذكرنا من أحوالهم فى عدّة مواطن من تراجم ملوك مصر ما يستغنى عن ذكره ثانيا هنا.

و توفّى ملك تونس من بلاد الغرب أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى ابن عبد الواحد فى ليلة الأربعاء ثامن شهر رجب، بعد ما ملك تونس نحوا من ثلاثين سنة، و تولّى بعده ابنه أبو حفص عمر، و كان أبو بكر هذا من أجلّ ملوك الغرب، و طالت أيامه فى السلطنة، و له مواقف فى العدوّ مشهودة. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى القاضى تاج الدين محمد بن الخضر بن عبد الرحمن بن سليمان المصرى كاتب سرّ دمشق فى ليلة الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر. و كان كاتبا فاضلا باشر عدّة وظائف.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٠، ص: ١٧٨

و توفى الأمير سيف الدين طقتمر بن عبد اللّه الصلاحىّ نائب حمص بها. و كان من أعيان أمراء مصر. و قد مرّ ذكره أيضا فى تراجم أولاد الملك الناصر محمد ابن قلاوون.

و توفى الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد [بن نمير] بن السراج بن نمير بن السراج فى شعبان؛ و كان كاتبا فاضلا مقرئا، و عنده مشاركة فى فنون.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و خمس أصابع. و اللّه أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ٧۴٨]

اشارة

السنة الثانية من ولاية الملك المظفّر حاجّى على مصر، و هى سنة ثمان و أربعين و سبعمائة، على أنه قتل فى شهر رمضان منها، و حكم فى باقيها أخوه السلطان الملك الناصر حسن.

فيها توفى الأمير شمس الدين آق سنقر بن عبد اللّه الناصرى مقتولا بقلعة الجبل، و قد تقدّم ذكر قتله أن الملك المظفّر حاجّيا أمر بالقبض على آق سنقر و على الحجازى بالقصر، ثم قتلا من ساعتهما تهبيرا بالسيوف فى يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الآخر، و كان آق سنقر هذا اختصّ به أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون و زوّجه إحدى بناته و جعله أمير شكار، ثم أمير آخور، ثم نائب غزّة، و أعيد بعد موت الناصر فى أيام الملك الصالح إسماعيل ثانيا و استقرّ أمير آخور على عادته، ثم ولى نيابة طرابلس مدّة، ثم أحضر إلى مصر فى أيام الملك الكامل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۷۹

شعبان، و عظم قدره، و دبّر الدولة فى أيام الملك المظفّر حاجىّ. ثم ثقل عليه و على حواشيه فوشوا به و بملكتمر حتى قبض عليهما و قتلهما فى يوم واحد.

و كان آق سنقر أميرا جليلا كريما شجاعا عارفا مدبّرا. و إليه ينسب جامع آق سنقر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۸۰

بخط التّبانة خارج القاهرة بالقرب من باب الوزير.

و توفّى الأمير سيف الدين بيدمر البدرى مقتولا بغزة فى أوّل جمادى الآخرة، و هو أيضا أحد المماليك الناصرية و ترقى إلى أن ولى نيابة حلب. و قد تقدّم ذكر مقتله فى ترجمة الملك المظفر حاجى. و إليه تنسب المدرسة البيدمرية قريبا من مشهد الحسين رضى اللّه عنه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۸۱

و توفّى قاضى القضاة عماد الدين علىّ بن محيى الدين أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الصمد الطّرسوسىّ الحنفى الدمشقى قاضى قضاة دمشق بها، عن تسع و سبعين سنة تقريبا، بعد ما ترك القضاء لولده و انقطع بداره للعبادة، إلى أن مات فى يوم الاثنين ثامن عشرين ذى الحجة. و كان منشؤه بدمشق، و قرأ الخلاف على الشيخ بهاء الدين بن النحّاس، و الفرائض على أبى العلاء، و تفقّه على جماعة من علماء عصره، و برع فى عدّة علوم و أفتى و درّس بعدّة مدارس. و كان كثيرة التلاوة سريع القراءة، قيل إنه كان يقرأ القرآن فى التراويح كاملا فى أقلّ من ثلاث ساعات بحضور جماعة من القرّاء. و تولّى قضاء دمشق بعد قاضى القضاة صدر الدين على الحنفىّ فى سنة سبع و عشرين و سبعمائة و حمدت سيرته. و كان أوّلا ينوب عنه فى الحكم. رحمه اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۸۲

و توفّى قاضى قضاة المالكية و شيخ الشيوخ بدمشق شرف الدين محمد بن أبى بكر ابن ظافر بن عبد الوهاب الهمدانىّ فى ثالث المحرّم عن ثلاث و سبعين سنة. و كان فقيها عالما صوفيّا.

و توفّى الشيخ الإمام الحافظ المؤرّخ صاحب التصانيف المفيدة شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز [بن عبد اللّه التّركمانىّ الأصل الفارقىّ] الذهبىّ الشافعىّ- رحمه اللّه تعالى- أحد الحفّاظ المشهورة فى ثالث ذى القعدة.

و مولده فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث و سبعين و ستمائه، و سمع الكثير و رحل البلاد، و كتب و ألّف و صنّف و أرّخ و صحّح و برع فى الحديث و علومه، و حصّل الأصول و انتقى، و قرأ القراءات السبع على جماعة من مشايخ القراءات. استوعبنا مشايخه و مصنّفاته فى تاريخنا «المنهل الصافى» مستوفاة. و من مصنفاته: «تاريخ الإسلام» و هو أجل كتاب نقلت عنه فى هذا التاريخ. و قال الشيخ صلاح الدين الصفدىّ- بعد ما أثنى عليه- قال: «و أخذت عنه و قرأت عليه كثيرا من تصانيفه، و لم أجد عنده جمودة المحدّثين، و لا كودنة

النّقلة، بل هو فقيه النظر، له دربة بأقوال الناس و مذاهب الأئمة من السلف و أرباب المقالات، و أعجبنى منه ما يعنيه فى تصانيفه، ثم إنه لا يتعدّى حديثا يورده حتى يبيّن ما فيه من ضعف متن، أو ظلام إسناد، أو طعن فى روايته، و هذا لم أر غيره يراعى هذه الفائدة». و أنشدنى من لفظه لنفسه مضمّنا، و هو تخيّل جيّد إلى الغاية: [وافر]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۸۳

إذا قرأ الحديث علىّ شخص و أخلى موضعا لوفاة مثلى

فما جازى بإحسان لأنّى أريد حياته و يريد قتلى

و توفى الأمير الوزير نجم الدين محمود [بن على] بن شروين المعروف بوزير بغداد مقتولا بغزّة مع الأمير بيدمر البدرىّ فى جمادى الآخرة. و كان قدم من بغداد إلى القاهرة فى دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون، فلمّا سلّم على السلطان و قبّل الأرض ثم قبّل يده حطّ فى يد السلطان حجر بلخش، زنته أربعون درهما، قوّم بمائتى ألف درهم، فأمّره السلطان و أعطاه تقدمة ألف بديار مصر. ثم ولى الوزر غير مرّة إلى أن أخرجه الملك المظفّر حاجّىّ إلى غزّة، و قتله بها هو و بيدمر البدرىّ و طغيتمر الدوادار، و كان- رحمه اللّه- عاقلا سيوسا كريما محسنا مدبّرا، محمود الاسم و السيرة فى ولاياته، و هو ممّن ولى الوزر شرقا و غربا، و هو صاحب الخانقاه بالقرافة بجوار تربة كافور الهندىّ.

و توفى الشيخ الإمام البارع المفتّن قوام الدين مسعود بن محمد بن محمد بن سهل الكرمانى الحنفى بدمشق، و قد جاوز الثمانين سنة. و كان إماما بارعا فى الفقه و النحو

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۸۴

و الأصلين و اللغة، و له شعر و تصانيف، و سماه الحافظ عبد القادر فى الطبقات مسعود بن إبراهيم.

و توفّى الأمير سيف الدين ملكتمر بن عبد اللّه الحجازىّ الناصرىّ قتيلا فى تاسع عشر شهر ربيع الآخر مع الأمير آق سنقر المقدّم ذكره. و كان أصل الحجازى من مماليك شمس الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن عمر الشّهرزورىّ البغدادى، فبذل فيه الملك الناصر محمد زيادة على مائة ألف درهم، حتى ابتاعه له منه المجد السلامىّ بمكة لمّا حجّ الشهرزورىّ، و قدم به على الناصر، فلم ير بمصر أحسن منه و لا- أظرف فعرف بالحجازى، و حظى عند الملك الناصر، حتى جعله من أكابر الأمراء و زوّجه بإحدى بناته. و كان فيه كلّ الخصال الحسنة، غير أنه كان مسرفا على نفسه منهمكا فى اللذّات، مدمنا على شرب الخمر، فكان مرتّبه منه فى كل يوم خمسين رطلا.

و لم يسمع منه فى سكره و صحوه كلمة فحش، و لا توسّط بسوء أبدا، هذا مع سماحة النفس و التواضع و الشجاعة و الكرم المفرط، و التجمّل فى ملبسه و مركبه و حواشيه.

و قد تقدّم كيفية قتله فى ترجمة الملك المظفّر هذا.

و توفى الأمير طغيتمر بن عبد اللّه النجمى الدوادار، صاحب الخانقاة النجمية خارج باب المحروق من القاهرة مقتولا بغزّة مع بيدمر البدرىّ و وزير بغداد المقدّم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۸۵

ذكرهما. و كان طغتمر من أجل أمراء مصر، و كان عارفا عاقلا كاتبا و عنده فضيلة و مشاركة. و كان مليح الشكل.

و توفى الأمير سيف الدين يلبغا اليحياوىّ الناصرىّ نائب الشام مقتولا بقلعة قاقون، تقدّم ذكر قتله فى ترجمة الملك المظفّر هذا. و كان يلبغا هذا أحد من شغف به أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون، و عمّر له الدار العظيمة التى موضعها الآن مدرسة السلطان حسن تجاه القلعة. ثم جعله أمير مائة و مقدّم ألف بالديار المصرية. ثم ولى بعد موت الملك الناصر حماة و حلب و الشام. و عمّر بالشام الجامع المعروف بجامع يلبغا بسوق الخيل، و لم يكمّله، فكمّل بعد موته. و كان حسن الشكالة، شجاعا كريما، بلغ إنعامه فى كلّ سنة

على مماليكه فقط مائة و عشرين فرسا و ثمانين حياصة ذهب. و عاش أبوه بعده، و كان تركىّ الجنس، و تقلب فى هذه السعادة، و مات و سنه نيّف على عشرين سنة.

و توفى الأمير أرغون بن عبد اللّه العلائىّ قتيلا بالإسكندرية، و كان أرغون أحد المماليك الناصرية، رقّاه الملك الناصر محمد فى خدمته، و زوّجه أمّ ولديه:

الصالح إسماعيل و الكامل شعبان، و عمله لا لا لأولاده، فدبّر الدولة فى أيام ربيبه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۸۶

الملك الصالح إسماعيل أحسن تدبير. ثم قام بتدبير ربيبه أيضا الملك الكامل شعبان، حتى قتل شعبان لسوء سيرته و أرغون ملازمه، فقبض على أرغون المذكور بعد الهزيمة و سجن بالإسكندرية إلى أن قتله الملك المظفّر حاجّىّ فيمن قتل، و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه مفصّلا فى وقته. و أرغون هذا هو صاحب الخانقاه بالقرافة.

و كان عاقلا عارفا مدبرا سيوسا كريما، ينعم فى كل سنة بمائتين و ثلاثين فرسا، و مبلغ أربعين ألف دينار. قال الشيخ صلاح الدين الصّفدى: و عظمت حرمته لما دبّر المملكة و كثرت أرزاقه و أملاكه، و صار أكبر من النوّاب بالديار المصرية، و هو باق على وظيفته رأس نوبة الجمدارية، و جنديته إلى آخر وقت.

قلت: و هذا الذى ذكره صلاح الدين من العجب، كونه يكون مدبّر مملكتى الصالح و الكامل، و هو غير أمير. انتهى.

و توفّى جماعة من الأمراء بسيف السلطان الملك المظفّر حاجّىّ، منهم: الأمير أيتمش عبد الغنىّ و الأمير تمر الموساوى الساقى و الأمير قرابغا و الأمير صمغار، الجميع بسجن الإسكندريّة، و هم من المماليك الناصرية محمد بن قلاوون، و قتل أيضا بقلعة الجبل الأمير غرلو فى خامس عشرين جمادى الاخرة، و قد تقدّم التعريف بحاله عند قتله فى ترجمة الملك المظفّر حاجّىّ. و كان جركسىّ الجنس، و لهذا كان جمع الجراكسة على الملك المظفر حاجّىّ، لأنهم من جنسه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ست أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانى أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۸۷

ذكر سلطنة الملك الناصر حسن الأولى على مصر

السلطان الملك الناصر بدر الدين و قيل ناصر الدين أبو المعالى حسن. و اللّقب الثانى أصحّ، لأنه أخذ كنية أبيه، و لقبه و شهرته، ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون، و أمّه أمّ ولد ماتت عنه و هو صغير، فتولّى تربيته خوند أردو، و كان أوّلا- يدعى قمارى و استمرّ بالدور السلطانيّة إلى أن كان من أمر أخيه الملك المظفّر حاجّىّ ما كان. و طلبت المماليك أخاه حسينا للسلطنة، فقام الأمراء بسلطنة حسن هذا، و أجلسوه على تخت الملك بالإيوان فى يوم الثلاثاء، رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان و أربعين و سبعماية، و ركب بشعار السلطنة و أبّهة الملك. و لمّا جلس على تخت الملك لقّبوه بالملك الناصر سيف الدين قمارى، فقال السلطان حسن للنائب أرقطاى: يا أبت ما اسمى قمارى، إنما اسمى حسن، فاستلطفه الناس لصغر سنّه و لذكائه، فقال له:

النائب: يا خوند- و اللّه- إن هذا اسم حسن، حسن على خيرة اللّه تعالى.

فصاحت الجاووشيّة فى الحال باسمه و شهرته و تمّ مره، و حلف له الأمراء على العادة. و عمره يوم سلطنته إحدى عشرة سنة، و هو السلطان التاسع عشر من ملوك الترك بالديار المصريّة، و السابع من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون.

و فى يوم الأربعاء خامس عشره اجتمع الأمراء بالقلعة و أخرج لهم الطواشى دينار الشّبلىّ المال من الخزانة، ثم طلب الأمراء خدّام الملك المظفّر و عبيده، و من كان يعاشره من الفرّاشين و لعاب الحمام، و سلّموا لشادّ الدواوين على حمل ما أخذوه من الملك المظفّر من الأموال، فأظهر بعض الخدّام حاصلا تحت يده من الجوهر و اللؤلؤ، ما قيمته زيادة على مائة ألف دينار، و تفاصيل حرير، و

بذلات زركش بمائة ألف دينار أخرى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۸۸

و فى يوم الخميس قبض على الأمير أيدمر الزرّاق و الأمير قطز أمير آخور و الأمير بلك الجمدار، و أخرج قطز لنيابة صفد، و قطعت أخباز عشرين خادما و خبز عبد علىّ العوّاد المغنى و خبز إسكندر بن بدر الدين كتيلة الجنكىّ، ثم قبض ايضا على الطواشى عنبر السّحرتى مقدّم المماليك، و على الأمير آق سنقر أمير جندار، ثم عرضت المماليك أرباب الوظائف و أخرج منهم جماعة، و أحيط بمال «كيدا» حظيّة الملك المظفر التى أخذها بعد اتّفاق السوداء العوّادة و أموال بقية الحظايا و أنزلن من القلعة، و كتبت أوراق بمرتبات الخدّام و العبيد و الجوارى فقطعت كلّها.

و كان أمر المشورة فى الدولة و التدبير لتسعة أمراء: بيبغا أرس القاسمىّ و ألجيبغا المظفّرى و شيخون العمرىّ و طاز الناصرىّ و أحمد شادّ الشراب خاناه و أرغون الاسماعيلىّ و ثلاثة أخر، فاستقر الأمير شيخون رأس نوبة كبيرا و شارك فى تدبير المملكة، و استقر الأمير مغلطاى أمير آخور عوضا عن الأمير قطز، ثم رسم بالإفراج عن الأمير بزلار من سجن الإسكندريّة، ثمّ جهّزت التشاريف لنوّاب البلاد الشامية، و كتب لهم بما وقع من أمر الملك المظفّر و قتله، و سلطنة الملك الناصر حسن و جلوسه على تخت الملك.

ثمّ اتّفقوا الأمراء على تخفيف الكلف السلطانيّة، و تقليل المصروف بسائر الجهات، و كتبت أوراق بما على الدولة من الكلف، و أخذ الأمراء فى بيع طائفة الجراكسة من المماليك السلطانية، و قد كان الملك المظفّر حاجّىّ قرّبهم إليه بواسطة غرلو و جلبهم من كلّ مكان، و أراد أنّ ينشئهم على الأتراك، و أدناهم إليه حتى عرفوا بين الأمراء بكبر عمائمهم، و قوى أمرهم و عملوا كلفتات خارجة عن الحدّ فى الكبر، فطلبوا الجميع و أخرجوهم منفيّين خروجا فاحشا و قالوا: هؤلاء جيعة النفوس كثيرو الفتن.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۸۹

ثم قدم كتاب نائب الشام الأمير أرغون شاه يتضمن موافقته للأمراء و رضاءه بما وقع، و غضّ من الأمير فخر الدين إياس نائب حلب، و كان الأمير أرقطاى النائب قد طلب من الأمراء أن يعفوه من النيابة و يولّوه بلدا من البلاد فلم يوافقوه الأمراء على ذلك، فلمّا ورد كتاب نائب الشام يذكر فيه أنّ إياس يصغر عن نيابة حلب، فإنّه لا يصلح لها إلّا رجل شيخ كبير القدر، له ذكر بين الناس و شهرة، فعند ذلك طلب الأمير أرقطاى النائب نيابة حلب، فخلع عليه بنيابة حلب فى يوم الخميس خامس شوّال، و استقرّ عوضه فى نيابة السلطنة بالديار المصرية الأمير بيبغا أرس أمير مجلس و خلع عليهما معا، و جلس بيبغا أرس فى دست النيابة و جلس أرقطاى دونه بعد ما كان قبل ذلك أرقطاى فى دست النيابة و بيبغا دونه.

و فى يوم السبت سابعه قدم الأمير منجك اليوسفىّ السلاح دار حاجب دمشق و أخو بيبغا أرس من الشام، فرسم له بتقدّمه ألف بديار مصر و خلع عليه و استقرّ وزيرا و أستادارا، و خرج فى موكب عظيم و الأمراء بين يديه، فصار حكم مصر للأخوين: بيبغا أرس و منجك السلاح دار.

ثمّ فى يوم الثلاثاء عاشر شوّال خرج الأمير أرقطاى الى نيابة حلب، و صحبته الأمير كشلى الإدريسىّ مسفّرا.

ثم إنّ الأمير منجك اشتدّ على الدواوين، و تكلّم فيهم حتى خافوه بأسرهم، و قاموا له بتقادم هائلة، فلم يمض شهر حتّى أنس بهم، و اعتمد عليهم فى أموره كلّها، و تحدّث منجك فى جميع أقاليم مصر و مهدّ أمورها.

ثم قدم سيف الأمير فخر الدين إياس نائب حلب بعد القبض عليه فخرج مقيّدا و حبس بالإسكندرية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۹۰

ثم تراسل المماليك الجراكسة مع الأمير حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على أن يقيموه سلطانا فقبض على أربعين منهم، و أخرجوا على الهجن مفرّقين الى البلاد الشاميّة. ثم قبض على ستّة منهم و ضربوا تجاه الإيوان من القلعة ضربا مبرّحا، و قيّدوا و حبسوا بخزانة شمائل.

ثم عملت الخدمة بالإيوان، و اتفقوا على أنّ الأمراء إذا انفضّوا من خدمة الإيوان، دخل أمراء المشورة و التدبير إلى القصر دون غيرهم من بقيّة الأمراء، و نفذوا الأمور على اختيارهم من غير أن يشاركهم أحد من الأمراء فى ذلك، فكانوا إذا حضروا الخدمة بالإيوان خرج الأمير منكلى بغا الفخرىّ و الأمير بيغرا و الأمير بيبغا طط و الأمير طيبغا المجدىّ و الأمير أرلان و سائر الأمراء فيمضوا على حالهم، إلا أمراء المشورة و هم، الأمير بيبغا أرس النائب و الأمير شيخون العمرىّ رأس نوبة النّوب و الأمير طاز و الأمير الوزير منجك اليوسفىّ السلاح دار و الأمير ألجيبغا المظفّرىّ و الأمير طنيرق فإنهم يدخلون القصر، و ينفّذون أحوال المملكة بين يدى السلطان بمقتضى علمهم و حسب اختيارهم.

و فى هذه السنة استجدّ بمدينة حلب قاض مالكىّ و قاض حنبلىّ، فولى قضاء المالكية بها شهاب الدين أحمد بن ياسين الربّاحىّ، و تولى قضاء الحنابلة بها شرف الدين أبو البركات موسى بن فيّاض، و لم يكن بها قبل ذلك مالكىّ و لا حنبلىّ، و ذلك فى سنة ثمان و أربعين و سبعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۹۱

و فى يوم الثلاثاء أوّل المحرّم سنة تسع و أربعين و سبعمائة، قبض على الشيخ علىّ الكسيح نديم الملك المظفّر حاجّىّ، و ضرب بالمقارع و الكسّارات ضربا عظيما، و قلعت أسنانه و أضراسه شيئا بعد شىء فى عدّة أيام، و نوّع له العذاب أنواعا حتى هلك، و كان بشع المنظر، له حدبة فى ظهره و حدبة فى صدره، كسيحا لا يستطيع القيام، و إنما يحمل على ظهر غلامه، و كان يلوذ بألجيبغا المظفّرىّ، فعرّف به ألجيبغا الملك المظفّر حاجّيا فصار يضحّكه، و أخرج المظفر حرمه عليه، و عاقره الشّراب، فوهبته الحظايا شيئا كثيرا. ثم زوّجه الملك المظفر بإحدى حظاياه، و صار يسأله عن الناس فنقل له أخبارهم على ما يريد، و داخله فى قضاء الأشغال، فخافه الأمراء و غيرهم خشية لسانه، و صانعوه بالمال حتى كثرت أمواله، بحيث إنه كان إذا دخل خزانة الخاصّ، لا بدّ أن يعطيه ناظر الخاصّ منها له شيئا له قدر، و يدخل عليه ناظر الخاصّ حتى يقبله منه، و إنه إذا دخل الى النائب أرقطاى استعاذ أرقطاى من شرّه، ثمّ قام له و ترحّب به و سقاه مشروبا، و قضى شغله الذى جاء بسببه و أعطاه ألف درهم من يده و اعتذر له، فيقول للنائب: هأنا داخل الى ابنى السلطان و أعرّفه إحسانك اليّ، فلما دالت دولة الملك المظفّر عنى به ألجيبغا، الى أن شكاه عبد العزيز العجمىّ أحد أصحاب الأمير آق سنقر على مال أخذه منه، لمّا قبض عليه غرلو بعد قتل آق سنقر حتى خلّصه منه، فتذكّره أهل الدولة و سلّموه الى الوالى، فعاقبه و اشتدّ عليه الوزير منجك حتى أهلكه.

و فى المحرّم هذا وقعت الوحشة ما بين النائب بيبغا أرس و بين شيخون، ثمّ دخل بينهما منجك الوزير حتى أصلح ما بينهما.

ثمّ فى يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الأوّل عزل الأمير منجك عن الوزارة، و سببه أنّ ابن زنبور قدم من الإسكندرية بالحمل على العادة، فوقع الاتّفاق على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۹۲

تفرقته على الأمراء، فحمل الى النائب منه ثلاثة آلاف دينار، و إلى شيخون ثلاثة آلاف دينار، و للجماعة من الأمراء كلّ واحد ألفا دينار، و هم بقيّة أمراء المشورة، و لجماعة الأمراء المقدّمين كلّ واحد ألف دينار، فامتنع شيخون من الأخذ و قال:

أنا ما يحلّ لى أن آخذ من هذا شيئا. ثم قدم حمل قطيا و هو مبلغ سبعين ألف درهم، و كانت قطيا قد أرصدت لنفقة المماليك، فأخذ الوزير منجك منها أربعين ألف درهم، و زعم أنّها كانت له قرضا فى نفقة المماليك، فوقفت المماليك الى الأمير شيخون و شكوا الوزير بسببها، فحدّث الوزير فى ردّ ما أخذه فلم يفعل، و أخذ فى الحطّ على ابن زنبور ناظر الخواصّ، و أنه يأكل المال جميعه، و طلب إضافة نظر الخاصّ له مع الوزارة و الأستادارية و ألحّ فى ذلك عدّة أيّام، فمنعه شيخون من ذلك، و شدّ من ابن زنبور و قام بالمحاققة عنه، و غضب بحضرة الأمراء فى الخدمة، فمنع النائب منجك من التحدّث فى الخاصّ و انفضّ المجلس، و قد تنكّر كلّ منهما [على الاخر] و كثرت القالة بالركوب على النائب و منجك حتى بلغهما ذلك، فطلب النائب الإعفاء من النيابة و إخراج أخيه

منجك من الوزارة، و أبدأ و أعاد حتى كثر الكلام و وقع الاتفاق على عزل منجك من الوزارة، و استقراره أستادارا على حاله و شادّا على عمل الجسور فى النيل. و طلب أسندمر العمرىّ المعروف برسلان بصل من كشف الجسور ليتولّى الوزارة، فحضر و خلع عليه فى يوم الاثنين رابع عشرينه.

[و فيه أخرج] الأمير أحمد شادّ الشراب خاناه الى نيابة صفد؛ و سبب ذلك أنه كان كبر فى نفسه و قام مع المماليك على الملك المظفّر حاجّىّ حتى قتل، ثم أخذ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۹۳

فى تحريك الفتنة و اتفق مع ألجيبغا و طنيرق على الركوب فبلغ بيبغا أرس النائب الخبر فطلب الإعفاء، و ذكر ما بلغه و قال: إنّ أحمد صاحب فتن و لا بدّ من إخراجه من بيننا فطلب أحمد و خلع عليه و أخرج من يومه.

ثمّ فى يوم الأربعاء سادس عشرين ربيع الأوّل أنعم على الأمير منجك اليوسفى بتقدمة أحمد شادّ الشراب خاناه. ثمّ فى الغد يوم الخميس امتنع النائب من الركوب فى الموكب و أجاب بأنه ترك النيابة، فطلب إلى الخدمة و سئل عن سبب ذلك فذكر أنّ الأمراء المظفّرية تريد إقامة الفتنة و تبيّت خيولهم فى كل ليلة مشدودة، و قد اتفقوا على مسكه، و أشار لألجيبغا و طنيرق فأنكرا ما ذكر النائب عنهما، فحاققهما الأمير أرغون الكاملىّ أنّ ألجيبغا واعده بالأمس على الركوب فى غد وقت الموكب و مسك النائب و منجك، فعتب عليهما الأمراء فاعتذرا بعذر غير مقبول، و ظهر صدق ما نقله النائب، فخلع على ألجيبغا بنيابة طرابلس و على طنيرق بإمرة فى دمشق و أخرجا من يومهما، فقام فى أمر طنيرق صهره الأمير طشتمر طلليه حتى أعفى من السفر و توجّه ألجيبغا إلى طرابلس فى ثامن شهر ربيع الآخر من السنة بعد ما أمهل أياما، و استمرّ منجك معزولا إلى أن أعيد إلى الوزر فى يوم الاثنين خامس عشر شهر ربيع الآخر باستعفاء أسندمر العمرى لتوقّف أحوال الوزارة.

و فيه أيضا أخرج من الأمراء المظفّرية لاچين العلائىّ و طيبغا المظفّرىّ و منكلى بغا المظفّرىّ و فرّقوا ببلاد الشام.

ثم قدمت تقدمة الأمير أرغون شاه نائب الشام زيادة عما جرت به العادة، و هى مائة و أربعون فرسا بعبىّ تدمرية فوقها أجلّة أطلس، و مقاود سلاسلها فضة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۹۴

و لواوين بحلق فضّة، و أربعة قطر هجن بمقاود حرير، و سلاسل فضّة و ذهب، و أكوارها مغشّاة بذهب، و أربعة كنابيش ذهب عليها ألقاب السلطان، و تعابى قماش مبقّجة من كلّ صنف؛ و لم يدع أحدا من الأمراء المقدّمين و لا من أرباب الوظائف حتى الفرّاش و مقدّم الإسطبل و مقدّم الطبلخاناة و الطبّاخ، حتى بعث إليهم هديّة، فخلع على مملوكه عدّة خلع و كتب إليه بزيادة على إقطاعه، و رسم له بتفويض حكم الشام جميعه إليه، يعزل و يولّى من يختار.

و فيه أنعم على خليل بن قوصون بإمرة طبلخاناه، و أنعم أيضا على ابن المجدى بإمرة طبلخاناه، و أنعم على أحد أولاد منجك الوزير بإمرة مائة و تقدمة ألف

ثم فى ثالث ذى الحجة أخرج طشبغا الدّوادار إلى الشام، و سببه مفاوضة جرت بينه و بين القاضى علاء الدين علىّ بن فضل اللّه كاتب السرّ، أفضت به إلى أن أخذ طشبغا بأطواق كاتب السرّ و دخلا على الأمير شيخون كذلك، فأنكر شيخون على طشبغا، و رسم بإخراجه، و عمل مكانه قطليجا الأرغونىّ دوادارا. ثم رسم للأمير بيغرا أمير جاندار أن يجلس رأس ميسرة، و استقرّ الأمير أيتمش الناصرى حاجب الحجاب أمير جاندار عوضه، و استقرّ الأمير قبلّاى حاجب الحجّاب عوضا عن أيتمش.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۹۵

و كانت هذه السنة (أعنى سنة تسع و أربعين و سبعمائة) كثيرة الوباء و الفساد بمصر و الشام من كثرة قطع الطريق لولاية الأمير منجك جميع أعمال المملكة بالمال، و انفراده و أخيه بيبغا أرس بتدبير المملكة.

و مع هذا كان فيها أيضا الوباء الذى لم يقع مثله فى سالف الأعصار، فإنه كان ابتدأ بأرض مصر آخر أيام التخضير فى فصل الخريف فى أثناء سنة ثمان و أربعين، فما أهلّ المحرّم سنة تسع و أربعين حتى اشتهر و اشتدّ بديار مصر فى شعبان و رمضان و شوّال، و ارتفع فى نصف ذى القعدة، فكان يموت بالقاهرة و مصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف نفس [إلى عشرين ألف نفس] فى كلّ يوم، و عملت الناس التوابيت و الدّكك لتغسيل الموتى للسبيل بغير أجرة، و حمل أكثر الموتى على ألواح الخشب و على السلالم و الأبواب، و حفرت الحفائر و ألقيت فيها الموتى، فكانت الحفيرة يدفن فيها الثلاثون و الأربعون و أكثر، و كان الموت بالطّاعون، يبصق الإنسان دما ثمّ يصيح و يموت؛ و مع هذا عمّ الغلاء الدنيا جميعها، و لم يكن هذا الوباء كما عهد فى إقليم دون إقليم، بل عم أقاليم الأرض شرقا و غربا و شمالا و جنوبا جميع أجناس بنى آدم و غيرهم، حتى حيتان البحر و طير السماء و وحش البرّ.

و كان أوّل ابتدائه من بلاد القان الكبير حيث الإقليم الأوّل، و بعدها من تبريز إلى آخرها ستّة أشهر و هى بلاد الخطا و المغل و أهلها يعبدون النار و الشمس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۹۶

و القمر، و تزيد عدّتهم على ثلثمائة جنس فهلكوا بأجمهم من غير علّة، فى مشاتيهم و مصايفهم و على ظهور خيلهم، و ماتت خيولهم و صاروا جيفة مرمية فوق الأرض؛ و كان ذلك فى سنة اثنتين و أربعين و سبعمائة. ثم حملت الريح نتنهم إلى البلاد، فما مرّت على بلد إلّا و ساعة شمّها إنسان أو حيوان مات لوقتة فهلك من أجناد القان خلائق لا يحصيها إلا اللّه تعالى. ثمّ هلك القان و أولاده الستّة و لم يبق بذلك الإقليم من يحكمه.

ثم اتّصل الوباء ببلاد الشرق جميعها: بلاد أزبك و بلاد إسطنبول و قيصرية الروم، ثم دخل أنطاكية حتى أفنى من بها، و خرج جماعة من بلاد أنطاكية فارّين من الموت فماتوا بأجمهم فى طريقهم، ثم عمّ جبال ابن قرمان و قيصرية، ففنى أهلها و دوابّهم و مواشيهم، فرحلت الأكراد خوفا من الموت فلم يجدوا أرضا إلا و فيها الموت، فعادوا إلى أرضهم و ماتوا جميعا. ثم وقع ذلك ببلاد سيس فمات لصاحبها تكفور فى يوم واحد بموضع مائة و ثمانون نفسا و خلت سيس.

ثمّ وقع فى بلاد الخطا مطر عظيم لم يعهد مثله فى غير أوانه، فماتت دوابّهم و مواشيهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۹۷

عقيب ذلك المطر حتى فنيت. ثمّ مات الناس و الوحوش و الطيور حتى خلت بلاد الخطا و هلك ستّة عشر ملكا فى مدّة ثلاث أشهر، و أفنى أهل الصّين حتى لم يبق منهم إلا القليل، و كذلك بالهند.

ثمّ وقع ببغداد أيضا فكان الإنسان يصبح و قد وجد بوجهه طلوعا، فما هو إلا أن يمدّ يده على موضع الطلوع فيموت فى الوقت. و كان أولاد دمرداش قد حصروا الشيخ حسنا صاحب بغداد، ففجأهم الموت فى عسكرهم من وقت المغرب إلى باكر النهار إلى الغد، فمات منهم عدد كثير نحو الألف و مائتى رجل و ستة أمراء و دوابّ كثيرة، فكتب الشيخ صاحب بغداد بذلك إلى سلطان مصر.

ثمّ فى أوّل جمادى الأولى ابتدأ الوباء بمدينة حلب ثمّ بالبلاد الشاميّة كلّها و بلاد ماردين و جبالها، و جميع ديار بكر، و أفنى بلاد صفد و القدس و الكرك و نابلس و السواحل و عربان البوادى حتى إنه لم يبق ببلد جينين غير عجوز واحدة خرجت منها فارّة، و كذلك وقع بالرّملة و غيرها، و صارت الخانات ملآنة بجيف الموتى، و لم يدخل الوباء معرّة النّعمان من بلاد الشام و لا بلد شيزر و لا حارما.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۹۸

و أول ما بدأ بدمشق، كان يخرّج خلف أذن الإنسان بثرة فيخرّ صريعا، ثمّ صار يخرج للإنسان كبّة فيموت أيضا سريعا، ثمّ خرجت بالناس خيارة فقتلت خلقا كثيرا، ثم صار الآدمىّ يبصق دما و يموت من وقته، فاشتدّ الهول من كثرة الموت، حتّى إنه أكثر من كان يعيش ممن يصيبه ذلك خمسين ساعة. و بلغ عدّة من يموت فى كلّ يوم بمدينة حلب خمسمائة إنسان، و مات بمدينة غزّة فى ثانى

المحرم الى رابع صفر- على ما ورد فى كتاب نائبها- زيادة على اثنين و عشرين ألف إنسان، حتى غلقت أسواقها، و شمل الموت أهل الضّياع بها، و كان آخر زمان الحرث، فكان الرجل يوجد ميتا خلف محراثه، و يوجد آخر قد مات و فى يده ما يبذره. ثمّ ماتت أبقارهم؛ و خرج رجل بعشرين رأس بقر، لإصلاح أرضه فماتوا واحدا بعد واحد، و هو يراهم يتساقطون قدّامه، فعاد إلى غزّة.

و دخل ستّة نفر لسرقة دار بغزّة فأخذوا ما فى الدار ليخرجوا به فماتوا بأجمعهم، و فرّ نائبها الى ناحية بدّعرش، و ترك غزّة خالية، و مات أهل قطيا و صارت جثثهم تحت النخل و على الحوانيت، حتى لم يبق بها سوى الوالى و غلامين و جارية عجوز، و بعث يستعفى، فولّى عوضه مبارك، أستادار طغجى.

ثمّ عمّ الوباء بلاد الفرنج، و ابتدأ فى الدوابّ ثمّ فى الأطفال و الشباب، فلمّا شنع الموت فيهم جمع أهل قبرس من فى أيديهم من أسرى المسلمين و قتلوهم جميعا من بعد العصر إلى المغرب، خوفا من أن تفرغ الفرنج فتملك المسلمون قبرس، فلما كان بعد العشاء الأخيرة هبّت ريح شديدة، و حدثت زلزلة عظيمة، و امتدّ البحر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۱۹۹

فى المينة نحو مائة قصبة، فغرق كثير من مراكبهم و تكسّرت، فظنّ أهل قبرس أنّ الساعة قامت، فخرجوا حيارى لا يدرون ما يصنعون. ثمّ عادوا إلى منازلهم، فإذا أهاليهم قد ماتوا، و هلك لهم فى هذا الوباء ثلاثة ملوك، و استمرّ الوباء فيهم مدّة أسبوع، فركب منهم ملكهم الذى ملّكوه رابعا، فى جماعة فى المراكب يريدون جزيرة بالقرب منهم، فلم يمض عليهم فى البحر إلا يوم و ليلة و مات أكثرهم فى المراكب، و وصل باقيهم الى الجزيرة فماتوا بها عن آخرهم، و وافى هذه الجزيرة بعد موتهم مركب فيها تجّار فماتوا كلّهم و بحّارتهم إلا ثلاثة عشر رجلا، فمرّوا إلى قبرس فوصلوها، و قد بقوا أربعة نفر فلم يجدوا بها أحدا فساروا إلى طرابلس، و حدّثوا بذلك فلم تطل مدّتهم بها و ماتوا

و كانت المراكب إذا مرّت بجزائر الفرنج لا تجد ركّابها بها أحدا، و فى بعضها جماعة يدعونهم أن يأخذوا من أصناف البضائع ما أحبّوا بغير ثمن لكثرة من كان يموت عندهم، و صاروا يلقون الأموات فى البحر، و كان سبب الموت عندهم ريح تمرّ على البحر فساعة يشمّها الإنسان سقط، و لا يزال يضرب برأسه إلى الأرض حتى يموت.

و قدمت مراكب الى الإسكندرية، و كان فيها اثنان و ثلاثون تاجرا و ثلثمائة رجل ما بين بحّار و عبيد، فماتوا كلّهم و لم يصل منهم غير أربعة من التجّار و عبد واحد، و نحو أربعين من البحّارة.

و عمّ الموت جزيرة الأندلس بكمالها إلا جزيرة غرناطة، فإنهم نجوا، و مات من عداهم حتى إنه لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم، فأتتهم العرب من إفريقية

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۰۰

تريد أخذ الأموال إلى ان صاروا على نصف يوم منها، فمرّت بهم ريح فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة و دخلها باقيهم، فرأوا من الأموات ما هالهم، و أموالهم ليس لها من يحفظها، فأخذوا ما قدروا عليه، و هم يتساقطون موتى، فنجا من بقى منهم بنفسه، و عادوا إلى بلادهم و قد هلك أكثرهم، و الموت قد فشا بأرضهم أيضا بحيث إنه مات منهم فى ليلة واحدة عدد كثير، و بقيت أموال العربان ساتبة لا تجد من يرعاها، ثمّ أصاب الغنم داء، فكانت الشاة إذا ذبحت وجد لحمها منتنا قد اسودّ و تغيّر، و ماتت المواشى بأسرها.

ثم وقع الوباء بأرض برقة إلى الإسكندرية، فصار يموت فى كلّ يوم مائة.

ثمّ صار يموت مائتان، و عظم عندهم حتى إنه صلّى فى اليوم الواحد بالجامع دفعة واحدة على سبعمائة جنازة، و صاروا يحملون الموتى على الجنويّات و الألواح، و غلّقت دار الطّراز لعدم الصّنّاع، و غلّقت دار الوكالة، و غلّقت الأسواق و أريق ما بها من الخمور. و قدمها مركب فيه إفرنج فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير تحوم فى غاية الكثرة، فقصدوه فإذا جميع من فيها ميّت و

الطیر یأکلهم، و قد مات من الطیر أیضا شیء کثیر، فترکوهم و مروا فما وصلوا الی الإسکندریة حتی مات منهم زیادة علی ثلثهم. ثمّ وصل إلی مدینة دمهور

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۰۱

و تروجة بالبحیرة کلها حتی عمّ أهلها، و ماتت دوابهم و مواشیهم و بطل من البحیرة سائر الضمانات، و شمل الموت أهل البرلّس و نستراوة و تعطل الصید من البحیرة بموت الصیادین فکان یخرج فی المرکب عدّة صیادین فیموت أکثرهم و یعود من

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۰۲

بقی منهم فیموت بعد عوده من یومه هو و أولاده و أهله. و وجد فی حیتان البطارخ شیء منتن، و فیه علی رأس البطارخة کبه منتنة قدر البندقة قد اسودّت.

و وجد فی جمیع زراعات البرلّس و بلحها دود، و تلف أکثر تمر النّخل عندهم، و صارت الأموات علی الأرض فی جمیع الوجه البحریّ لا یوجد من یدفنها.

ثمّ عظم الوباء بالمحلّة حتی إنّ الوالی کان لا یجد من یشکو إلیه؛ و کان القاضی إذا أتاه من یرید الإشهاد علی شخص لا یجد من العدول أحدا إلا بعد عناء لقلّتهم.

و صارت الفنادق لا تجد من یحفظها، و ماتت الفلّاحون بأسرهم إلا القلیل، فلم یوجد من یضمّ الزرع، و زهد أرباب الأموال فی أموالهم و بذلوها للفقراء، فبعث الوزیر منجک إلی الغربیة، کریم الدین ابن الشیخ مستوفی الدولة و محمد بن یوسف مقدّم الدولة، فدخلوا علی سنباط و سمنّود و بوصیر و سنهور و نحوها من البلاد، و أخذوا مالا کثیرا، لم یحضروا منه سوی ستین ألف درهم.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۰۳

و عجز أهل بلبیس و سائر الشرقیة عن ضمّ الزرع لکثرة موت الفلّاحین. و کان ابتداء الوباء عندهم من أوّل فصل الصیف الموافق لأثناء شهر ربیع الآخر من سنة تسع و أربعین و سبعمائة، ففاحت الطّرقات بالموتی، و مات سکان بیوت الشّعر و دوابّهم و مواشیهم، و امتلأت مساجد بلبیس و فنادقها و حوانیتها بالموتی، و لم یبق مؤذّن، و طرحت الموتی بجامعها، و صارت الکلاب فیه تأکل الموتی.

ثم قدم الخبر من دمشق أنّ الوباء کان بها آخر ما کان بطرابلس و حماة و حلب، فلمّا دخل شهر رجب و الشمس فی برج المیزان أوائل فصل الخریف، هبّت فی نصف اللّیل ریح شدیدة جدّا، و استمرّت حتّی مضی من النهار قدر ساعتین، فاشتدت الظّلمة حتی کان الرجل لا یری من بجانبه. ثم انجلت و قد علت وجوه الناس صفرة ظاهرة فی وادی دمشق کلّه، و أخذ فیهم الموت مدّة شهر رجب فبلغ فی الیوم ألفا و مائتی إنسان، و بطل إطلاق الموتی من الدیوان، و صارت الأموات مطروحة فی البساتین علی الطّرقات، فقدم علی قاضی القضاة تقیّ الدین السّبکیّ قاضی دمشق رجل من جبال الرّوم، و أخبر أنّه لمّا وقع الوباء ببلاد الروم رأی فی نومه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فشکا إلیه ما نزل بالناس من الفناء فأمره صلّی اللّه علیه و سلّم أن یقول لهم: «اقرءوا سورة نوح ثلاثة آلاف و ثلثمائة و ستین مرّة، و اسألوا اللّه فی رفع ما أنتم فیه» فعرّفهم ذلک فاجتمع الناس فی المساجد، و فعلوا ما ذکر لهم، و تضرّعوا إلی اللّه تعالی و تابوا إلیه من ذنوبهم، و ذبحوا أبقارا و أغناما کثیرة للفقراء مدّة سبعة أیام، و الفناء یتناقص کلّ یوم حتی زال. فلمّا سمع القاضی و النائب ذلک نودی بدمشق باجتماع الناس بالجامع لأمویّ، فصاروا به جمعا کبیرا و قرءوا «صحیح البخاریّ» فی ثلاثة أیام و ثلاث

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۰۴

لیال. ثم خرج الناس کافّة بصبیانهم إلی المصلّی و کشفوا رءوسهم و ضجّوا بالدعاء، و ما زالوا علی ذلک ثلاثة أیام فتناقص الوباء حتّی ذهب بالجملة.

و کان ابتداؤه بالقاهرة و مصر فی النساء و الأطفال ثم بالباعة حتی کثر عدد الأموات، فرکب السلطان إلی سریاقوس، و أقام بها من

أوّل شهر رجب إلى العشرين منه، و قصد العود إلى القلعة فأشير عليه بالإقامة فى سرياقوس و صوم رمضان بها.

ثم قدم كتاب نائب حلب بأنّ بعض أكابر الصلحاء رأى النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم فى نومه فشكا إليه ما نزل بالناس من الوباء، فأمره صلى اللّه عليه و سلم بالتّوبة، و الدعاء بهذا الدعاء المبارك و هو: «اللّهمّ سكن هيبة صدمة قهرمان الجبروت بألطافك النازلة الواردة من فيضان الملكوت، حتى نتشبّث بأذيال لطفك، و نعتصم بك عن إنزال قهرك، يا ذا القوّة و العظمة الشاملة، و القدرة الكاملة، ياذا الجلال و الإكرام». و أنه كتب بها عدّة نسخ بعث بها إلى حماة و طرابلس و دمشق.

و فى شعبان تزايد الوباء بديار مصر، و عظم فى شهر رمضان و قد دخل فصل الشتاء فرسم بالاجتماع فى الجوامع للدعاء، فى يوم الجمعة سادس شهر رمضان، فنودى أن يجتمع الناس بالصّناجق الخليفتية و المصاحف، إلى قبّة النصر خارج القاهرة، فاجتمع الناس بعامّة جوامع مصر و القاهرة، و خرج المصريّون إلى مصلّى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۰۵

خولان بالقرافة، و استمرّت قراءة البخارىّ بالجامع الأزهر و غيره عدّة أيام، و الناس يدعون إلى اللّه تعالى و يقنتون فى صلواتهم. ثم خرجوا إلى قبة النصر و فيهم الأمير شيخون و الوزير منجك اليوسفىّ و الأمراء بملابسهم الفاخرة من الذهب و غيره، فى يوم الأحد ثامن شهر رمضان.

و مات فى ذلك اليوم الرجل الصالح سيّدى عبد اللّه المنوفىّ، تغمده اللّه برحمته، و أعاد علينا من بركاته، فصلّى عليه ذلك الجمع العظيم، و عاد الأمراء إلى سرياقوس و انفضّ الجمع، و اشتد الوباء بعد ذلك حتى عجز الناس عن حصر الموتى.

فلما انقضى شهر رمضان حضر السلطان من سرياقوس، و حدث فى الناس فى شوّال نفث الدّم، فكان الإنسان يحسّ فى نفسه بحرارة و يجد غثيانا فيبصق دما و يموت عقيبه، و يتبعه أهل داره واحدا بعد واحد حتى يفنوا جميعا بعد ليلة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۰۶

أو ليلتين، فلم يبق أحد إلا و غلب على ظنه أنه يموت بهذا الداء، و استعدّ الناس جميعا و أكثروا من الصّدقات، و تحاللوا و أقبلوا على العبادة، و لم يحتج أحد فى هذا الوباء إلى أشربة و لا أدوية و لا أطبّاء لسرعة الموت، فما انتصف شوّال إلا و الطرقات و الأسواق قد امتلأت بالأموات، فانتدب جماعة لمواراتهم و انقطع جماعة للصلاة عليهم، و خرج الأمر عن الحدّ، و وقع العجز عن العدد، و هلك أكثر أجناد الحلقة و خلت الطّباق بالقلعة من المماليك السلطانية لموتهم.

فما أهلّ ذو القعدة إلا و القاهرة خالية مقفرة، لا يوجد بشوارعها مارّ، بحيث إنه يمرّ الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر فلا يرى من يزاحمه، لاشتغال الناس بالموتى، و علت الأتربة على الطّرقات، و تنكّرت وجوه الناس، و امتلأت الأماكن بالصّياح، فلا تجد بيتا إلا و فيه صيحة، و لا تمرّ بشارع إلا و ترى فيه عدّة أموات.

و صلّى فى يوم الجمعة بعد الصلاة على الأموات بالجامع الحاكمىّ فصفّت التوابيت اثنين اثنين من باب مقصورة الخطابة إلى باب الجامع، و وقف الإمام على العتبة و الناس خلفه خارج الجامع. و خلت أزقّة كثيرة و حارات عديدة من الناس، و صار بحارة برجوان اثنتان و أربعون دارا خالية، و بقيت الأزّمة و الدّروب المتعدّدة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۰۷

جالية، و صار أمتعة أهلها لا تجد من يأخذها، و إذا ورث إنسان شيئا انتقل فى يوم واحد [عنه] لرابع و خامس.

و حصرت عدّة من صلّى عليه بالمصلّيات التى خارج باب النصر و باب زويلة و باب المحروق و تحت القلعة، و مصلّى قتّال السبع تجاه باب جامع قوصون فى يومين فبلغت ثلاث عشرة ألفا و ثمانمائة، سوى من مات فى الأسواق و الأحكار، و خارج باب البحر و على الدكاكين و فى الحسينية و جامع ابن طولون، و من يتأخر دفنه فى البيوت.

و يقال: بلغت عدّة الأموات فى يوم واحد عشرين ألفا، و حصرت الجنائز بالقاهرة فقط فى مدّة شعبان و رمضان فكانت تسعمائة ألف،

سوی من مات

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۰۸

بالأحکار و الحسینیة و الصّلیبة و باقی الخطط خارج القاهرة و هم أضعاف ذلک، و عدّت النّعوش و کانت عدّتها ألفا و أربعمائة نعش، فحملت الأموات علی الأقفاص و دراریب الحوانیت، و صار یحمل الاثنان و الثلاثة فی نعش واحد و علی لوح واحد، و طلبت القرّاء علی الأموات فأبطل کثیر من الناس صناعاتهم، و انتدبوا للقراءة علی الجنائز، و عمل جماعة مدراء و جماعة غسّالا و جماعة تصدّوا لحمل الأموات، فنالوا بذلک جملا مستکثرة، و صار المقرئ یأخذ عشرة دراهم، و إذا وصل إلی المصلّاة ترکه و انصرف لآخر، و یأخذ الحمّال ستّة دراهم بعد الدّخلة [علیه]، و صار الحفّار یأخذ أجرة حفر کلّ قبر خمسین درهما، فلم یمتّع اکثرهم بذلک و ماتوا.

و دخلت امرأة غاسلة لتغسّل امرأة فلمّا جرّدتها من ثیابها، و مرّت بیدها علی موضع الکبّة صاحت الغاسلة و سقطت میّتة، فوجدوا فی بعض أصابعها التی لمست بها الکبّة کبّة قدر الفولة، و صار الناس یبیتون بموتاهم فی التّرب لعجزهم عن تواریهم، و کان أهل البیت یموتون جمیعا و هم عشرات، فلا یوجد لهم سوی نعش واحد ینقلون فیه شیئا بعد شیء، و أخذ کثیر من الناس دورا و أموالا بغیر استحقاق لموت مستحقیها فلم یتمّل أکثرهم بما أخذ حتی مات بعدهم بسرعة، و من عاش منهم استغنی [به]، و أخذ کثیر من العامة إقطاعات حلقة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۰۹

و قام الأمیر شیخون العمریّ و الأمیر مغلطای أمیر آخور بتغسیل الأموات و تکفینهم و دفنهم. و بطل الأذان من عدّة مواضع، و بقی فی المواضع المشهورة یؤذّن مؤذّن واحد، و بطلت أکثر طبلخاناة الأمراء،؟؟؟ ار فی طبلخانة الأمیر شیخون ثلاثة نفر بعد خمسة عشر نفرا. و غلّقت أکثر المساجد و الزوایا. و قیل إنه ما ولد لأحد فی هذا الوباء إلا و مات الولد بعد یوم أو یومین و لحقته أمّه.

ثمّ شمل فی آخر السنة الوباء بلاد الصعید بأسرها و لم یدخل الوباء أرض أسوان، و لم یمت به سوی أحد عشر إنسانا. و وجدت طیور کثیرة میّتة فی الزروع ما بین غربان و حدأة و غیرها من سائر أصناف الطیور، فکانت إذا أنتفت وجد فیها أثر الکبة.

و تواترت الأخبار من الغور و بیسان و غیر ذلک أنهم کانوا یجدون الأسود و الذئاب و حمر الوحش، و غیرها من الوحوش میّتة و فیها أثر الکبة.

و کان ابتداء الوباء أوّل أیام التّخضیر، فما جاء أوان الحصاد حتی فنوا الفلّاحون و لم یبق منهم إلا القلیل، فخرج الأجناد بغلمانهم للحصاد و نادوا: من یحصد یأخذ نصف ما حصد، فلم یجدوا واحدا، و درسوا غلالهم علی خیولهم و ذرّوها بأیدیهم، و عجزوا عن غالب الزرع فترکوه، و کان الإقطاع الواحد یصیر من واحد إلی واحد حتی إلی السابع و الثامن، فأخذ إقطاعات الأجناد أرباب الصنائع من الخیاطین و الأساکفة، و رکبوا الخیول و لبسوا الکلفتاه و القباء. و کثیر من الناس لم یتناول فی هذه السنة من إقطاعه شیئا، فلمّا جاء النیل و وقع أوان التخضیر

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۱۰

تعذر وجود الرجال فلم یخضّر إلا نصف الأراضی، و لم یوجد أحد لیشتری القرط الأخضر و لا من یربط علیه خیوله، و ترک ألف و خمسمائة فدان بناحیة نای و طنان، و انکسرت البلاد التی بالضواحی و خربت. و خلت بلاد الصعید مع اتساع أرضها، بحیث کانت مکلفة مساحة أرض أسیوط تشتمل علی ستة آلاف نفر یؤخذ منها الخراج، فصارت فی سنة الوباء هذه تشتمل علی مائة و ستة عشر نفرا.

و مع ذلک کان الرّخاء موجودا و انحطّ سعر القماش حتی أبیع بخمس ثمنه و أقلّ، و لم یوجد من یشتریه، و صارت کتب العلم ینادی علیها بالأحمال، فیباع الحمل منها بأرخص ثمن. و انحطّ قدر الذهب و الفضة حتی صار الدینار بخمسة عشر درهما، بعد ما کان

بعشرين. و عدمت جميع الصّناع، فلم يوجد سقاء و لا بابا و لا غلام.

و بلغت جامكيّة الغلام ثمانين درهما، عنها خمس دنانير و ثلث دينار، فنودى بالقاهرة: من كانت له صنعة فليرجع إلى صنعته، و ضرب جماعة منهم، و بلغ ثمن راوية الماء ثمانية دراهم لقلّة الرجال و الحمال، و بلغت أجرة طحن الإردب القمح دينارا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۱۱

و يقال: إنّ هذا الوباء أقام يدور على أهل الأرض مدّة خمسة عشرة سنة.

قلت: و رأيت أنا من رأى هذا الوباء، فكان يسمّونه الفصل الكبير، و يسمّونه أيضا بسنة الفناء، و يتحاكون عنه أضعاف ما حكيناه، يطول الشرح فى ذكره.

و قد أكثر الناس من ذكر هذا الوباء فى أشعارهم فممّا قاله شاعر ذلك العصر الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة: [الخفيف]

سر بنا عن دمشق يا طالب العى ش فما فى المقام للمرء رغبه

رخصت أنفس الخلائق بالطّا عون فيها فكلّ نفس بحبّه

و قال الشيخ صلاح الدين الصّفدىّ و أكثر فى هذا المعنى على عادة إكثاره، فممّا قاله فى ذلك: [الوافر]

رعى الرحمن دهرا قد تولّى يجازى بالسّلامة كلّ شرط

و كان الناس فى غفلات أمر فجاطاعونهم من تحت إبط

و قال أيضا: [الكامل]

قد قلت للطّاعون و هو بغزّة قد جال من قطيا إلى بيروت

أخليت أرض الشام من سكّانها و أتيت يا طاعون بالطاغوت

و قال الشيخ بدر الدين حسن [بن عمر بن الحسن] بن حبيب فى المعنى من قصيدة أوّلها: [الخفيف]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۱۲

إنّ هذا الطاعون يفتك فى العا لم فتك امرئ ظلوم حسود

و يطوف البلاد شرقا و غربا و يسوق الخلوق نحو اللّحود

و لابن الوردىّ فى المعنى: [البسيط]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج ۱۰؛ ص۲۱۲

قالوا فساد الهواء يردى فقلت يردى هوى الفساد

كم سيّئات و كم خطايا نادى عليكم بها المنادى

و قال أيضا: [الرّمل]

حلب- و اللّه يكفى شرّها- أرض مشقّه

أصبحت حيّة سوء تقتل الناس ببزقه

و لابن الوردىّ أيضا: [الرجز]

إنّ الوبا قد غلبا و قد بدا فى حلبا

قالوا له على الورى كاف ورا قلت وبا

و قال أيضا: [الكامل]

سكّان سيس يسرّهم ما ساءنا و كذا العوائد من عدوّ الدّين

اللّه ينفذه إليهم عاجلا ليمزّق الطاغوت بالطاعون

و قال الأديب جمال الدين إبراهيم المعمار فى المعنى: [الرمل]

قبح الطاعون داء فقدت فيه الأحبّه

بيعت الأنفس فيه كلّ إنسان بحبّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۱۳

و له أيضا فى المعنى: [السريع]

يا طالب الموت أفق و انتبه هذا أوان الموت ما فاتا

قد رخص الموت على أهله و مات من لا عمره ماتا

ثم أخذ الوباء يتناقص فى أوّل المحرّم من سنة خمسين و سبعمائة.

ثم فى يوم الأربعاء تاسع عشر من ربيع الأوّل، ورد الخبر بقتل الأمير سيف الدين أرغون شاه نائب الشام، و أمره غريب، و هو أنه لما كان نصف ليلة الخميس ثالث عشرينه و هو بالقصر الأبلق بالميدان خارج مدينة دمشق و معه عياله، و إذا بصوت قد وقع فى الناس بدخول العسكر، فثاروا بأجمعهم و دارت النّقباء على الأمراء بالركوب ليقفوا على مرسوم السلطان، فركبوا جميعا إلى سوق الخيل تحت القلعة، فوجدوا الأمير ألجيبغا المظفّرى نائب طرابلس و إذا بالأمير أرغون شاه نائب الشام مكتّف بين مماليك الأمير إياس؛ و خبر ذلك أن ألجيبغا لما ركب من طرابلس سار حتى طرق دمشق على حين غفلة، و ركب معه الأمير فخر الدين إياس السّلاح‌دار، و أحاط إياس بالقصر الأبلق و طرق بابه، و علم الخدّام بأنه قد حدث أمر مهم فأيقظوا الأمير أرغون شاه، فقام من فرشه و خرج إليهم فقبضوا عليه، و قالوا له: حضر مرسوم السلطان بالقبض عليك، و العسكر واقف، فلم يجسر أحد أن يدفع عنه، و أخذه الأمير إياس و أتى به ألجيبغا فسلّم أمراء دمشق على ألجيبغا، و سألوه الخبر، فذكر لهم أن مرسوم السلطان ورد عليه بركوبه إلى دمشق بعسكر طرابلس، و القبض على أرغون شاه المذكور و قتله، و الحوطة على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۱۴

ماله و موجوده، و أخرج لهم كتاب السلطان بذلك، فأجابوا بالسمع و الطاعة، و عادوا الى منازلهم و نزل ألجيبغا إلى الميدان، و أصبح يوم الخميس فأوقع الحوطة على موجود أرغون شاه و أصبح يوم الجمعة رابع عشرين ربيع الأوّل أرغون شاه المذكور مذبوحا، فكتب ألجيبغا محضرا أنه وجده مذبوحا و السّكين فى يده، (يعنى أنه ذبح نفسه) فأنكر عليه كونه لمّا قبض أموال أرغون شاه، لم يرفعها إلى قلعة دمشق على العادة، و اتّهموه فيما فعل، و ركبوا جميعا لقتاله فى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه فقاتلهم ألجيبغا المذكور و جرح الأمير مسعود بن خطير، و قطعت يد الأمير ألجيبغا العادلى أحد أمراء دمشق، و قد جاوز تسعين سنة، فعند ذلك ولّى ألجيبغا المظفّرى نائب طرابلس، و معه خيول أرغون شاه و أمواله، و توجّه إلى نحو المزّة و معه الأمير إياس نائب حلب كان، و مضى إلى طرابلس.

و سبب هذه الواقعة أنّ إياسا لما عزل عن نيابة حلب و أخذت أمواله و سجن، ثم أفرج عنه و استقرّ فى جملة أمراء دمشق، و عدّوه أرغون شاه الذى كان سعى فى عزله عن نيابة حلب نائبها، فصار أرغون شاه يهينه و يخرق به، و اتفق أيضا إخراج ألجيبغا من الديار المصرية إلى دمشق أميرا بها، فترفّع عليه أيضا أرغون شاه المذكور و أذلّه، فاتّفق ألجيبغا و إياس على مكيدة، فأخذ ألجيبغا فى السعى على خروجه من دمشق عند أمراء مصر، و بعث إلى الأمير بيبغا أرس نائب السلطنة بالديار المصرية، و إلى أخيه الأمير منجك الوزير هديّة سنيّة فولّاه نيابة طرابلس، و أقام بها الى أن كتب يعرّف السلطان و الأمراء أنّ أكثر عسكر طرابلس مقيم بدمشق.

و طلب أنّ نائب الشام يردّهم إلى طرابلس، فكتب له بذلك فشقّ على أرغون شاه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۱۵

نائب الشام كون ألجيبغا لم يكتب إليه، و أرسل كاتب السلطان فى ذلك فكتب إلى ألجيبغا بالإنكار عليه فيما فعل، و أغلظ له فى القول، و حمل البريدىّ إليه مشافهة شنيعة، فقامت قيامة ألجيبغا لمّا سمعها، و فعل ما فعل، بعد أن أوسع الحيلة فى ذلك، فاتفق مع

إياس فوافقه إياس أيضا، لما كان فى نفسه من أرغون شاه حتى وقع ما ذكرناه.

و أما أمراء الديار المصرية فإنهم لما سمعوا بقتل الأمير أرغون شاه ارتاعوا، و اتّهم بعضهم بعضا، فحلف كلّ من شيخون و النائب بيبغا أرس على البراءة من قتله، و كتبوا إلى ألجيبغا بأنّه قتل أرغون شاه بمرسوم من! و إعلامهم بمستنده فى ذلك، و كتب إلى أمراء دمشق بالفحص عن هذه الواقعة، و كان ألجيبغا و إياس قد وصلا إلى طرابلس، و خيّما بظاهرها، فقدم فى غد وصولهما كتب أمراء دمشق إلى أمراء طرابلس بالاحتراس على ألجيبغا حتى يرد مرسوم السلطان، فإنه فعل فعلته بغير مرسوم السلطان، و مشت حيلته علينا. ثم كتبوا إلى نائب حماة و نائب حلب و إلى العربان بمسك الطّرقات عليه، فركب عسكر طرابلس بالسلاح و أحاطوا به، ثم وافاهم كتاب السلطان بمسكه، و قد سار عن طرابلس و ساروا خلفه إلى نهر الكلب عند بيروت فوقف قدّامهم نهاره، ثم كر راجعا عليهم، فقاتله عسكر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۱۶

طرابلس، حتى قبضوا عليه، و فرّ إياس، و وقعت الحوطة على مماليك ألجيبغا و أمواله، و مسك الذى كتب الكتاب بقتل أرغون شاه، فاعتذر أنه مكره، و أنه غيّر ألقاب أرغون شاه، و كتب أوصال الكتب مقلوبة حتى يعرف أنه زوّر، و حمل ألجيبغا المذكور مقيّدا إلى دمشق. ثم قبض نائب بعلبكّ على الأمير إياس، و قد حلق لحيته و رأسه، و اختفى عند بعض النصارى، و بعث به إلى دمشق، فحبسا معا بقلعتها، و كتب بذلك إلى السلطان و الأمراء، فندب الأمير قجا الساقى على البريد إلى دمشق بقتل ألجيبغا و إياس، فأخرجهما من حبس قلعة دمشق و وسّطهما بسوق الخيل بدمشق، و علّق إياس على خشب و قدّامه ألجيبغا على خشبة أخرى، و ذلك فى يوم الخميس حادى عشرين شهر ربيع الآخر. و كان عمر ألجيبغا المذكور يوم قتل نحو تسع عشرة سنة و هو ما طرّ شاربه.

ثمّ كتب السلطان باستقرار الأمير أرقطاى نائب حلب، فى نيابة الشام عوضا عن أرغون شاه المذكور، و استقرّ الأمير قطليجا الحموىّ نائب حماة فى نيابة حلب عوضا عن أرقطاى، و استقرّ أمير مسعود بن خطير فى نيابة طرابلس عوضا عن ألجيبغا المظفّرى المقدّم ذكره. ثمّ قدم إلى مصر طلب أرغون شاه و مماليكه و أمواله و موجود ألجيبغا أيضا، فتصرّف الوزير منجك فى الجميع.

و بعد مدّة يسيرة ورد الخبر أيضا بموت الأمير أرقطاى نائب دمشق، فكتب باستقرار قطليجا الحموىّ نائب حلب فى نيابة دمشق، و توجّه الأمير ملكتمر المحمدى بتقليده بنيابة الشام، و سار حتى وصل إليه فوجده قد أخرج طلبه إلى جهة دمشق و هو ملازم الفراش، فمات قطليجا أيضا بعد أسبوع، و لما وصل الخبر إلى مصر بموت قطليجا، أراد النائب بيبغا ارس و الوزير منجك إحراج طاز لنيابة الشام،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۱۷

و الأمير مغلطاى أمير آخور إلى نيابة حلب، فلم يوافقاهما على ذلك، و كادت الفتنة أن تقع، فخلع على الأمير أيتمش الناصرىّ بنيابة الشام، و استقرّ بعد مدّة الأمير أرغون الكاملىّ فى نيابة حلب.

و فى محرّم سنة إحدى و خمسين و سبعمائة، ابتدأت الوحشة بين الأمير مغلطاى أمير آخور و بين الوزير منجك اليوسفى، بسبب الفار الضامن، و قد شكا منه، فطلبه مغلطاى من الوزير و قد احتمى به، فلم يمكّنه منه. و كان منجك لما فرغ صهريجه الذى عمّره تجاه القلعة عند باب الوزير، اشترى له من بيت المال ناحية بلقينة بالغربية بخمسة و عشرين ألف دينار، و أنعم عليه بها، فوقفها منجك على صهريجه المذكور، فأخذ مغلطاى يعدّد لمنجك تصرّفه فى المملكة، و سكن الأمر فيما بينهما.

ثم توجه السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة فى كل سنة و أنعم على الأمير قطلوبغا الذهبىّ بإقطاع الأمير لاچين أمير آخور بعد موته، و أنعم بإمرته و تقدمته على الأمير عمر بن أرغون النائب. ثمّ استقرّ بكلمش أمير شكار فى نيابة طرابلس،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۱۸

عوضا عن أمير مسعود بن خطير، و كتب بإحضار أمير مسعود إلى القاهرة. ثم عاد السلطان من سرحة سرياقوس، و كتب بعود أمير

مسعود إلى دمشق بطّالاً حتى ينحلّ له ما يليق به، و خلع على الأمير فارس الدين ألبكى باستقراره فى نيابة غزّة بعد موت الأمير دلنجى، و دلنجى باللغة التركية هو المكدّى (و هو بكسر الدال المهملة و فتح اللام و سكون النون و كسر الجيم).

و فى هذه الأيام توجّه الأمير طاز إلى سرحة البحيرة، و أنعم السلطان عليه بعشرة آلاف اردبّ شعير و خمسين ألف درهم و ناحية طمّوه زيادة على إقطاعه.

و فى خامس عشر شوّال خرج أمير حاجّ المحمل الأمير بزلار أمير سلاح.

ثم خرج بعده طلب الأمير بيبغا أرس النائب بتجمّل زائد، و فيه مائة و خمسون مملوكا معدّة بالسلاح. ثم خرج طلب الأمير طاز و فيه ستون فارسا، فرحل بيبغا أرس قبل طاز بيومين. ثمّ رحل طاز بعده. ثمّ رحل بزلار بالحاجّ ركبا ثالثا فى عشرين شوّال من بركة الحاجّ.

و فى يوم السبت رابع عشرينه عزل الأمير منجك اليوسفىّ عن الوزر، و قبض عليه، و كان الأمير شيخون خرج إلى العبّاسة؛ و سبب عزله أن السلطان بعد توجّه شيخون طلب القضاة و الأمراء، فلما اجتمعوا بالخدمة، قال لهم: يا أمراء

هل لأحد علىّ ولاية حجر، أو أنا حاكم نفسى! فقال الجميع يا خوند: ما ثمّ أحد يحكم على مولانا السلطان، و هو مالك رقابنا، فقال: إذا قلت لكم شيئا ترجعوا إليه؛ قالوا جميعهم: نحن تحت طاعة السلطان و ممتثلون ما يرسم به، فالتفت إلى الحاجب و قال له: خذ سيف هذا، و أشار إلى منجك الوزير، فأخذ سيفه و أخرج و قيّد، و نزلت الحوطة على أمواله مع الأمير كشلى السلاح‌دار، فوجد له خمسون حمل زردخاناه، و لم يوجد له كبير مال، فرسم بعقوبته، ثمّ أخرج إلى الإسكندرية فسجن بها، و ساعة القبض عليه رسم بإحضار الأمير شيخون من العباسة و إعلامه بمسك منجك الوزير، فقام الأمير مغلطاى أمير آخور و الأمير منكلى بغا فى منعه من الحضور، و ما زالا يخيّلان السلطان منه حتى كتب له مرسوم بنيابة طرابلس، على يد طينال الجاشنكير، فتوجّه إليه فلقبه قريب بلبيس، و قد عاد صحبة الجمدار الذى توجه بإحضاره من عند السلطان، و أوقفه على المرسوم فأجاب بالسمع و الطاعة، و بعث يسأل فى الإقامة بدمشق، فكتب له بخبز الأمير تلك بدمشق، و حضور تلك إلى مصر فتوجّه شيخون إليها.

ثمّ قبض السلطان على الأمير عمر شاه الحاجب و اخرج إلى الإسكندرية، و استقرّ الأمير طنيرق رأس نوبة كبيرا عوضا عن شيخون. ثمّ قبض على حواشى منجك و على عبده عنبر البابا و صودر، و كان عنبر قد أفحش فى سيرته مع الناس، فى قطع المصانعات، و ترفّع على الناس ترفّعا زائدا، فضرب ضربا مبرحا: ثمّ

ضرب بكتمر شادّ الأهراء فاعترف للوزير منجك باثنى عشر ألف اردبّ غلّة، اشتراها من أرباب الرواتب.

و فى مستهلّ ذى القعدة قبض على ناظر الدولة و المستوفين، و ألزموا بخمسمائة ألف دينار، فترفّق فى أمرهم الأمير طنيرق، حتى استقرّت خمسمائة ألف درهم، و وزّعها الموفّق ناظر الدولة على جميع الكتّاب، و التزم علم الدين عبد اللّه بن زنبور ناظر الخاصّ و الجيش بتكفية جميع الأمراء المقدّمين بالخلع من ماله، و قيمتها خمسمائة ألف درهم، و فصّلها و عرضها على السلطان، فركبوا الأمراء بها الموكب، و قبّلوا الأرض و كان موكبا جليلا.

و فى يوم السبت ثامن ذى القعدة خلع السلطان على الأمير بيبغا طط حارس طير، و استقرّ فى السلطنة بالديار المصرية عوضا عن بيبغا أرس المتوجّه إلى الحجاز، بعد أن عرضت النيابة على أكابر الأمراء فلم يقبلها أحد، و تمنّع بيبغا طط أيضا منها تمنّعا كبيرا، ثم قبلها. و استقرّ الأمير مغلطاى أمير آخور رأس نوبة كبيرا، عوضا عن طنيرق، الذى كان وليها عن شيخون، و أطلق له التحدّث فى أمر الدولة كلّها عوضا عن الأمير شيخون، مضافا لما بيده من الأميرا خورية. و استقرّ الأمير منكلى بغا الفخرى رأس مشورة و أتابك العساكر، و أنعم على ولده بإمرة، و دقّت الكوسات و طبلخانات الأمراء بأجمعها، و زيّنت القاهرة و مصر، فى يوم الأحد تاسع ذى القعدة و استمرّت ثمانية أيام.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۲۱

و أما شيخون فإنه لما وصل إلى دمشق، قدم بعده الأمير أرغون التاجى بإمساكه، فقبض عليه و قيّد و أخرج من دمشق فى البحر و توجه إلى الطّينة، ثم أوصله إلى الإسكندرية فسجن بها.

و خلع على طشبغا الدّوادار على عادته دوادارا، و تصالح هو و القاضى علاء الدين ابن فضل اللّه كاتب السرّ، فإنه كان نفى بسببه حسب ما تقدّم ذكره، و أرسل كلّ منهما إلى صاحبه هديّة.

و كان السلطان لمّا أمسك منجك، كتب إلى الأمير طاز و إلى الأمير بزلار على يد قردم، و أخبرهما بما وقع، و أنهما يحترسان على النائب بيبغا أرس، و قد نزل سطح العقبة، فلمّا قرأ بيبغا الكتاب وجم و قال: كلّنا مماليك السلطان. و خلع عليه، و كتب أنه ماض لقضاء الحج.

ثم إنّ السلطان عزل الأمير صرغتمش و الأمير عليّا من وظيفتى الجمدارية، و كانا من جملة حاشية شيخون، و رسم لصرغتمش أن يدخل الخدمة مع الأمراء، ثم أخرج أمير على إلى الشام، و أخرج صرغتمش لكشف الجسور بالوجه القبلى، و ألزم أستادار بيبغا أرس بكتب حواصل بيبغا، و ندب السلطان الأمير آقجبا الحموى لبيع حواصل منجك، و أخذت جوارى بيبغا أرس و مماليكه و جوارى منجك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۲۲

و مماليكه، الى القلعة، فطلع لمنجك خمسة و سبعون مملوكا صغارا، و طلع لبيبغا أرس خمس و أربعون جارية، فلما وصلن تجاه دار النيابة، صحن صيحة واحدة و بكين، فأبكين من كان هناك.

ثم قدم الخبر على السلطان بأنّ الأمير أحمد الساقى نائب صفد، خرج عن طاعة السلطان، و سببه أنه لما قبض على منجك، خرج الأمير قمارى الحموىّ و على يده ملطّفات لأمراء صفد بالقبض عليه، فبلغه ذلك من هجّان جهزه له أخوه، فندب طائفة من مماليكه لتلقّى قمارى، و طلب نائب قلعة صفد و ديوانه، و أمره أن يقرأ عليه: كم له بالقلعة من الغلة، فأمر لمماليكه منها بشىء فرّقه عليهم إعانة لهم على ما حصل من المحل فى البلاد، و بعثهم ليأخذوا ذلك، فعند ما طلعوا القلعة شهروا سيوفهم و ملكوها من نائب قلعة صفد، و قبضوا على عدّة من الأمراء، و طلع بحريمه الى القلعة و حصّنها، و أخذ مماليكه قمارى و أتوا به، فأخذ ما معه من الملطّفات و حبسه. فلما بلغ السلطان ذلك كتب إلى نائب غزّة و نائب الشام بتجريد العسكر إليه.

هذا و الأراجيف كثيرة، بأنّ طاز تحالف هو و بيبغا أرس بعقبة أيلة فخرج الأمير فيّاض و الأمير عيسى بن حسن أمير العائذ، فتفرّقا على عقبة أيلة بسبب بيبغا أرس، و كتب لعرب شطّى و بنى عقبة و بنى مهدى، بالقيام مع الأمير فضل، و كتب لنائب غزّة فأرسل السوقة الى العقبة.

ثم خلع السلطان على الأمير شهاب الدين أحمد بن قزمان بنيابة الإسكندرية عوضا عن بكتمر المؤمنى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۲۳

ثم فى يوم الأربعاء سادس عشرين ذى القعدة قدم سيف الأمير بيبغا أرس، و قد قبض عليه، و سبب ذلك، أنه لمّا ورد عليه كتاب السلطان بمسك أخيه منجك، اشتدّ خوفه و طلع الى العقبة و نزل الى المنزلة، فبلغه أنّ الأمير طاز و الأمير بزلار ركبا للقبض عليه، فركب بيبغا أرس بمن معه من الأمراء و المماليك بآلة الحرب، فقام الأمير عز الدين أزدمر الكاشف بملاطفته، و أشار عليه ألا يعجّل و يكشف الخبر،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۲۴

فبعث نجّابا فى الليل لذلك، فعاد و أخبر أنّ الأمير طاز مقيم بركبه، و أنه سار بهم و ليس فيهم أحد ملبس، فقلع بيبغا السلاح هو و من معه، و تلقّى طاز و سأله عما تخوّف منه، فأوقفه على كتاب السلطان إليه، فلم ير فيه ما يكره. ثم رحل كلّ منهما بركبه من العقبة، و

أنت الأخبار للأمراء بمصر باتفاق طاز و بيبغا أرس فكتب السلطان للأمير طاز و للأمير بزلار عند ذلك القبض على بيبغا أرس قبل دخوله مكة، و توجه إليهما بذلك طيلان الجاشنكير، و قد رسم [له] أن يتوجه بيبغا الى الكرك، فلما قدم طيلان على طاز و بزلار، ركبا الى أزدمر الكاشف فأعلماه بما رسم به إليهما من مسك بيبغا أرس و وكّدا عليه فى استمالة الأمير فاضل، و الأمير محمد بن بكتمر الحاجب، و بقية من مع بيبغا أرس، فأخذ أزدمر فى ذلك. ثم كتب لبيبغا أرس أن يتأخر حتى يسمع مرسوم السلطان، [و] حتى يكون دخولهم لمكة جميعا، فأحسّ بيبغا بالشرّ، و همّ أن يتوجه إلى الشام، فما زال أزدمر الكاشف به حتى رجّعه عن ذلك. و عند نزول بيبغا أرس إلى منزلة المويلحة، قدم طاز و بزلار فتلقاهما، و أسلم نفسه من غير ممانعة فأخذا سيفه، و أرادا تسليمه لطينال حتى يحمله إلى الكرك، فرغب إلى طاز أن يحج معه، فأخذه طاز محتفظا به، و كتب طاز بذلك إلى السلطان، فتوهّم مغلطاى و السلطان أنّ طاز و بزلار قد مالا إلى بيبغا أرس و تشوّشا تشويشا زائدا، ثم أكّد ذلك ورود الخبر بعصيان أحمد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۲۵

الساقى نائب صفد، و ظنّوا أنه مباطن لبيبغا أرس، و أخرج طينال ليقيم بالصفراء حتى يرد الحاجّ إليها، فيمضى بيبغا أرس إلى الكرك. ثم فى يوم الخميس سابع عشرين ذى القعدة خلع على الأمير علم الدين عبد اللّه ابن زنبور خلعة الوزارة، مضافا لما بيده من نظر الخاصّ و نظر الجيش بعد ما امتنع و شرط شروطا كثيرة.

و فيه أيضا خلع السلطان على الأمير طنيرق باستقراره فى نيابة حماة، عوضا عن أسندمر العمرىّ. ثمّ كتب القاضى علاء الدين بن فضل اللّه كاتب السرّ تقليد ابن زنبور الوزير، و نعته فيه بالجناب العالى. و كان جمال الكفاة سعى أن يكتب له ذلك، فلم يرض كاتب السرّ، و شحّ عليه بذلك، فخرج الوزير و تلقّى كاتب السرّ، و بالغ فى إكرامه، و بعث إليه بتقدمة سنية.

ثمّ قدّم الخبر على السلطان بنزول عسكر الشام على محاصرة أحمد نائب صفد، و زحفهم على قلعة صفد عدّة أيام، جرح فيها كثير من الناس و الأجناد، و لم ينالوا من القلعة غرضا، إلى أن بلغهم القبض على بيبغا أرس، و علم أحمد بذلك و انحلّ عزمه، فبعث إليه الأمير بكلمش نائب طرابلس يرغّبه فى الطاعة، و دسّ على من معه بالقلعة، حتى خامروا عليه و همّوا بمسكه، فوافق على الطاعة، و حلف له نائب طرابلس، فنزل إليه بمن معه، فسرّ السلطان بذلك، و كتب بإهانته و حمله إلى السجن.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۲۶

و فى عاشر ذى الحجة كانت الواقعة بمنى، و قبض على الملك المجاهد صاحب اليمن، و اسمه علىّ بن داود ابن المظفر يوسف ابن المنصور عمر بن علىّ بن رسول، و كان من خبره أنّ ثقبة لمّا بلغه استقرار أخيه عجلان عوضه فى إمرة مكة، توجه إلى اليمن، و أغرى صاحب اليمن بأخذ مكة و كسوة الكعبة، فتجهّز الملك المجاهد صاحب اليمن، و سار يريد الحج فى حفل كبير بأولاده و أمّه، حتى قرب من مكة و قد سبقه حاجّ مصر، فلبس عجلان آلة الحرب، و عرّف أمراء مصر ما عزم عليه صاحب اليمن، و حذّرهم غائلته، فبعثوا إليه بأنّ من يريد الحج إنما يدخل مكة بذلّة و مسكنة، و قد ابتدعت من ركوبك بالسلاح بدعة، لا تمكّنك أن تدخل بها، و ابعث إلينا ثقبة ليكون عندنا، حتى تنقضى أيام الحج فنرسله إليك، فأجاب لذلك، و بعث ثقبة رهينة، فأكرمه الأمراء. و ركبوا الأمراء فى جماعة إلى لقاء الملك المجاهد، فتوجهوا إليه و منعوا سلاح داريّته بالمشى معه بالسلاح، و لم يمكّنوه من حمل الغاشية، و دخلوا به مكة فطاف و سعى، و سلّم على الأمراء و اعتذر إليهم، و مضى إلى منزله، و صار كلّ منهم على حذر حتى وقفوا بعرفة، و عادوا إلى الخيف من منى، و قد تقرّر الحال بين الأمير ثقبة و بين الملك المجاهد على أنّ الأمير طاز إذا سار من مكة أوقعا بأمير الحاج و من معه، و قبضا على عجلان، و تسلّم ثقبة مكة.

فاتفق أن الأمير بزلار رأى و قد عاد من مكة إلى منى خادم الملك المجاهد سائرا، فبعث يستدعيه فلم يأته، و ضرب مملوكه، بعد مفاوضة جرت بينهما و جرحه فى كتفه، فماج الحاجّ، و ركب الأمير بزلار وقت الظهر إلى الأمير طاز، فلم يصل إليه حتى أقبلت الناس جافلة، تخبر بركوب الملك المجاهد بعسكره للحرب،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۲۷

و ظهرت لوامع أسلحتهم، فركب طاز و بزلار و أكثر العسكر المصرى بمكة، فكان أوّل من صدم أهل اليمن بزلار و هو فى ثلاثين فارسا، فأخذوه فى صدرهم إلى أن أرموه قريب خيمته، و مضت فرقة إلى جهة طاز فأوسع لهم طاز، ثمّ عاد عليهم. و ركب الشريف عجلان و الناس، فبعث الأمير طاز لعجلان: أن احفظ الحاجّ و لا تدخل بيننا فى حرب، ودعنا مع غريمنا. و استمرّ القتال بينهم إلى بعد العصر، فركب أهل اليمن مع كثرة عددهم و استعدادهم الذّلّة، و التجأ الملك المجاهد إلى دهليزه، و قد أحاط به العسكر و قطعوا أطنابه و ألقوه إلى الأرض، فمرّ الملك المجاهد على وجهه منهزما، و معه أولاده، فلم يجد طريقا، فسلّم المجاهد ولديه لبعض الأعراب، و عاد بمن معه من عسكره، و هم فى أقبح حال، يصيحون الأمان يا مسلمون! فأخذوا وزيره، و تمزّقت عساكره فى تلك الجبال، و قتل منهم خلق كثير، و نهبت أموالهم و خيولهم عن آخرها، و انفصل الحال عند غروب الشمس، و فرّ ثقبة بعبيده و عربه، فأخذ عبيد عجلان جماعة من الحاج فيما بين مكّة و منى، و قتلوا جماعة.

قلت: هذا شأن عرب مكة و عبيدها، و هذه فروسيّتهم لا فى لقاء العدوّ، و كان حقّهم يوم ذاك خفر الحاجّ، كون التّرك قاموا عنهم بدفع عدوّهم، و إلا كان المجاهد يستولى عليهم، و على أموالهم و ذراريهم فى أسرع وقت. انتهى.

و لما أراد طاز الرحيل من منى، سلّم أمراء المجاهد و حريمه إلى الشريف عجلان، و أوصاه بهم، و ركب الأمير طاز و معه المجاهد محتفظا به، و بالغ فى إكرامه يريد الديار المصرية، و صحب معه أيضا الأمير بيبغا أرس مقيّدا، و بعث

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۲۸

بالأمير طقطاى إلى السلطان يبشّره بما وقع، و لمّا قدم الأمير طاز إلى المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة و الرحمة، قبض بها على الشريف طفيل.

و أما الديار المصرية، فإنه فى يوم الجمعة خامس المحرّم من سنة اثنتين و خمسين و سبعمائة، قدم الأمير أرغون الكاملىّ نائب حلب إلى الديار المصرية بغير إذن، فخلع عليه و أنزل بالقلعة؛ و سبب حضوره أنه أشيع عنه بحلب القبض عليه، ثمّ أشيع فى مصر أنه خامر، فكره تمكّن موسى حاجب حلب منه، لما كان بينهما من العداوة. و رأى وقوع المكروه به فى غير حلب أخفّ عليه، فلما قدم مصر فرح السلطان به، لما كان عنده من إشاعة عصيانه.

ثم قدم الخبر على السلطان، بأنّ طيلان تسلّم بيبغا أرس من الأمير طاز، و توجّه به إلى الكرك من بدر، فسرّ السلطان أيضا بذلك.

ثمّ فى يوم السبت عشرين المحرّم قدم الأمير طاز بمن معه من الحجاز، و صحبته الملك المجاهد، و الشريف طفيل أمير المدينة، فخرج الأمير مغلطاى إلى لقائه إلى البركة، و معه الأمراء، و مدّ له سماطا جليلا، و قبض على من كان معه من الأمراء من أصحاب بيبغا أرس و قيّدهم و هم: الأمير فاصل أخو بيبغا أرس، و ناصر الدين محمد بن بكتمر الحاجب.

و أما الأمير أزدمر الكاشف فإنه أخرج السلطان إقطاعه و لزم داره.

ثمّ فى يوم الاثنين ثانى عشرينه طلع الأمير طاز بالملك المجاهد إلى نحو القلعة، حتى وصل إلى باب القلّة قيّده، و مشى الملك المجاهد بقيده حتى وقف- عند العمود بالدّركاه تجاه الإيوان، و الأمراء جلوس- وقوفا طويلا. إلى أن خرج أمير جاندار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۲۹

يطلب الأمراء على العادة، فدخل المجاهد على تلك الهيئة معهم، و خلع السلطان على الأمير طاز، ثمّ تقدّم الملك المجاهد و قبّل الأرض ثلاث مرات، و طلب السلطان الأمير طاز و سأل عنه، فما زال طاز يشفع فى المجاهد، إلى أن أمر السلطان بقيده ففكّ عنه، و أنزل بالأشرفية من القلعة عند الأمير مغلطاى، و أجرى له الرواتب السنية، و اقيم له من يخدمه، ثم أنعم السلطان على الأمير طاز بمائتى ألف درهم.

ثم خلع السلطان أيضا على الأمير أرغون الكاملىّ باستمراره على نيابة حلب، و رسم أن يكون موسى حاجب حلب فى نيابة قلعة الروم.

و فى يوم تاسع عشرين المحرّم حضر الملك المجاهد الخدمة، و أجلس تحت الأمراء، بعد أن ألزم بحمل أربعمائة ألف دينار يقترضه من تجّار الكارم، حتى ينعم له السلطان بالسفر إلى بلاده.

ثم أحضر الأمير أحمد الساقى نائب صفد مقيّدا إلى بين يدى السلطان، فأرسل إلى سجن الاسكندرية.

ثمّ فى آخر المحرّم خلع السلطان على الأمراء المقدّمين، و على الملك المجاهد صاحب اليمن بالإيوان، و قبّل المجاهد الأرض غير مرة، و كان الأمير طاز و الأمير مغلطاى تلطّفا فى أمره، حتى أعفى من أجل المال، و قرّبه السلطان، و وعده بالسفر إلى بلاده مكرّما، فقبّل الأرض و سرّ بذلك، و أذن له أن ينزل من القلعة إلى إسطبل الأمير مغلطاى و يتجهز للسّفر، و أفرج عن وزيره و خادمه و حواشيه، و أنعم عليه بمال، و بعث له الأمراء مالا جزيلا، و شرع فى القرض من [تجار] الكارم اليمن و مصر، فبعثوا له عدّة هدايا، و صار يركب حيث يشاء.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۳۰

ثمّ فى يوم الخميس ثانى صفر، ركب الملك المجاهد فى الموكب بسوق الخيل تحت القلعة، و طلع مع النائب بيبغا ططر إلى القلعة، و دخل الى الخدمة السلطانية بالإيوان مع الأمراء و النائب، و كان موكبا عظيما، ركب فيه جماعة من أجناد الحلقة مع مقدّميهم، و خلع على المقدّمين و طلعوا إلى القلعة، و استمرّ المجاهد يركب فى الخدم مع النائب بسوق الخيل، و يطلع إلى القلعة و يحضر الخدمة.

ثمّ خلع السلطان على الأمير صرغتمش، و استقرّ رأس نوبة على ما كان عليه أوّلا، بعناية الأمير طاز و الأمير مغلطاى.

و فى يوم السبت ثامن عشر من صفر برز المجاهد صاحب اليمن بثقله من القاهرة إلى الرّيدانية متوجّها إلى بلاده، و صحبته الأمير قشتمر شادّ الدواوين، و كتب للشريف عجّلان أمير مكة بتجهيزه إلى بلاده، و كتب لبنى شعبة و غيرهم من العربان بالقيام فى خدمته، و خلع عليه، و قرّر المجاهد على نفسه مالا- يحمله فى كلّ سنة، و أسرّ السلطان إلى قشتمر، إن رأى منه ما يريبه يمنعه من السفر، و يطالع السلطان فى أمره، فرحل المجاهد من الريدانية فى يوم الخميس ثالث عشرينه، و معه عدّة مماليك اشتراها و كثير من الخيل و الجمال.

ثمّ فى أوائل جمادى الآخرة توعّك السلطان و لزم الفراش أياما، فبلغ طاز و منكلى بغا و مغلطاى أنه أراد بإظهار توعّكه القبض عليهم إذا دخلوا عليه، و كان قد اتفق مع قشتمر و ألطنبغا الزامر و ملكتمر الماردينى و تنكزبغا على ذلك، و أنه ينعم عليهم بإقطاعاتهم و إمرياتهم، فواعدوا الأمراء أصحابهم، و اتفقوا مع الأمير بيبغا ططر النائب و الأمير طيبغا المجدىّ و الأمير رسلان بصل، و ركبوا يوم الأحد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۳۱

سابع عشرين جمادى الآخرة بأطلابهم، و وقفوا عند قبّة النصر خارج القاهرة، فخرج السلطان إلى القصر، و بعث يسألهم عن سبب ركوبهم، فقالوا: أنت اتّفقت مع مماليكك على مسكنا، و لا بدّ من إرسالهم إلينا، فبعث تنكزبغا و قشتمر و ألطنبغا الزامر و ملكتمر، فعندما وصلوا إليهم قيّدوهم و بعثوهم إلى خزانة شمائل، فسجنوا بها، فشقّ ذلك على السلطان، و بكى و قال: قد نزلت عن السلطنة، و سيّر إليهم النّمجاة؛ فسلموها للأمير طيبغا المجدىّ. و قام السلطان حسن إلى حريمه، فبعثوا الأمراء الأمير صرغتمش و معه الأمير قطلوبغا الذّهبىّ، و معهم جماعة ليأخذوه و يحبسوه، فطلعوا إلى القلعة راكبين إلى باب القصر الأبلق، و دخلوا إلى الملك الناصر حسن، و أخذوه من بين حرمه، فصرخ النساء صراخا عظيما، و صاحت الستّ حدق على صرغتمش صياحا منكرا، و قالت له: هذا جزاؤه منك. و سبّته سبّا فاحشا، فلم يلتفت صرغتمش إلى كلامها، و أخرجه و قد غطّى وجهه إلى الرّحبة، فلما رآه لخدّام و المماليك تباكوا عليه بكاء كثيرا، و طلع به إلى رواق فوق الإيوان، و وكّل به من يحفظه، و عاد إلى الأمراء، فاتّفق الأمراء على خلعه من السلطنة، و سلطنة أخيه الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون و تسلطن حسب ما يأتى ذكره.

و لمّا تسلطن الملك الصالح صالح، نقل أخاه الملك الناصر حسنا هذا إلى حيث كان هو ساكنا، و رتّب فى خدمته جماعة، و أجرى

عليه من الرواتب ما يكفيه. ثم طلب الملك الصالح أخاه حسنا، و وعده أيضا بزيادة على إقطاعه، و زاد راتبه. و زالت دولة الملك الناصر حسن.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۳۲

فكانت مدّة سلطنته هذه الأولى ثلاث سنين و تسعة أشهر و أربعة عشر يوما، منها مدّة الحجر عليه ثلاث سنين، و مدّة استبداده بالأمر نحو تسعة أشهر و أربعة عشر يوما، و كان القائم بدولته فى أيام الحجر عليه الأمير شيخون العمرىّ رأس نوبة النّوب، و إليه كان أمر خزانة الخاصّ، و مرجعه لعلم الدين ابن زنبور ناظر الخاصّ. و كان الأمير منجك اليوسفىّ الوزير و الأستادار و مقدّم المماليك، إليه التصرّف فى [أموال] الدولة. و الأمير بيبغا أرس نائب السلطنة و إليه حكم العسكر و تدبيره، و الحكم بين الناس. و كان المتولّى لتربية السلطان حسن خوند طغاى زوجة أبيه، ربّته و تبنّت به. و كانت الستّ حدق الناصريّة دادته.

و كان الأمراء المذكورون رتّبوا له فى أيام سلطنته، فى كلّ يوم مائة درهم، يأخذها خادمه من خزانة الخاصّ، و ليس ينوبه سواها، و ذلك خارج عن سماطه و كلفة حريمه، فكان ما ينعم به السلطان حسن فى أيام سلطنته و يتصدّق به من هذه المائة درهما لا غير، إلى أن ضجر من الحجر، و سافر النائب بيبغا أرس و الأمير طاز إلى الحجاز، و خرج شيخون، إلى العبّاسة للصيد، و اتفق السلطان حسن مع مغلطاى الأمير آخور و غيره على ترشيده، فترشّد حسب ما ذكرناه. و استبدّ بالدار المصرية. ثم قبض على منجك و شيخون و بيبغا أرس، إلى أن كان من أمره ما كان، على أنه سار فى سلطنته بعد استبداده بالأمور مع الأمراء أحسن سيرة، فإنه اختصّ بالأمير طاز بعد حضوره من الحجاز، و بالغ فى الإنعام عليه.

و كانت أيّامه شديدة، كثرت فيها المغارم، بما أحدثه الوزير منجك بالنواحى، و خربت عدّة أملاك على النيل، و احترقت مواضع كثيرة بالقاهرة و مصر، و خرجت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۳۳

عربان العائذ و ثعلبة و عرب الشام و عرب الصعيد عن الطاعة، و اشتدّ فسادهم لاختلاف كلمة مدبّرى المملكة.

و كان فى أيامه الفناء العظيم المقدّم ذكره، الذى لم يعهد فى الإسلام مثله. و توالى فى أيامه شراقى البلاد و تلاف الجسور، و قيام ابن واصل الأحدب ببلاد الصعيد، فاختلّت أرض مصر و بلاد الشام بسبب ذلك خللا فاحشا، كل ذلك من اضطراب المملكة و اختلاف الكلمة، و ظلم الأمير منجك و عسفه.

و أمّا الملك الناصر حسن المذكور كان فى نفسه مفرط الذكاء عاقلا، و فيه رفق بالرعيّة، ضابطا لما يدخل إليه و ما يصرّفه كلّ يوم، متديّنا شهما، لو وجد ناصرا أو معينا، لكان أجلّ الملوك، يأتى بيان ذلك فى سلطنته الثانية، إن شاء اللّه تعالى.

و أما سلطنته هذه المرّة فلم يكن له من السلطنة إلا مجرّد الاسم فقط، و ذلك لصغر سنه و عدم من يؤيّده. انتهى.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۹]

السنة الأولى من سلطنة الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن قلاوون الأولى على مصر و هى سنة تسع و أربعين و سبعمائة، على أنه حكم من الخالية من رابع عشر شهر رمضان.

فيها أعنى (سنة تسع و أربعين) كان الوباء العظيم المقدّم ذكره فى هذه الترجمه، و عمّ الدنيا حتى دخل إلى مكّة المشرّفة، ثم عمّ شرق الأرض و غربها، فمات بهذا الطاعون بمصر و الشام و غيرهما خلائق لا تحصى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۳۴

فممّن مات فيه من الأعيان الشيخ المحدّث برهان الدين إبراهيم بن لاچين بن عبد اللّه الرشيدىّ الشافعىّ فى يوم الثلاثاء تاسع عشرين

شوّال. و مولده فى سنة ثلاث و سبعين و ستمائة. و كان أخذ القراءات عن التقىّ الصائغ، و سمع من الأبرقوهىّ و أخذ الفقه عن العلم العراقىّ، و برع فى الفقه و الأصول و النحو و غيره، و درّس و أقرأ و خطب بجامع أمير حسين خارج القاهرة سنين.

و توفّى الشيخ الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن مسعد بن أحمد بن ممدود السّنهورىّ المادح الضرير. و كانت له قدرة زائدة على النظم؛ و مدح النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم بعدّة قصائد. و شعره كثير إلى الغاية، لا سيما قصائده النبوية و هى مشهورة فى حفظ المدّاح.

و توفّى القاضى الإمام البارع الكاتب المؤرّخ المفتنّ شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن القاضى محيى الدين يحيى بن فضل اللّه بن المجلّى بن دعجان القرشىّ العدوىّ العمرىّ الدّمشقى الشافعىّ فى تاسع ذى الحجة بدمشق. و مولده فى ثالث شوّال سنة سبعمائة. و كان إماما بارعا و كاتبا فقيها نظم كثيرا من القصائد و الأراجيز

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۳۵

و المقطّعات، و دو بيت. و أنشأ كثيرا من التقاليد و المناشير و التواقيع، و كتب فى الإنشاء لمّا ولى والده كتابة سرّ دمشق، ثمّ لمّا ولى والده كتابة السرّ بمصر أيضا، صار ولده أحمد هذا هو الذى يقرأ البريد على الملك الناصر محمد بن قلاوون، و ينفّذ المهمّات و استمرّ كذلك فى ولاية والده الأولى و الثانية، حتى تغيّر السلطان عليه و صرفه فى سنة ثمان و ثلاثين، و أقام أخاه علاء الدين عليّا، و كلاهما كانا يكتبان بحضرة والدهما و وجوده، نيابة عنه لكبر سنّه؛ و توجه شهاب الدين إلى دمشق، حتى مات بها فى التاريخ المذكور. و كان بارعا فى فنون، و له مصنّفات كثيرة، منها تاريخه:

«مسالك الأبصار، فى ممالك الأمصار» فى أكثر من عشرين مجلدا. و كتاب «فواصل السّمر، فى فضائل آل عمر» فى أربع مجلدات. «و الدعوة المستجابة»، «و صبابة المشتاق» فى مجلّد، فى مدح النّبىّ صلّى اللّه و سلم و [دمعة الباكى] «و يقظة السّاهى» و «نفحة الرّوض».

قال الشيخ صلاح الدين خليل الصّفدىّ: و أنشدنى القاضى شهاب الدين ابن فضل اللّه لنفسه، و نحن على العاصى هذين البيتين: [البسيط]

لقد نزلنا على العاصى بمنزلة زانت محاسن شطّيه حدائقها

تبكى نواعيرها العبرى بأدمعها لكونه بعد لقياها يفارقها

قال: فأنشدته لنفسى: [الطويل]

و ناعورة فى جانب النّهر قد غدت تعبّر عن شوق الشّجىّ و تعرب

فيرقص عطف الغصن تيها لأنّها تغنّى له طول الزمان و يشرب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۳۶

و توفّى الأمير سيف الدين أطلمش الجمدار؛ كان أوّلا من أمراء مصر، ثم حجوبية دمشق إلى أن مات، و كان مشكور السّيرة.

و توفّى الأمير سيف الدين بلك بن عبد اللّه المظفّرىّ الجمدار، أحد أمراء الألوف بالديار المصرية فى يوم الخميس رابع عشرين شوّال. و كان من أعيان الأمراء، و قد تقدّم ذكره فيما مرّ.

و توفّى الأمير سيف الدين برلغى بن عبد اللّه الصغير، قريب السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، قدم إلى القاهرة صحبة القازانيّة سنة أربع و سبعمائة، فأنعم عليه الملك الناصر بإمرة بديار مصر، و تزوّج بابنة الأمير بيبرس الجاشنكير قبل سلطنته، و عمل له مهمّا عظيما، أشعل فيه ثلاثة آلاف شمعة، ثم قبض عليه الملك الناصر بعد زوال دولة الملك المظفّر، و امتحن بسبب صهره، و حبسه الملك الناصر عشرين سنة، ثمّ أفرج عنه و أنعم عليه بإمرة مائة و تقدمة الف، فدام على ذلك إلى أن مات. و برلغى هذا يلتبس ببرلغى الأشرفى، كلاهما كان عضدا للملك المظفّر بيبرس الجاشنكير و كانا فى عصر واحد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۳۷

و توفّى الأمير سيف الدين بلبان بن عبد اللّه الحسينىّ المنصورىّ أمير جاندار، و قد أناف على ثمانين سنة، فإنه كان من مماليك الملك المنصور قلاوون.

و توفى الأمير سيف الدين بكتوت بن عبد اللّه القرمانىّ المنصورىّ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون أيضا، و كان أحد البرجيّة. ثمّ ولى شدّ الدواوين بدمشق و حبسه الملك الناصر محمد بن قلاوون مدّة، لأنه كان من أصحاب المظفّر بيبرس، ثمّ أطلقه و أنعم عليه بإمرة طبلخاناه بمصر. و كانت به حدبة فاحشة و ولع، و يتتبّع المطالب و الكيمياء، و ضاع عمره فى البطّال.

و توفّى الأمير سيف الدين تمربغا بن عبد اللّه العقيلىّ نائب الكرك فى جمادى الآخرة، و كان عاقلا شجاعا مشكور السيرة.

و توفّى الشيخ الإمام كمال الدين جعفر [بن ثعلب بن جعفر] بن علىّ الأدفوىّ الفقيه الأديب الشافعىّ. كان فقيها بارعا أديبا مصنفا؛ و من مصنفاته تاريخ الصعيد المسمّى «بالطالع السعيد فى تاريخ الصعيد» و له مصنّفات أخر و شعر كثير.

و توفى الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد اللّه الناصرىّ، أحد أمراء الألوف بالديار المصرية، المعروف بطلليه فى شوّال بالقاهرة، و قيل له: طلليه، لأنه كان إذا تكلّم قال فى آخر كلامه: طلليه. و هو من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون و خاصّ كيته، و صار من بعده من أعيان الأمراء بالديار المصرية، و له تربة بالصحراء معروفة به، و كان شجاعا مقداما.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۳۸

و توفّيت خوند طغاى أمّ آنوك زوجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، و تركت مالا كثيرا جدّا، من ذلك ألف جارية، و ثمانون طواشيا أعتقت الجميع و هى صاحبة التّربة بالصحراء معروفة بها. و هى التى تولّت تربية السلطان الملك الناصر حسن بعد موت أمّه من أيام الملك الناصر محمد. و كانت من أعظم نساء وقتها و أحشمهنّ و أسعدهنّ.

و توفّى الشيخ الإمام الأديب البارع صفىّ الدين عبد العزيز بن سرايا بن على بن [أبى] القاسم بن أحمد بن نصر بن أبى العزّ بن سرايا بن باقى بن عبد اللّه السّنبسىّ الحلّىّ الشاعر المشهور فى سلخ ذى الحجة. و مولده فى خامس شهر ربيع الآخر سنة سبع و سبعين و ستمائة، و قدم القاهرة مرتين، و مدح الملك المؤيّد صاحب حماة، و مدح ملوك ماردين بنى أرتق، و له فيهم غرر القصائد، و تقدّم فى نظم الشعر.

و مدح النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم بالقصيدة المعروفة. ب «البديعيّة» و له «ديوان شعر كبير»، و شعره سار شرقا و غربا. و هو أحد فحول الشعراء. و فيه يقول الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة: [الكامل]

يا سائلى عن رتبة الحلّىّ فى نظم القريض راضيا بى أحكم

للشعر حلّيان ذلك راجح ذهب الزمان به و هذا قيّم

و من شعر الصفىّ الحلّىّ: [السريع]

أستطلع الأخبار من نحوكم و أسأل الأرواح حمل السّلام

و كلّما جاء غلام لكم أقول يا بشراى هذا غلام

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۳۹

و من شعره قصيدته التى أوّلها: [الكامل]

كيف الضلال و صبح وجهك مشرق و شذاك فى الأكوان مسك يعبق

يا من إذا سفرت محاسن وجهه ظلّت به حدق الخلائق تحدق

أوضحت عذرى فى هواك بواضح ماء الحيا بأديمه يترقرق

فإذا العذول رأى جمالك قال لى عجبا لقلبك كيف لا يتمزّق

يا آسرا قلب المحبّ فدمعه و النوم منه مطلق و مطلّق

أغنيتنى بالفكر فيك عن الكرى يا آسرى فأنا الغنىّ المملق

و منها أيضا:

لم أنس ليلة زارنى و رقيبه يبدى الرّضا و هو المغيظ المحنق

حتى إذا عبث الكرى بجفونه كان الوسادة ساعدى و المرفق

عاتقته و ضممته فكأنه من ساعدىّ ممنطق و مطوّق

حتى بدا فلق الصباح فراعه إنّ الصّباح هو العدو الأزرق

و قد استوعبنا من شعره و أحواله قطعة جيّدة فى تاريخنا «المنهل الصافى».

رحمه اللّه تعالى إن كان مسيئا.

و توفّى الشيخ الصالح المعتقد عبد اللّه المنوفىّ الفقيه المالكىّ، فى يوم الأحد ثامن شهر رمضان و دفن بالصحراء، و قبره بها معروف يقصد للزيارة و التبرّك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۴۰

و توفّى الإمام العلّامة شيخ الشيوخ بدمشق علاء الدين علىّ بن محمود بن حميد القونوىّ الحنفىّ فى رابع شهر رمضان، و كان إماما فقيها بارعا صوفيا صالحا.

رحمه اللّه.

و توفّى الشيخ الإمام البارع المفتنّ الأديب الفقيه، زين الدين عمر بن المظفّر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس بن علىّ المعرّىّ الحلبىّ الشافعىّ المعروف بابن الوردىّ ناظم «الحاوى فى الفقه» رحمه اللّه؛ و قد جاوز الستين سنة بحلب، فى سابع عشرين ذى الحجّة.

و قد استوعبنا من شعره و مشايخه نبذة كبيرة فى «المنهل الصافى» إذ هو كتاب تراجم، محلّه الإطناب فى مثل هؤلاء. و من شعره ما قاله فى مقرئ. [الكامل]:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۴۱

و وعدت أمس بأن تزور فلم تزر فغدوت مسلوب الفؤاد مشتتا

لى مهجة فى النازعات و عبرة فى المرسلات و فكرة فى هل اتى

و له عفا اللّه عنه: [الوافر]

تجادلنا: أماء الزّهر أذكى ام الخلّاف أم ورد القطاف

و عقبى ذلك الجدل اصطلحنا و قد حصل الوفاق على الخلاف

و توفّى الأمير الطّواشى عنبر السّحرتىّ لالاة السلطان الملك الكامل شعبان، و مقدّم المماليك السلطانيّة منفيّا فى القدس، بعد أن امتحن و صودر. و كان رأى من العزّ و الجاه و الحرمة، فى أيام الكامل شعبان ما لا مزيد عليه، حسب ما ذكرنا منه نبذة فى ترجمة الملك الكامل المذكور.

و توفّى الأمير سيف الدين كوكاى بن عبد اللّه المنصور السّلاحدار، أحد أعيان الأمراء الألوف بالديار المصريّة، و كان من أجلّ الأمراء و أسعدهم، خلّف أكثر من أربعمائة ألف دينار عينا. و هو صاحب التّربة و المئذنة التى بالصحراء، على رأس الهدفة، تجاه تربة الملك الظاهر برقوق. و كان شجاعا مقداما. طالت ايامه فى السعادة.

و توفى الأمير سيف الدين قطز بن عبد اللّه الأمير آخور، ثم نائب صفد بدمشق، و هو أحد أمرائها، فى يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة. و كان من أعيان أمراء مصر، ولى عدّة ولايات جليلة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۴۲

و توفّى الأمير سيف الدّين نكباى بن عبد اللّه البريدىّ المنصورىّ. كان أحد مماليك الملك المنصور قلاوون، ولى قطيا و الاسكندرية، ثم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، و استقرّ مهمندارا. و إليه تنسب دار نكباى خارج مدينة مصر على النيل، و عنى بعمارتها فلم يتمتع بها.

و توفّى الأمير شرف الدين محمود [بن أوحد] بن خطير أخو الأمير مسعود.

و أظنه صاحب الجامع بالحسينية خارج القاهرة.

و توفّى الشيخ المحدّث الواعظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ميلق الشاذلىّ.

كان يجلس و يذكّر الناس و يعظ، و كان لوعظه تأثير فى النفوس.

و توفّى الشيخ المعتقد زين الدين أبو بكر بن النّشاشيبى. كان له قدم و للناس فيه محبّة و اعتقاد. رحمه اللّه.

و توفّى الرئيس شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن عمر الأسيوطىّ ناظر بيت المال، كان مغدودا من أعيان الديار المصرية، و له ثروة. و إليه ينسب جامع الأسيوطىّ بخطّ جزيرة الفيل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۴۳

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ثلاث و عشرون إصبعا. و حوّلت هذه السنة إلى سنة خمسين. و اللّه أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۰]

السنة الثانية من ولاية السلطان الملك الناصر حسن الأولى على مصر و هى سنة خمسين و سبعمائة.

فيها توفّى مكين الدين إبراهيم بن قرونة بطالا بعد ما ولى استيفاء الصّحبة، و نظر البيوت، ثم نظر الجيش مرتين ثمّ تعطّل إلى أن مات. و كان من أعيان الكتّاب و رؤسائهم.

و توفّى الأمير سيف الدين أرغون شاه بن عبد اللّه الناصرىّ، نائب الشام مذبوحا فى ليلة الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الأوّل، و كان من أعيان مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون و خواصّه، ربّاه و جعله أمير طبلخاناه رأس نوبة الجمدارية.

ثم استقرّ بعد وفاته أستادارا أمير مائة و مقدّم ألف بديار مصر، فتحكّم على الملك الكامل شعبان، حتى أخرجه لنيابة صفد، و ولى بعدها نيابة حلب. ثمّ نيابة الشام.

و كان خفيفا قوىّ النفس شرس الأخلاق، مهابا جبّارا فى أحكامه، سفّاكا للدماء غليظا فاحشا، كثير المال و الحشم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۴۴

و كان أصله من بلاد الصّين حمل إلى بو سعيد بن خربندا ملك التّتار، فأخذه دمشق خجا بن جوبان. ثم ارتجعه بو سعيد بعد قتل [دمشق خجا بن] جوبان، و بعث به إلى الناصر هديّة و معه ملكتمر السّعيدىّ. و قد تقدّم من ذكر أرغون شاه هذا نبذة كبيرة فى عدّة تراجم من هذا الكتاب، من أوّل ابتداء أمره حتى كيفية قتله، فى ترجمة الملك الناصر حسن هذا، فلينظر هناك.

و توفّى الأمير الكبير سيف الدين أرقطاى بن عبد اللّه المنصورى، نائب السلطنة بالديار المصرية، ثم نائب حلب ثم ولى نيابة دمشق، فلما خرج منها متوجّها إلى دمشق، مات بظاهرها عن نحو ثمانين سنة، فى يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى.

و أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون، ربّاه الطواشى فاخر أحسن تربية إلى أن توجّه الملك الناصر إلى الكرك توجه معه، فلما عاد الملك الناصر إلى ملكه جعله من جملة الأمراء. ثم سيّره صحبة الأمير تنكز إلى الشام، و أوصى تنكز ألا يخرج عن رأيه، فأقام عنده مدّة، ثم ولّاه نيابة حمص سنتين و نصفا. ثم نقله إلى نيابة صفد، فأقام بها ثمانى عشرة سنة. ثم قدم مصر، فأقام بها خمس

سنين و جرّد إلى آياس. ثم ولى نيابة طرابلس، و مات الملك الناصر محمد، فقدم مصر بعد موته

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۴۵

فقبض عليه. ثمّ أفرج عنه، و بعد مدّة ولى نيابة حلب. ثمّ عزل و طلب الى مصر فصار يجلس رأس المبمنة. ثمّ ولى نيابة السلطنة بالديار المصرية نحو سنتين.

ثم أخرج لنيابة حلب ثانيا، بحسب سؤاله فى ذلك، فأقام بها مدّة. ثم نقل إلى نيابة الشام بعد قتل أرغون شاه، فمات خارج حلب قبل أن يباشر دمشق، و دفن بحلب. و كان أميرا جليلا عظيما مهابا عاقلا سيوسا، مشكور السّيرة محبّبا للرعية.

و قد تقدّم من أخباره ما يغنى عن الاعادة هنا.

و توفّى الأمير سيف الدين ألجيبغا بن عبد اللّه المظفّرى نائب طرابلس، موسّطا بسوق خيل دمشق، فى يوم الاثنين ثانى شهر ربيع الآخر، بمقتضى قتله الأمير أرغون شاه نائب الشام، و قد تقدّم كيفيّة قتله أرغون شاه فى ترجمة السلطان حسنى هذا، و أيضا واقعة توسيطه مفصّلا هناك. و كان ألجيبغا من مماليك المظفّر حاجّى ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون و من خواصّه. و قتل ألجيبغا و سنّه دون العشرين سنة، بعد أن صار أمير مائة و مقدّم ألف بمصر و الشام و نائب طرابلس، و وسّط معه إياس الآتى ذكره.

و توفّى الأمير فخر الدين إياس بن عبد اللّه الناصرى، موسّطا أيضا بسوق خيل دمشق لموافقته ألجيبغا المقدّم ذكره على قتل أرغون شاه فى التاريخ المذكور أعلاه.

و كان أصل إياس هذا من الأرمن، و أسلم على يد الملك الناصر محمد بن قلاوون، فرقّاه حتّى عمله شادّ العمائر. ثم أخرجه الى الشام شادّ الدواوين. ثم صار حاجبا بدمشق. ثم نائبا بصفد. ثم نائبا بحلب. ثم عزل بسعى أرغون شاه به، و قدم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۴۶

دمشق أميرا فى نيابة أرغون شاه لدمشق، فصار أرغون شاه يهينه، و إياس يومئذ تحت حكمه، فحقد عليه، و اتّفق مع ألجيبغا نائب طرابلس حتّى قتلاه ذبحا، حسب ما ذكرناه مفصلا، فى ترجمة السلطان الملك الناصر حسن.

و توفّى الإمام العلّامة قاضى القضاة علاء الدين علىّ ابن القاضى فخر الدين عثمان ابن إبراهيم بن مصطفى الماردينىّ الحنفىّ المعروف بالتّركمانى- رحمه اللّه تعالى- فى يوم الثلاثاء عاشر المحرّم بالقاهرة. و مولده فى سنة ثلاث و ثمانين و ستّمائة، و هو أخو العلّامة تاج الدين أحمد، و والد الإمامين العالمين: عزّ الدين عبد العزيز و جمال الدين عبد اللّه، و عمّ العلّامة محمد بن أحمد، يأتى ذكر كلّ واحد من هؤلاء فى محلّه إن شاء اللّه تعالى. و كان قاضى القضاة علاء الدين إماما فقيها بارعا نحويّا أصوليّا لغويّا، أفتى و درّس و أشغل و ألّف و صنّف، و كان له معرفة تامّة بالأدب و أنواعه، و له نظم و نثر: كان إمام عصره بلا مدافعة، لا سيّما فى العلوم العقلية و الفقه أيضا و الحديث، و تصدّى للإقرار عدّة سنين. و تولّى قضاء الحنفية بالديار المصرية فى شوّال سنة ثمان و أربعين و سبعمائة، عوضا عن قاضى القضاة زين الدين البسطامىّ، و حسنت سيرته، و دام قاضيا إلى أن مات. و تولّى عوضه ولده جمال الدين عبد اللّه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۴۷

و من مصنّفاته- رحمه اللّه- كتاب «بهجة الأريب فى بيان ما فى كتاب اللّه العزيز من الغريب» و «المنتخب فى علوم الحديث» و «المؤتلف و المختلف» و «الضعفاء و المتروكون» و «الدرّ النّقىّ فى الردّ على البيهقىّ» و هو جليل فى معناه، يدلّ على علم غزير، و اطّلاع كثير، و «مختصر المحصّل فى الكلام» و «مقدّمة فى أصول الفقه» و «الكفاية فى مختصر الهداية» و «مختصر رسالة القشيرىّ» و غير ذلك.

و توفّى قاضى القضاة تقىّ الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السّعدىّ الإخنائىّ المالكىّ، فى ليلة الثالث من صفر. و مولده فى شهر رجب سنة أربع و ستّين و ستّمائة، و كان فقيها فاضلا محدّثا بارعا. ولى شهادة الخزانة. ثم تولّى قضاء الإسكندرية. ثم نقل

لقضاء دمشق بعد علاء الدين القونوىّ. و حسنت سيرته.

و تولى بعده جمال الدّين يوسف [بن إبراهيم] بن جملة.

و توفّيت خوند بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون زوجة الأمير طاز، و خلّفت أموالا كثيرة، أبيع موجودها بباب القلّة من القلعة بخمسمائة ألف درهم، من جملة ذلك قبقاب مرصّع بأربعين ألف درهم، عنها يوم داك ألفا دينار مصريّة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۴۸

و توفّى شيخ القرّاء شهاب الدين أحمد بن أحمد بن الحسين المعروف بالهكّارى، بالقاهرة فى جمادى الأولى. و كان إماما فى القراءات، تصدّى للإقرار عدّة سنين و انتفع به الناس.

و توفّى الأمير طقتمر بن عبد اللّه الشّريفىّ، بعد ما عمى و لزم داره و كان من أعيان الأمراء.

و توفّى الشيخ الإمام نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن محمد ابن إبراهيم بن علىّ القرشىّ الأصفونىّ الشافعى، بمنى، فى ثالث عشر ذى الحجّة.

و كان فقيها عالما مصنّفا، و من مصنّفاته: «مختصر الرّوضة فى الفقه».

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و أربع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۱]

السنة الثالثة من سلطنة الناصر حسن الأولى على مصر و هى سنة إحدى و خمسين و سبعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۴۹

فيها توفّى الأمير سيف الدين دلنجى بن عبد اللّه (و دلنجى هو المكدى باللّغة التركيّة). كان أصله من الأتراك و قدم إلى الديار المصريّة سنة ثلاثين و سبعمائة، فأنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بإمرة عشرة. ثمّ إمرة طبلخاناة.

ثمّ ولى نيابة غزّة بعد الأمير تلجك، فأوقع بالمفسدين ببلاد غزّة و أبادهم، و قويت حرمته. و كان شجاعا مهابا

و توفّى الشيخ الإمام العلّامة شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزّرعىّ الدّمشقىّ الحنبلى، المعروف بابن قيّم الجوزيّة بدمشق، فى ثالث عشر شهر رجب.

و مولده سنة إحدى و تسعين و ستّمائة. و كان بارعا فى عدّة علوم، ما بين تفسير و فقه و عربيّة و نحو و حديث و أصول و فروع، و لزم شيخ الإسلام تقىّ الدين بن تيميّة بعد عوده من القاهرة فى سنة اثنتى عشرة و سبعمائة، و أخذ منه علما كثيرا، حتّى صار أحد أفراد زمانه، و تصدّى للإقراء و الإفتاء سنين، و انتفع به الناس قاطبة، و صنّف و ألّف و كتب. و قد استوعبنا أحواله و مصنّفاته و بعض مشايخه فى ترجمته فى «المنهل الصافى» كما ذكرنا أمثاله.

و توفّى الأمير حسام الدين لاچين بن عبد اللّه العلائىّ الناصرىّ. أصله من مماليك الناصر محمد. ثم صار أمير جاندار فى ولة الملك المظفّر حاجّىّ، فإنه كان روج أمّه. ثمّ ولى أمير آخور، فلمّا قتل الملك المظفر فى سنة ثمان و أربعين و سبعمائة، عزل و أخرج إلى حلب، على إقطاع الأمير حسام الدين محمود بن داود الشّيبانىّ، فدام بحلب إلى أن مات بها، و قيل بغيرها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۵۰

و توفّى الشيخ فخر الدين أبو عبد اللّه محمد بن علىّ بن إبراهيم بن عبد الكريم المصرى، الفقيه الشافعىّ بدمشق، فى سادس عشرين ذى القعدة، و مولده سنة إحدى و تسعين و ستّمائة. و كان فقيها عالما فاضلا بارعا فى فنون.

و توفّى ابن قرمان صاحب جبال الروم بعد مرض طويل.

قلت: و بنو قرمان هؤلاء هم من ذريّة السلطان علاء الدين كيقباد السّلجوقىّ، و هم ملوك تلك البلاد إلى يومنا هذا، و قد تقدّم من ذكرهم جماعة كثيرة فى هذا الكتاب.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و نصف، و قيل خمس أذرع و سبع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة دراعا. و نزل فى خامس توت و شرقت البلاد.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٥٢]

اشارة

السنة الرابعة من سلطنة الملك الناصر حسن الأولى على مصر و هى سنة اثنتين و خمسين و سبعمائة، و هى التى خلع فيها السلطان حسن المذكور فى سابع و عشرين جمادى الآخرة، و حكم فى باقيها أخوه الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون. فيها توفّى السيّد الشريف أدّى أمير المدينة النبويّة، على ساكنها أفضل الصلاة و السلام، فى السجن.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٠، ص: ٢٥١

و توفّى الأمير سيف الدين طشبغا بن عبد اللّه الناصرىّ الدّوادار. كان من جملة الأمراء فى الديار المصريّة، فلمّا أخرج الأمير جرجى الدوادار من القاهرة، فى أوّل دولة الملك الناصر حسن، استقرّ طشبغا هذا دوادارا عوضه، فى شهر رمضان سنة ثمان و أربعين و سبعمائة، و استمرّ على ذلك إلى أن توفّى. و كان خيّرا ديّنا فاضلا عاقلا.

و توفّى قاضى القضاة الحنفيّة بحلب ناصر الدين محمد بن عمر بن عبد العزيز ابن محمد بن أبى الحسن بن أحمد بن هبة اللّه بن محمد بن هبة اللّه [بن أحمد] بن يحيى بن أبى جرادة، المعروف بابن العديم الحلبى بحلب، عن ثلاث و ستّين سنة.

و قد تقدّم ذكر جماعة من آبائه و أقاربه فى هذا الكتاب، و سيأتى ذكر جماعة أخر من أقاربه، كلّ واحد فى محلّه. إن شاء اللّه تعالى.

و توفّى ملك الغرب أبو الحسن علىّ بن ابى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحقّ ابن محيو بن أبى بكر بن حمامة فى ليلة الثلاثاء السابع و العشرين من شهر ربيع الأوّل، و قام فى الملك من بعده ابنه أبو عنان فارس. و كانت مدّة ملكه إحدى و عشرين سنة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٠، ص: ٢٥٢

و توفّى القاضى شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحيم بن عبد اللّه بن محمد ابن محمد بن خالد بن محمد بن نصر المعروف بابن القيسرانىّ، موقّع الدّست و صاحب المدرسة بسويقة الصاحب داخل القاهرة و بها دفن، و كان معدودا من الرؤساء الأماثل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٠، ص: ٢٥٣

و توفّى الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدىّ، أحد أمراء الطبلخاناة بالديار المصرية، و هو مجرّد ببلاد الصعيد، فحمل إلى القاهرة ميّتا فى يوم الأحد ثانى عشرين شهر رمضان.

و توفّى الشيخ الإمام تاج الدين أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن يوسف المرّاكشىّ الأصل الشافعىّ بدمشق فى جمادى الآخرة. و كان فقيها فاضلا بارعا معدودا من فقهاء الشافعية.

و توفّى القاضى علاء الدين علىّ بن محمد بن مقاتل الحرّانىّ ثم الدّمشقىّ ناظر دمشق بالقدس الشريف، فى عاشر شهر رمضان.

قلت: لعلّ علاء الدين هذا غير الأديب علاء الدين بن مقاتل الزّجّال الحموىّ.

لأنى أحفظ وفاة هاذاك، فى سنة إحدى و ستين و سبعمائة، و هكذا أرّخناه فى «المنهل الصافى و المستوفى بعد الوافى».

أمر النيل فى هذه السنة. المآن القديم ستّ أذرع و خمس أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إصبع واحدة. و اللّه أعلم.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۵۴

ذکر سلطنة الملک الصالح صالح ابن السلطان الملک الناصر محمد ابن السلطان الملک المنصور قلاوون

هو العشرون من ملوک التّرک بدیار مصر، و الثامن من أولاد الملک الناصر محمد بن قلاوون. و أمّه خوند قطلو ملک بنت الأمیر تنکز الناصریّ نائب الشام، تسلطن بعد خلع أخیه الملک الناصر حسن فی یوم الاثنین ثامن عشرین جمادی الآخرة سنة اثنتین و خمسین و سبعمائة، باتفاق الأمراء علی ذلک، و أمره أنّ الأمراء لما حملت لهم نمجاة الملک، و أخبروا بأن الناصر حسنا خلع نفسه، و هم وقوف بقبّة النصر خارج القاهرة، توجّهوا الی بیوتهم، و باتوا تلک اللیلة و هی لیلة الاثنین بإسطبلاتهم، و أصبحوا بکرة یوم الاثنین طلعوا إلی القلعة، و اجتمعوا بالرّحبة داخل باب النحاس، و طلبوا الخلیفة و القضاة و سائر الأمراء و أرباب الدولة، و استدعوا بالصالح هذا من الدور السلطانیة؛ فأخرج لهم فقاموا له و أجلسوه و بایعوه بالسلطنة، و ألبسوه شعار الملک و أبّهة السلطنة، و أرکبوه فرس النّوبة من داخل باب السّتارة، و رفعت الغاشیة بین یدیه و مشت الأمراء و الأعیان بین یدیه و الأمیر طاز و الأمیر منکلی بغا آخذان بشکیمة فرسه، و سار علی ذلک حتی نزل و جلس علی تخت الملک بالقصر، و قبّلت الأمراء الأرض بین یدیه، و حلفوا له [و حلّفوه] علی العادة، و لقّبوه بالملک الصالح، و نودی بسلطنته بمصر

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۵۵

و القاهرة و دقّت الکوسات و زیّنت القاهرة و سائر بیوت الأمراء. و قبل سلطنته کان النیل نقص عند ما کسر علیه، فردّ نقصه و نودی علیه بزیادة ثلاث أصابع من سبع عشرة ذراعا، فتباشر الناس بسلطنته.

ثم توجّه الأمیر بزلار أمیر سلاح إلی الشام، و معه التشاریف و البشارة بولایة السلطان الملک الصالح، و تحلیف العساکر الشامیة له علی العادة. ثم طلب الأمیر طاز و الأمیر مغلطای مفاتیح الذخیرة لیعتبرا ما فیها فوجدا شیئا یسیرا. ثم رسم للصاحب علم الدین عبد اللّه بن زنبور، بتجهیز تشاریف الأمراء و أرباب الوظائف علی العادة، فجهّزها فی أسرع وقت، و وقف الأمیر طاز سأل السلطان و الأمراء الإفراج عن الأمیر شیخون العمری، فرسم بذلک، و کتب کلّ من مغلطای و طاز کتابا، و بعث مغلطای أخاه قطلیجا رأس نوبة، و بعث طاز الأمیر طقطای صهره، و جهزت له الحرّاقة لإحضاره من الإسکندریة فی یوم الثلاثاء تاسع عشرین جمادی الآخرة من سنة اثنتین و خمسین و سبعمائة المذکورة، و کان ذلک بغیر اختیار الأمیر مغلطای، إلّا أنّ الأمیر طاز دخل علیه و ألحّ علیه فی ذلک، حتی وافقه علی مجیئه، بعد أن قال له: أخشی علی نفسی من مجیء شیخون إلی مصر، فحلف له طاز أیمانا مغلّظة أنه معه علی کلّ ما یرید، و لا یصیبه من شیخون ما یکره، و أنّ شیخون إذا حضر لا یعارضه فی شیء من أمر المملکة، و إنی ضامن له فی هذا، و ما زال به حتی أذعن، و کتب له مع أخیه، فشقّ ذلک علی الأمیر منکلی بغا الفخریّ، و عتب مغلطای علی موافقة طاز، و عرّفه أنّ بحضور شیخون إلی مصر یزول عنهم

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۵۶

ما هم فیه، فتقرّر فی ذهن مغلطای ذلک، و ندم علی ما کان منه، إلی أن کان یوم الخمیس أوّل شهر رجب، و رکب الأمراء فی الموکب علی العادة، أخذ منکلی بغا یعرّف النائب و الأمراء بإنکار ما دار بینه و بین مغلطای، و حذّرهم من حضور شیخون إلی أن وافقوه، و طلعوا إلی القلعة و دخلوا إلی الخدمة، فابتدأ النائب بحضور شیخون و قال: إنه رجل کبیر و یحتاج إلی إقطاع کبیر و کلف کثیرة، فتکلّم مغلطای و منکلی بغا و الأمراء و طاز ساکت، قد اختبط لتغیّر مغلطای و رجوعه علی ما وافقه علیه، و أخذ طاز یتلطّف بهم، فصمّم مغلطای علی ما هو علیه و قال: مالی وجه أنظر به شیخون، و قد أخذت منصبه و وظیفته و سکنت فی بیته، فوافقه النائب، و قال لناظر الجیش: اکتب له مثالا بنیابة حماة، فکتب ناظر الجیش ذلک فی الوقت، و توجه به أیدمر الدوادار فی الحال فی حرّاقة، و عیّن لسفر شیخون عشرون هجینا لیرکبها و یسیر علیها إلی حماة.

و انفضّوا و فی نفس طاز ما لا یعبّر عنه من القهر، و نزل و اتّفق هو و الأمیر صرغتمش و ملکتمر و جماعة، و اتفقوا جمیعا، و بعثوا إلی مغلطای، بأنّ منکلی بغا رجل فتنیّ، و ما دام بیننا لا نتّفق أبدا، فلم یصغ مغلطای إلی قولهم، و احتجّ بأنه إن وافقهم لا یأمن علی نفسه، فدخل علیه طاز لیلا- بالأشرفیة من قلعة الجبل، حیث هی مسکن مغلطای و خادعه، حتی أجابه إلی إخراج منکلی بغا و تحالفا علی ذلک؛ فما هو إلا أن خرج عنه طاز، أخذ دوادار مغلطای یقبّح علی مغلطای

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۵۷

ما صدر منه، و یهوّل علیه الأمر، بأنه متی ابعد منکلی بغا و حضر شیخون أخذ لا محالة، فمال إلیه، و بلغ الخبر منکلی بغا بکرة یوم الجمعة ثانیه. فواعد النائب و الأمراء علی الاجتماع فی صلاة الجمعة، لیقع الاتفاق علی ما یکون، فلم یخف عن طاز و صرغتمش رجوع مغلطای عما تقرّر بینه و بین طاز لیلا، فاستعدّا للحرب، و واعدا الأمیر ملکتمر المحمدیّ، و الأمیر قردم الحمویّ، و من یهوی هواهم، و استمالوا ممالیک بیبغا أرس و ممالیک منجک حتی صاروا معهم رجاء لخلاص أستاذیهم، و شدّ الجمیع خیولهم، فلمّا دخل الأمراء لصلاة الجمعة، اجتمع منکلی بغا بالنائب و جماعته، و قرّر معهم أن یطلبوا طاز و صرغتمش الی عندهم فی دار النیابة، و یقبضوا علیهما، فلمّا أتاهما الرسول من النائب یطلبهما، أحسّا بالشرّ و قاما لیتهیأ للحضور، و صرفا الرسول علی أنهما یکونان فی أثره، و بادرا الی باب الدوّر و نحوه من الأبواب فأغلقاها، و استدعوا من معهم من الممالیک السلطانیة و غیرها، و لبسوا السلاح، و نزل صرغتمش بمن معه من باب السرّ، لیمنع من یخرج من اسطبلات الأمراء، و دخل طاز علی السلطان الملک الصالح، حتی یرکب به للحرب، فلقی الأمیر صرغتمش فی نزوله الأمیر أیدغدی أمیر آخور، فلم یطق منعه، و أخذ بعض الخیول من الاسطبل و خرج منه، فوجد خیله و خیل من معه فی انتظارهم، فرکبوا الی الطبلخاناه، فاذا طلب منکلی بغا مع ولده و ممالیکه یریدون قبّة النصر، فألقوا ابن منکلی بغا عن فرسه، و جرحوه فی وجهه، و قتلوا حامل الصّنجق و شتّتوا شمل الجمیع، فما استتم هذا، حتی ظهر طلب مغلطای مع ممالیکه، و لم یکن لهم علم بما وقع علی طلب منکلی بغا، فصدمهم صرغتمش أیضا بمن معه صدمة بدّدتهم،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۵۸

و جرح جماعة منهم و هزم بقیّتهم. ثم عاد صرغتمش لیدرک الأمراء قبل نزولهم من القلعة، و کانت خیولهم واقفة علی باب السّلسلة تنتظرهم، فمال علیها صرغتمش لیأخذها، و امتدّت أیدی أصحابه إلیها و قتلوا الغلمان، فعظم الصّیاح و انعقد الغبار، و اذا بالنائب و منکلی بغا و مغلطای و بیغرا و من معهم قد نزلوا و رکبوا خیولهم، و کانوا لمّا أبطأ علیهم حضور طاز و صرغتمش بعثوا فی استحثاثهم، فاذا الأبواب مغلقة، و الضجّة داخل باب القلعة، فقاموا من دار النیابة یریدون الرکوب فلمّا توسّطوا بالقلعة حتی سمعوا ضجّة الغلمان و صیاحهم، فأسرعوا إلیهم و رکبوا، فشهر مغلطای سیفه و هجم بمن معه علی صرغتمش، و مرّ النائب و بیغرا و رسلان بصل، یرید کلّ منهم إسطبله، فلم یکن غیر ساعة حتی انکسر مغلطای من صرغتمش کسرة قبیحة، و جرح کثیر من أصحابه، و فرّ الی جهة قبّة النصر و هم فی أثره، و انهزم منکلی بغا أیضا.

و کان طاز لمّا دخل علی السلطان عرّفه، أن النائب و الأمراء اتّفقوا علی إعادة الملک الناصر حسن الی السلطنة، فمال السلطان الملک الصالح الی کلامه، فقام معه فی ممالیکه، و نزل الی الإسطبل و استدعی بالخیول لیرکب، فقعد به أیدغدی أمیر آخور و احتجّ بقلّة السّروج، فانه کان من حزب مغلطای، فأخذوا الممالیک ما وجدوه من الخیول و رکبوا بالسلطان، و دقت الکوسات فاجتمع إلیه الأمراء و الممالیک و الأجناد من کلّ جهة، حتی عظم جمعه، فلم تغرب الشمس إلا و المدینة قد أغلقت، و امتلأت الرّمیلة بالعامة، و سار طاز بالسلطان یرید قبّة النصر، حتی یعرف خبر صرغتمش، فوافی قبّة النصر بعد المغرب، فوجد صرغتمش

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۵۹

قد تمادی فی طلب مغلطای و منکلی بغا حتی أظلم اللیل، فلم یشعر إلا بمملوک النائب قد أتاه برسالة النائب أن مغلطای عنده فی بیت آل ملک بالحسینیّة، فبعث صرغتمش جماعة لأخذه، و مرّ فی طلب منکلی بغا، فلقیه الأمیر محمد بن بکتمر الحاجب و عرّفه أن

منكلى بغا نزل قريبا من قناطر الأميرية، و وقف يصلّى، و أنّ طلب الأمير مجد الدين موسى بن الهذبانىّ، قد جاء من جهة كوم الرّيش، و لحقه الأمير أرغون ألبكى فى جماعة، فقبض عليه و هو قائم يصلّى، و كتّفوه بعمامته، و أركبوه بعد ما نكلّوا به، فلم يكن غير قليل حتى أتوا بهما فقيّدا و حبسا بخزانة شمائل، ثم أخرجا إلى الإسكندرية، و معهما ابنا منكلى بغا فسجنوا بها.

و أمّا صرغتمش فإنه لمّا فرغ من أمر مغلطاى و منكلى بغا و قبض عليهما، أقبل على السلطان بمن معه بقبة النصر، و عرّفه بمسك الأميرين، فسرّ السلطان سرورا كبيرا، و نزل هو و الأمراء و باتوا بقبّة النصر، و ركب السلطان بكرة يوم السبت ثالث شهر رجب إلى قلعة الجبل، و جلس بالإيوان و هنّئوه بالسلامة و الظفر، و فى الحال كتب بإحضار الأمير شيخون، و خرج جماعة من الأمراء بمماليكهم إلى لقائه، و نزلت البشائر إلى بيت شيخون، و بيت بيبغا أرس و بيت منجك اليوسفىّ الوزير، فكان يوما عظيما، و بات الأمراء تلك الليلة على تخوّف.

و أمّا شيخون لمّا ورد عليه الرسول بإطلاقه أوّلا خرج من الإسكندريّة و هو ضعيف، و ركب الحرّاقة، و فرح أهل الإسكندرية لخلاصه، و سافر فوافاه كتاب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۶۰

الأمير صرغتمش بأنه إذا أتاك أيدمر بنيابة حماة، لا ترجع و أقبل إلى القاهرة فأنا و طاز معك؛ فلمّا قرأ شيخون الكتاب تغير وجهه، و علم أنه قد حدث فى أمره شىء، فلم يكن غير ساعة، حتى لاحت له حرّاقة أيدمر، فمرّ شيخون و هو مقلع و أيدمر منحدر إلى أن تجاوزه، و أيدمر يصيح و يشير بمنديله إليه فلا يلتفتون إليه، فأمر أيدمر بأن تجهّز مركبه بالقلع، و ترجع خلف شيخون، فما تجهّز قلع مركب أيدمر حتى قطع شيخون بلادا كثيرة، و صارت حرّاقته تسير و أيدمر فى أثرهم فلم يدركوه إلا بكرة يوم السبت، فعند ما طلع إليه أيدمر و عرّفه ما رسم به، من عوده إلى حماة، و قرأ المرسوم الذى على يد أيدمر برجوعه إلى نيابة حماة، و إذا بالخيل يتبع بعضها بعضا، و المراكب قد ملأت وجه الماء تبادر لبشارته و إعلامه بما وقع من الركوب و مسك مغلطاى و منكلى بغا، فسرّ شيخون بذلك سرورا عظيما، و سار إلى أن أرسى بساحل بولاق فى يوم الأحد رابع شهر رجب، بعد أن مشت له الناس إلى منية الشيرج، فلما رأوه صاحوا و دعوا له و تلقّته المراكب، و خرج الناس إلى الفرجة عليه، حتى بلغ كراء المركب إلى مائة درهم، و ما وصلت الحرّاقة إلا و حولها فوق ألف مركب، و ركبت الأمراء إلى لقائه و زيّنت الصليبة و أشعلت الشموع، و خرجت مشايخ الصوفية بصوفيّتهم إلى لقائه، فسار فى موكب لم ير مثله لأمير قبله، و سار حتى طلع القلعة و قبّل الأرض بين يدى السلطان الملك الصالح، فأقبل عليه السلطان و خلع عليه تشريفا جليلا، و قلع عنه ثياب السجن، و هى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۶۱

ملّوطة طرح محرّر. ثم نزل إلى منزله و التهانى تتلقاه. و دام الأمر على ذلك إلى يوم الأربعاء سابع شهر رجب رسم، بإخراج الأمير بيبغا أرس حارس طير نائب السلطنة بالديار المصرية فالأمير بيغرا، فنزل الحاجب إلى بيت آل ملك بالحسينية و به كان سكن بيبغا المذكور، و أخرج منه ليسير من مصر إلى نيابة غزّة، و أخرج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۶۲

بيغرا من الحمّام إخراجا عنيفا ليتوجّه إلى حلب، فركبا من فورهما و سارا. ثم رسم بإخراج الأمير أيدغدى الأمير آخور إلى طرابلس بطّالا، و كتب بالإفراج عن المسجونين بالإسكندرية و الكرك.

و فى يوم السبت عاشره ركب السلطان و الأمراء إلى الميدان على العادة، و لعب فيه بالكرة، فكان يوما مشهودا.

و وقف الناس للسلطان، فى الفار الضامن، و رفعوا فيه مائة قصّة فقبض عليه، و ضربه الوزير بالمقارع ضربا مبرّحا و صادره، و أخذ منه مالا كثيرا.

و فيه قبض على الأمير بيبغا طط المعروف بحارس طير نائب السلطنة المتوجّه إلى نيابة غزّة فى طريقه، و سجن بالإسكندرية.

و فى يوم الأحد حادى عشره وصل الأمراء من سجن الإسكندرية و هم سبعة نفر: منجك اليوسفىّ الوزير و فاضل أخو بيبغا أرس و أحمد الساقى نائب صفد و عمر شاه الحاجب و أمير حسين التّترىّ و ولده، و الأمير محمد بن بكتمر الحاجب. فركب الأمراء و مقدّمهم الأمير طاز، و معه الخيول المجهّزة لركوبهم، حتى لقيهم و طلع بهم إلى القلعة، فقبّلوا الأرض و خلع السلطان عليهم، و نزلوا إلى بيوتهم فامتلأت الزاهرة بالأفراح و التهانى، و نزل الأمير شيخون و الأمير طاز و الأمير صرغمتش إلى الطبلاتهم، و بعثوا إلى الأمراء القادمين من السّجن التقادم السّنية من الخيول و التّعابى القماش و البسط و غيرها، فكان الذى بعثه شيخون لمنجك خمسة أفراس و مبلغ ألفى دينار، و قس على هذا.

ثمّ فى يوم الاثنين ثانى عشر شهر رجب خلع على الأمير قبلاى الحاجب و استقرّ فى نيابة السلطنة بالديار المصريّة، عوضا عن بيبغا طط حارس طير.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۶۳

و فى يوم الخميس خامس عشر شهر رجب قدم الأمير بيبغا أرس من سجن الكرك، فركب الأمراء إلى لقائه، و طلع إلى السلطان و قبّل الأرض و خلع عليه و نزل إلى بيته، فلم يبق أحد من الأمراء حتّى قدّم له تقدمة تليق به.

ثم فى يوم الاثنين تاسع عشره خلع على الأمير بيبغا أرس و استقرّ فى نيابة حلب عوضا عن أرغون الكاملى و استقرّ أرغون الكاملى فى نيابة الشام، عوضا عن أيتمش الناصرىّ، و خلع على أحمد الساقى شادّ الشراب خاناه كان، بنيابة حماة عوضا عن طنيرق، و رسم لطنيرق أن يتوجّه إلى حلب أمير طبلخاناة بها. ثم رسم بأن يكون بطّالا بدمشق، و سافر بيبغا أرس و أحمد الساقى بعد أيام إلى محلّ كفالتهما ثم سأل الأمير منجك الإعفاء عن أخذ الإمرة، و أن يقعد بطّالا بجامعه، فأجيب إلى ذلك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۶۴

بسفارة الأمير شيخون، و استردّ أملاكه التى كان أنعم بها السلطان على المماليك و الخدّام و الجوارى، و رمّم ما تشعّث من صهريجه و استجدّ به خطبة. ثم خلع السلطان على عمر شاه و استقر حاجب الحجاب عوضا عن قبلاى المنتقل إلى نيابة السلطنة بديار مصر، و أنعم على طشتمر القاسمىّ بتقدمة ألف، و استقر حاجبا ثانيا و هى تقدمة بيغرا.

و فيها أخرج جماعة من الأمراء و فرّقوا بالبلاد الشامية، و هم: الأمير طينال الجاشنكير و آقجبا الحموىّ الحاجب و ملكتمر السعدى و قطلوبغا أخو مغلطاى و طشبغا الدوادار.

و فى يوم السبت تاسع شعبان وصل الملك المجاهد صاحب اليمن من سجن الكرك، فخلع عليه من الغد و رسم له بالعود الى بلاده من جهة عيذاب، و بعث إليه الأمراء بتقادم كثيرة و توجّه الى بلاده. و كانت أمّه قد رجعت من مكة الى اليمن بعد مسكه و أقامت فى مملكة اليمن الصالح و كتبت الى تجّار الكارم توصّيهم بابنها المجاهد و أن يقرضوه ما يحتاج إليه، و ختمت على أموالهم من صنف المتجر بعدن و تعزّ و زبيد، فقدم قاصدها، بعد أن قبض على المجاهد ثانيا و سجن بالكرك، بعد أن كان رسم له الملك الناصر حسن بالتوجّه إلى بلاده، لأمر بدا منه فى حقّ السلطان فى الطريق، فكتب مسفّره يعرّف السلطان بذلك. انتهى.

ثم فى يوم الاثنين ثانى عشر شعبان، وصل إلى القاهرة الأمير أيتمش الناصرىّ المعزول عن نيابة الشام، فقبض عليه من الغد.

ثم قدم الشريف ثقبة صاحب مكّة فى مستهلّ شهر رمضان بعد ما قدم قوده و قود أخيه عجلان، فخلع السلطان عليه بإمرة مكّة بمفرده، و اقترض من الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۶۵

طاز ألف دينار، و من الأمير شيخون عشرة آلاف درهم، و اقترض من التجار مالا كثيرا، و اشترى الخيل و المماليك و السلاح و استخدم عدّة أجناد، و رسم بسفر الأمير حسام الدين لاجين العلائىّ مملوك آقبغا الجاشنكير صحبته ليقلّده إمرة مكّة. ثم سافر الأمير طيبغا المجدىّ فى خامس شوّال بالحج و المحمل على العادة، و سار الجميع إلى مكّة، و لم يعلم أحد خبر المجاهد صاحب اليمن

حتّى قدم مبشّرا الحاجّ فى مستهلّ المحرّم سنة ثلاث و خمسين و سبعمائة، و أخبر بوصول الملك المجاهد إلى ممالك اليمن فى ثامن عشر ذى الحجة من السنة الماضية، و أنه استولى على ممالكه.

و فى شهر ربيع الأوّل من سنة ثلاث و خمسين، و سبعمائة شرع الأمير طاز فى عمارة قصره

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۶۶

و إصطبله، تجاه حمّام الفارقانىّ بجوار المدرسة البندقدارية على الشارع. و أدخل فيه عدّة أملاك، و تولّى عمارته الأمير منجك، و حمل إليه الأمراء و غيرهم من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۶۷

الرّخام و آلات العمارة شيئا كثيرا، و شرع الأمير صرغتمش أيضا فى عمارة إسطبل الأمير بدرجك، بجوار بئر الوطاويط قريبا من الجامع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۶۸

الطّولونى و حمل إليه الناس أيضا شيئا كثيرا من آلات العمارة. ثم خلع السلطان على الأمير صرغتمش المذكور، و استقرّ رأس نوبة كبيرا، فى رتبة الأمير شيخون باختيار شيخون، و جعل إليه التصرّف فى أمور الدولة كلّها من الولاية و العزل و الحكم، ما عدا مال الخاصّ، فإن الأمير شيخون يتحدّث فيه، فقصد الناس صرغتمش لقضاء أشغالهم، و كثرت مهابته، و عارض الأمراء فى جميع أفعالهم، و أراد ألا يعمل شىء إلّا من بابه و بإشارته، فإن تحدّث غيره غضب و أبطل ما تحدّث فيه و أخرق بصاحبه، فأجمع الأمراء باستبداد السلطان بالتصرّف، و أن يكون ما يرسم به على لسان الأمير صرغتمش رأس نوبة، فطال صرغتمش و استطال و عظم ترفّعه على الناس، فتنكّرت له الأمراء و كثرت الأراجيف بوقوع فتنة، و إعادة الملك الناصر حسن و مسك شيخون، و صاروا الأمراء على تحرّز و استعداد، فأخذ صرغتمش فى التبرؤ مما رمى به، و حلف للأمير شيخون و للأمير طاز، فلم يصدّقه طاز و همّ به، فقام شيخون بينهما قياما كبيرا، حتى أصلح بينهما، و أشار على طاز بالركوب إلى عمارة صرغتمش فركب إليه و تصافيا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۶۹

و فى هذه الأيام من سنة ثلاث و خمسين رتّب الأمير شيخون فى الجامع الذى أنشأه العلامة أكمل الدين محمد الرومىّ الحنفىّ مدرّسا، و جعل خطيبه جمال الدين خليل بن عثمان الرومىّ الحنفىّ، و جعل به درسا للمالكيّة أيضا و ولّى تدريسه نور الدين السّخاوىّ المالكىّ، و قرّر له ثلثمائة درهم كلّ شهر و رتّب به قرّاء و مؤذنين و غير ذلك من أرباب الوظائف، و قرّر لهم معاليم بلغت فى الشهر ثلاثة آلاف درهم.

قلت: ذلك قبل أن تبنى الخانقاه تجاه الجامع المذكور.

و فى عاشر جمادى الآخرة خلع السلطان على الأمير شيخون العمرىّ و استقرّ رأس نوبة كبيرا عوضا عن صرغتمش لأمر اقتضى ذلك، و عند لبس شيخون الخلعة قدم عليه الخبر بولادة بعض سراريه ولدا ذكرا، فسرّ به سرورا زائدا، فإنه لم يكن له ولد ذكر.

و فى هذه الأيام ادّعى رجل النبوّة، و أنّ معجزته أن ينكح امرأة فتلد من وقتها ولدا ذكرا يخبر بصحّة نبوّته، فقال بعض من حضر: إنك لبئس النّبىّ، فقال:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۷۰

لكونكم بئس الأمة، فضحك الناس من قوله، فحبس و كشف عن أمره، فوجدوا له نحو اثنى عشر يوما من حين خرج من عند المجانين.

و فى يوم الأربعاء عاشر شهر رجب قدم كتاب الأمير أرغون الكاملىّ نائب الشام يتضمن أنه قبض على قاصد الأمير منجك الوزير بكتابه إلى أخيه ببيغا أرس نائب حلب يحسّن، له الحركة و العصيان، و أرسل الكتاب و إذا فيه أنه اتفق مع سائر الأمراء، و ما بقى إلا

أن يركب و يتحرّك، فاقتضى الرأى التأنّى حتى يحضر الأمراء و النائب إلى الخدمة من الغد و يقرأ الكتاب عليهم ليدبّروا الأمر على ما يقع عليه الاتفاق، فلمّا طلع الجماعة من الغد، إلى الخدمة لم يحضر منجك، فطلب فلم يوجد، و ذكر حواشيه أنهم من عشاء الآخرة لم يعرفوا خبره، فركب الأمير صرغتمش فى عدّة من الأمراء و كبس بيوت جماعته فلم يقع له على خبر، و تفقدوا مماليكه ففقد منهم اثنان، فنودى عليه من القاهرة، و هدّد من أخفاه و أخرج عيسى ابن حسن الهجان فى جماعة من عرب العائذ على النّجب لأخذ الطرقات عليه، و كتب إلى العربان و نوّاب الشام و ولاة الأعمال على أجنحة الطيور بتحصيله فلم يقدروا عليه، و كبست بيوت كثيرة.

ثمّ فى يوم الأربعاء رابع عشرين شهر رجب قدم الخبر بعصيان الأمير أحمد الساقى نائب حماة و بعصيان الأمير بكلمش نائب طرابلس.

و فى يوم السبت سابع عشرينه، كتب بإحضار الأمير بيبغا أرس نائب حلب الى الديار المصرية، و كتب ملطّفات لأمراء حلب تتضمّن أنّه: إن امتنع من الحضور فهو معزول، و رسم لحامل الكتاب أن يعلم بيبغا أرس بذلك مشافهة بحضرة أمراء حلب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۷۱

فقدم البريد من الشام بموافقة ابن دلغادر الى بيبغا أرس و أنّه تسلطن بحلب، و تلقّب بالملك العادل و أنه يريد مصر لأخذ غرمائه، و هم طاز و شيخون و صرغتمش و بزلار و أرغون الكاملىّ نائب الشام، فلمّا بلغ ذلك السلطان و الأمراء رسم للنائب بعرض أجناد الحلقة، و تعيين مضافيهم من عبرة أربعمائة دينار الإقطاع فما فوقها ليسافروا.

ثم قدم البريد بأنّ قراجا بن دلغادر، قدم حلب فى جمع كبير من التّركمان، فركب بيبغا أرس و تلقّاه، و قد واعد نائب حماة و طرابلس على مسيره أوّل شعبان الى نحو الديار المصرية، و أنهم يلقوه على الرّستن، فأمر السلطان الأمير طقطاى الدّوادار بالخروج الى الشام على البريد و على يده ملطّفات لجميع أمراء حلب و حماة و طرابلس، فسار طقطاى حتّى وصل دمشق و بعث بالملطّفات الى أصحابها، فوجد أمر بيبغا أرس قد قوى، و وافقه النوّاب و العساكر و ابن دلغارر بتركمانه، و حيّار بن مهنّا بعربانه، فكتب نائب الشام بأن سفر السلطان لا بد منه، و إلا خرج عنكم الشام جميعه، فاتّفق رأى أمراء مصر على ذلك، و طلب الوزير و رسم له بتهيئة بيوت السلطان، و تجهيز الإقامات فى المنازل، فذكر أنّه ما عنده مال لذلك، فرسم له بقرض ما يحتاج إليه من التجّار، فطلب تجّار الكارم و باعهم غلالا من الأهراء بالسعر الحاضر، و عدّة أصناف أخر، و كتب لمغلطاى بالإسكندريّة، و أخذ منه أربعمائة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۷۲

ألف درهم، و أخذ من النائب مائة ألف درهم قرضا، و من الأمير بلبان الأستادار مائة ألف درهم، فلم يمض أسبوع حتّى جهّز الوزير جميع ما يحتاج إليه السلطان.

و خرج الأمير طاز فى يوم الخميس ثالث شعبان، و معه الأمير بزلار و الأمير كلتا و الأمير فارس الدين ألبكى. ثم خرج الأمير طيبغا المجدىّ و ابن أرغون النائب و كلاهما مقدّم ألف فى يوم السبت خامس شعبان و خرج الأمير شيخون العمرى فى يوم الأحد سادسه بتجمّل عظيم، فبينما الناس فى التفرّج على طلبه إذ قيل قبض على منجك اليوسفى، و هو أن الأمير طاز لمّا رحل و وصل الى بلبيس قيل له: إنّ بعض أصحاب منجك صحبة شاورشى مملوك قوصون، فطلبهما الأمير طاز و فحص عن أمرهما فرابه أمرهما، فأمر بالرجل ففتّش فإذا معه كتاب منجك لأخيه بيبغا أرس، يتضمّن أنه قد فعل كلّ ما يختاره، و جهّز أمره مع الأمراء كلّهم، و أنه أخفى نفسه و أقام عند شاورشى أيّاما ثم خرج من عنده الى بيت الحسام الصّقرى أستاداره و هو مقيم حتّى يعرف خبره، و هو يستحثه على الخروج من حلب، فبعث به طاز الى الأمير شيخون، فوافى الاطلاب خارجة، فطلب شيخون الحسام الصّقرى و سأله فأنكر، فأخذه الأمير صرغتمش و عاقبه. ثمّ ركب الى بيته بجوار الجامع الأزهر و هجمه فاذا منجك و مملوكه، فأخذه صرغتمش و أركبه مكتوف اليدين الى القلعة، فسيّر من وقته الى الاسكندرية فحبس بها.

ثمّ ركب السلطان الملك الصالح من قلعة الجبل فى يوم الاثنين سابع شعبان فى بقية الأمراء و الخاصكية و نزل الى الرّيدانية خارج القاهرة و خلع على الأمير قبلاى نائب الغيبة باستقراره نائب الغيبة و رتّب أمير على المارديني أن يقيم

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۷۳

بالقلعة و معه الأمير كشلى السّلاح دار ليقيما داخل باب القلّة، و يكون على باب القلعة الأمير أرنان و الأمير قطلوبغا الذهبى و رتّب الأمير مجد الدين موسى الهذبانى مع والى مصر لحفظ مصر. ثم استقلّ السلطان بالمسير من الريدانية فى يوم الثلاثاء بعد الظهر.

فقدم البريد بأنّ الأمير مغلطاى الدوادار خرج من دمشق يريد مصر و أنّ الأمير أرغون الكاملىّ نائب الشام لمّا بلغه خروج بيبغا أرس بمن اجتمع معه من العساكر، عزم على لقائه فبلغه مخامرة أكثر أمراء دمشق فاحترس على نفسه و صار يجلس بالميدان و هو لابس آلة الحرب. ثم اقتضى رأى الأمير مسعود بن خطير أنّ النائب لا يلقى القوم، و أنه ينادى بالعرض للنفقة بالكسوة فاذا خرج العسكر إليه بمنزلة الكسوة، منعهم من عبورهم الى دمشق و سار بهم الى الرّملة فى انتظار قدوم السلطان، و أنه استصوب ذلك و فعله، و أنه مقيم بعسكر دمشق على الرملة، و أن الأمير ألطنبغا برناق نائب صفد سار الى بيبغا أرس و أن بيبغا أرس سار من حلب الى حماة و اجتمع مع نائبها أحمد الساقى و بكلمش نائب طرابلس، و سار بهم الى حمص، و عند نزوله على حمص وصل إليه مملوكا الأمير أرقطاى بكتاب السلطان ليحضر فقبض عليهما و قيّدهما و سار يريد دمشق فبلغه مسير السلطان و اشتهر ذلك فى عسكره و أنه عزل عن نيابة حلب فانحلت عزائم كثير ممن معه من المقاتلة، و أخذ بيبغا أرس فى الاحتفاظ بهم و التحرز منهم الى أن قدم دمشق يوم الخميس خامس عشرين شهر رجب، فاذا أبواب المدينة مغلّقة و القلعة محصّنة، فبعث الى

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۷۴

الأمير إياجى نائب قلعتها يأمره بالإفراج عن قردم و أن يفتح أبواب المدينة، ففتح أبواب المدينة و لم يفرج عن قردم فركب الأمير أحمد الساقى نائب حماة و بكلمش نائب طرابلس من الغد ليغيرا على الضّياع فوافى بعض عسكر بيبغا أرس نجّابا يخبر بمسك منجك و مسير السلطان من خارج القاهرة، و عاد أحمد و بكلمش فى يوم الاثنين رابع عشر شعبان و قد نزل طاز بمن معه المزيرب فارتجّ عسكر بيبغا أرس و تواعد قراجا بن دلغادر و حيّار بن مهنا على الرحيل، فما غربت الشمس إلا و قد خرجا بأثقالهما و أصحابهما و سارا، فخرج بيبغا أرس فى أثرهما فلم يدركهما، و عاد بكرة يوم الثلاثاء فلم يستقرّ قراره، حتى دقّت البشائر بقلعة دمشق، بأن الأمير طاز و الأمير أرغون الكاملىّ نائب الشام وافيا دمشق و أن الأمير شيخون و السلطان ساقة؛ فبهت بيبغا أرس و تفرّق عنه من كان معه، فركب عائدا إلى حلب فى تاسع عشر شعبان، فكانت إقامته بدمشق أربعة و عشرين يوما، أفسد أصحابه بدمشق فيها مفاسد و قبائح من النهب و السّبى و الحريق و الغارات على الضّياع من حلب إلى دمشق و فعلوا كما فعل التتار أصحاب قازان و غيره، فبعث السلطان الأمير أسندمر العلائى إلى القاهرة بالبشارة فقدمها يوم الجمعة خامس عشرين شعبان، و دقّت البشائر لذلك و زيّنت القاهرة

و أمّا السلطان الملك الصالح فإنه التقى مع الأمير أرغون شاه الكاملىّ نائب الشام على بدّعرش من عمل غزّة، و قد تأخّر معه الأمير طاز بمن معه فدخلوا غزّة، و خلع السلطان على أرغون المذكور باستمراره فى نيابة دمشق، و أنعم عليه بأربعمائة ألف درهم و أنعم على أمير مسعود بن خطير بألف دينار، و على كل أمراء دمشق كل واحد قدر رتبته، فكان جملة ما أنفق السلطان فيهم ستمائة ألف درهم، و تقدّم الأمير شيخون و الأمير طاز و الأمير أرغون نائب الشام إلى دمشق و تأخر الأمير صرغتمش

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۷۵

صحبة السلطان ليدبّر العسكر، ثم تبعهم السلطان إلى دمشق فدخلها فى يوم الخميس مستهلّ شهر رمضان، و خرج الناس إلى لقائه و زيّنت مدينة دمشق، فكان لدخوله يوم مشهود، و نزل السلطان بقلعة دمشق، ثم ركب منها فى الغد يوم الجمعة ثانية إلى الجامع الأموى فى موكب جليل حتى صلى به الجمعة و كان الأمراء قد مضوا فى طلب بيبغا أرس.

و أما بيبغا أرس فانه قدم إلى حلب فى تاسع عشرين شعبان، و قد حفرت خنادق تجاه أبواب حلب و غلّقت و امتنعت القلعة عليه و رمته بالحجارة و المجانيق، و تبعهم الرجال من فوق الأسوار بالرّمى عليه، و صاحوا عليه فبات تلك الليلة بمن معه و ركب فى يوم الخميس مستهل شهر رمضان للزحف على مدينة حلب، و إذا بصياح عظيم و البشائر تدقّ فى القلعة و هم يصيحون: يا منافقون،

العسكر وصل، فالتفت بمن معه فاذا صناجق على جبل جوشن فانهزموا عند ذلك بأجمعهم إلى نحو البرية، و لم يكن ما رأوه على جبل جوشن عسكر السلطان، و لكنه جماعة من جند حلب و عسكر طرابلس كانوا مختفين من عسكر بيبغا أرس عند خروجه من دمشق فساروا فى أعقابه يريدون الكبسة على بيبغا أرس و تعبّوا على جبل جوشن فعند ما رآهم بيبغا لم يشكّ أنهم عسكر السلطان فانهزم. و كان أهل بانقوسا قد وافقوهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۷۶

و تقدّموا عنهم فمسكوا المضايق على بيبغا و أدركهم العسكر المذكور من خلفهم فتمزق عسكر بيبغا أرس و قد انعقد عليهم الغبار، حتى لم يمكن أحد أن ينظر رفيقه فأخذهم العرب و أهل حلب قبضا باليد، و نهبوا الخزائن و الأثقال و سلبوهم ما عليهم من آلة الحرب و غيره و نجا بيبغا أرس بنفسه بعد أن امتلأت الأيدى بنهب ما كان معه و هو شىء يجلّ عن الوصف، و تتبع أهل حلب أمراءه و مماليكه و أخرجوهم من عدّة مواضع فظفروا بكثير منهم، فيهم أخوه الأمير فاضل و الأمير ألطنبغا العلائىّ شادّ الشراب خاناه و ألطنبغا برناق نائب صفد و ملكتمر السعيدى و شادى أخو نائب حماة و طيبغا حلاوة الأوجاقىّ و ابن أيدغدى الزرّاق و مهدى شاد الدواوين بحلب و أسنباى قريب ابن دلغادر و بهادر الحاموس و قليج أرسلان أستادار بيبغا أرس و مائة مملوك من مماليك الأمراء، فقيّدو الجميع و سجنوا، و توجّه مع الأمير بيبغا أرس أحمد الساقى نائب حماة و بكلمش نائب طرابلس و طشتمر القاسمىّ نائب الرّحبة و آقبغا البالسىّ و طيدمر و جماعة أخر، تبلغ عدّتهم نحو مائة و ستة عشر نفرا.

ثم دخل الأمراء حلب و أخذوا أموال بيبغا أرس، و كتبوا إلى قراجا بن دلغادر بالعفو عنه و القبض على بيبغا أرس و من معه، فأجاب بأنّه ينتظر فى القبض عليه مرسوم السلطان، و قد نزل بيبغا أرس عنده، و سأل إرسال أمان لبيبغا أرس و أنّه مستمرّ على إمرته، فجهّز له ذلك فامتنع من تسليمه، فطلب الأمراء رمضان من أمراء التّركمان، و خلع عليه بإمرة قراجا بن دلغادر و إقطاعه، و عاد الأمراء من حلب و استقرّ بها الأمير أرغون الكاملىّ نائب الشام، و عاد الجميع إلى دمشق و معهم الأمراء المقبوض عليهم فى يوم الجمعة سلخ شهر رمضان، و صلّوا العيد بدمشق مع السلطان الملك الصالح صالح، و أقاموا إلى يوم الاثنين ثالث شوّال، جلس السلطان بطارمة قلعة دمشق و أخرجوا الأمراء فى الحديد و نودى عليهم: هذا جزاء من يجامر على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۷۷

السلطان و يخون الأيمان. و وسّطوهم واحدا بعد واحد، و قد تقدّم ذكر أسمائهم عند القبض عليهم فوسّط الجميع، ما خلا ملكتمر السّعيدى فإنه أعيد إلى السجن، و خلع السلطان على أيتمش الناصرىّ و استقرّ فى نيابة طرابلس عوضا عن بكلمش السّلاحدار، و خلع على طنيرق بنيابة حماة عوضا عن أحمد الساقى، و على الأمير شهاب الدين أحمد بن صبيح بنيابة صفد عوضا عن ألطنبغا برناق.

ثم صلّى السلطان صلاة الجمعة بالجامع الأموىّ و هو سابع شوّال و خرج من دمشق يريد الديار المصريّة بأمرائه و عساكره، فكانت مدّة إقامته بدمشق سبعة و ثلاثين يوما و سار حتّى وصل القاهرة فى يوم الثلاثاء خامس عشرين شوّال من سنة ثلاث و خمسين و سبعمائة، و مشى بفرسه على الشّقق الحرير التى فرشت له بعد أن خرج الناس إلى لقائه و التفرّج عليه، فكان لدخوله القاهرة أمر عظيم لم يتّفق ذلك لأحد من إخوته، و عند ما طلع إلى القلعة تلقّته أمّه و جواريه و نثروا على رأسه الذهب و الفضّة، بعد أن فرشت له طريقه أيضا بالشّقاق الأطلس الملوّنة، و التهانى تزفّه، و لم يبق بيت من بيوت الأمراء إلا و فيه الأفراح و التهانى.

و فى قدوم السلطان الملك الصالح يقول العلّامة شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة التّلمسانى الحنفىّ تغمده اللّه برحمته: [الكامل]

الصالح الملك المعظّم قدره تطوى له أرض البعيد النازح

لا تعجبوا من طيّها فى سيره فالأرض تطوى دائما للصالح

ثم عمل السلطان عدّة مهمّات بالقلعة و القصر السلطانىّ، و خلع على جميع الأمراء و أرباب الوظائف.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۷۸

ثم قبض على الوزير علم الدين عبد اللّه بن أحمد بن زنبور و هو بخلعته قريب المغرب، و سبب ذلک أنّه لمّا فرّقت التشاريف على الأمراء، غلط الذى أخذ تشريف الأمير صرغتمش، و دخل إليه بتشريف الأمير بلبان السّنانىّ الأستادار، فلمّا رآه صرغتمش تحرّک ما عنده من الأحقاد على ابن زنبور المذكور، و تنمّر غضبا، و قام من فوره و دخل إلى الأمير شيخون و ألقى البقجة قدّامه و قال: انظر فعل الوزير معى، و حلّ الشاش و كشف التشريف. فقال شيخون: هذا وقع فيه الغلط فقام صرغتمش و قد أخذه من الغضب شبه الجنون و قال: أنا ما أرضى بالهوان، و لا بدّ من القبض عليه، و مهما شئت فأفعل، و خرج فصادف ابن زنبور داخلا إلى شيخون و عليه الخلعة، فصاح فى مماليكه خذوه. ففى الحال نزعوا عنه الخلعة، و جرّوه إلى بيت صرغتمش، فسجنه فى موضع مظلم من داره، و عزل عنه ابنه رزق اللّه فى موضع آخر. و كان قبل دخوله إلى شيخون رتّب عدّة مماليک على باب خزانة الخاص، و باب النجاس و باب القلعة و باب القرافة و غيره من المواضع و أوصاهم بالقبض على حاشية ابن زنبور و جميع الكتّاب، بحيث لا يدعو أحدا منهم يخرج من القلعة، فعند ما قبض على ابن زنبور ارتجّت القلعة و خرجت الكتّاب، فقبضت مماليک صرغتمش عليهم كلّهم، حتى على شهود الخزانة و كتّابها، و كتّاب الأمراء الذين بالقلعة، و اختلطت الطّماعة بمماليک صرغتمش و صاروا يقبضون على الكاتب، و يمضون به إلى مكان ليعرّوه ثيابه، فإن احترموه أخذوا مهمازه من رجله، و خاتمه

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة؛ ج ۱۰؛ ص۲۷۸

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۷۹

من إصبعه، أو يفتدى نفسه منهم بمال يدفعه لهم، حتى يطلقوه، و فيهم من اختفى عند الغلمان، فقرّروا عليه مالا، و استرهنوا دواته، بحيث إنّ بعض غلمان أمير حسين أخى السلطان، جمع ستّ عشرة دواة من ستة عشر كاتبا، و أصبح يجيبهم و يدفع لهم أدويتهم. و ذهب من الفرجيات و العمائم و المناديل شىء كثير. و ساعة القبض على ابن زنبور، بعث الأمير صرغتمش الأمير جرچى و الأمير قشتمر فى عدّة من المماليک إلى دور ابن زنبور بالصناعة بمدينة مصر. و أوقعوا الحوطة على حريمه، و ختموا بيوته و بيوت أصهاره و كانت حرمهم فى الفرح و عليهنّ الحلىّ و الحلل، و عندهنّ معارفهنّ، فسلب المماليک كثيرا من النساء اللّاتى كنّ فى الفرح، حتّى مكّنوهنّ من الخروج إلى دورهنّ، فخرج عامّة نساء ابن زنبور و بناته و لم تبق إلّا زوجته فوكّل بها؛ و كتب إلى ولاة الأعمال بالوجه القبلىّ و الوجه البحرىّ بالحوطة على ماله و زراعته، و ماله من القنود و الدّواليب و غيرها، و خرج لذلک عدّة من مقدّمى الحلقة، و توجّه الحسام العلائىّ إلى بلاد الشام ليوقّع الحوطة على أمواله، و أصبح الأمير صرغتمش يوم السبت ثامن عشرين شوّال، فأخرج ابن الوزير ابن زنبور رزق اللّه بكرة، و هدّده و نزل به من داره من القلعة إلى بيته، و أخذ زوجة ابن زنبور أيضا و هدّدها، و ألقى ابنها رزق اللّه إلى الأرض ليضربه فلم تصبر، و دلته على موضع المال فأخذ منه خمسه عشر ألف دينار و خمسين ألف درهم.

و أخرج من بئر صندوقا فيه ستّة آلاف دينار و مصاغ. و وجد له عند الصارم مشدّ العمائر ستّة آلاف دينار و مائة و خمسين ألف درهم، سوى التّحف و التفاصيل

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۸۰

و ثياب الصوف و غير ذلک. و ألزم محمد [بن] الكورانىّ والى مصر بتحصيل بنات ابن زنبور، فنودى عليهنّ؛ و نقل ما فى دور صهرى ابن زنبور و سلّما لشادّ الدواوين، و عاد صرغتمش إلى القلعة، فطلب السلطان جميع الكتّاب و عرضهم، فعيّن موفّق الدين هبة اللّه [بن إبراهيم] للوزارة و بدر الدين [كاتب يلبغا لنظر الخاصّ] و [تاج الدين أحمد بن الصاحب] أمين الملک عبد اللّه بن الغنّام لنظر الجيش، و أخاه كريم الدين لنظر البيوت [و ابن السعيد لنظر الدولة] و قشتمر مملوک طقزدمر لشدّ الدواوين.

و فى يوم الأحد تاسع عشرين شوّال خلع على الجميع، و أقبل الناس إلى باب صرغتمش للسعى فى الوظائف فولّى الأسعد حربة استيفاء الدولة، و ولّى كريم الدين أكرم ابن شيخ ديوان الجيش. و سلم المقبوض عليهم لشادّ الدواوين و هم: الفخر [ابن] قروينة ناظر البيوت، و الفخر بن مليحة ناظر الجيزة و الفخر مستوفى الصّحبة، و الفخر بن الرضىّ كاتب الإسطبل، و ابن معتوق كاتب الجهات، و

طلب التاج بن لفيتة ناظر المتجر و ناظر المطبخ و هو خال ابن زنبور فلم يوجد، و كبست بسببه عدّة بيوت، حتى أخذ و صار الأمير صرغتمش ينزل و معه ناظر الخاصّ و شهود الخزانة و ينقل حواصل ابن زنبور من مصر إلى حارة زويلة فأعياهم كثرة ما وجدوه له، و تتبّعت حواشى ابن زنبور، و هجمت دور كثيرة بسببهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۸۱

ثم فى مستهلّ ذى القعدة نزل الأمير صرغتمش إلى بيت ابن زنبور بالصناعة، و هدم منه ركنا فوجد فيه خمسة و ستّين ألف دينار، حملها إلى القلعة، و طلب ابن زنبور و ضربه عريانا فلم يعترف بشىء، فنزل إلى بيته و ضرب ابنه الصغير و أمّه تراه فى عدّة أيام حتى أسمعته كلاما جافيا فأمر بها فعصرت، و أخذ ناظر الخاصّ فى كشف حواصل ابن زنبور بمصر، فوجد له من الزيت و الشّيرج و النّحاس و الرّصاص و الكبريت و العكر و البقّم و القند و العسل و سائر أصناف المتجر ما أذهله، فشرع فى بيع ذلك كلّه.

هذا و الأمير صرغتمش ينزل بنفسه و ينقل قماش ابن زنبور و أثاثه إلى حارة زويلة ليكون ذخيرة للسلطان، فبلغت عدة الحمّالين الذين حملوا النّصافى و الأوانى الذهب و الفضّة و البلّور و الصّينىّ و الكتب و الملابس الرجالية و النسائية و الزراكش و اللآلئ و البسط الحرير و المقاعد ثمانمائة حمّال، سوى ما حمل على البغال. و كان ما وجد له من أوانى الذهب و الفضّة ستّين قنطارا، و من الجواهر ستين رطلا، و من اللؤلؤ الكبار إردبين، و من الذهب الهرجة مائتى ألف دينار و أربعة آلاف دينار و قيل ألف ألف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۸۲

دينار، و من الحوائص الذهب ستة آلاف حياصة، و من الكلفتاة الزّركش ستة آلاف كلفتاه، و من ملابسه عدّة ألفين و ستمائة فرجية، و من البسط ستة آلاف بساط، و من الشاشات ثلثمائة شاش، و وجد له من الخيل و البغال ألف رأس، و دواب حلّابة ستة آلاف رأس، و من معاصر السكر خمس و عشرون معصرة، و من الإقطاعات سبعمائة إقطاع، كلّ إقطاع متحصله خمسة و عشرون ألف درهم فى السنة. و وجد له مائة عبد و ستون طواشيّا و سبعمائة جارية، و سبعمائة مركب فى النيل، و أملاك قوّمت بثلاثمائة ألف دينار، و رخام بمائتى ألف درهم، و نحاس بأربعة آلاف دينار، و سروج و بدلات عدّة خمسمائة، و وجد له اثنان و ثلاثون مخزنا، فيها من أصناف المتجر ما قيمته أربعمائة ألف دينار؛ و وجد له سعة آلاف نطع و خمسمائة حمار و مائتا بستان و ألف و أربعمائة ساقية، و ذلك سوى ما نهب و ما اختلس، على أنّ موجوده أبيع بنصف قيمته. و وجد فى حاصل بيت المال مبلغ مائة ألف و ستون ألف درهم؛ و بالأهراء نحو عشرين ألف إردب: و هذا الذى ذكرناه محرّر عن الثقات.

و أما غيرنا فذكر له أشياء كثيرة حدا، أضربنا عن ذكرها خوف المجازفة.

و كان ابتداء ابن زنبورانه ناشر فى استيفاء الوجه القبلى، فنهض فيه و شكرت سيرته إلى أن عرض الملك الناصر محمد بن قلاوون الكتّاب ليختار منهم من يولّيه كاتب الإسطبل، و كان ابن زنبور هذا من جملتهم و هو شاب فأثنى عليه الفخر ناظر الجيش و ساعده الأكوز و النّشو، فولّى كاتب الإسطبل عوضا عن ابن الجيعان فنالته فيها السعادة، و أعجب به السلطان لفطنة فدام على ذلك حتى مات الناصر فاستقرّ مستوفى الصّحبة ثم انتقل عنها إلى نظر الدولة ثم ولى نظر الخاصّ بعناية الأمير أرغون العلائى ثم أضيف إليه نظر الجيش، و جمع بعد مدّة إليهما الوزارة و لم تتفق لأحد قبله هذه الوظائف.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۸۳

قلت: و لا بعده إلى يومنا هذا، (أعنى لواحد فى وقت واحد).

و عظم فى الدولة و نالته السعادة، حتى إنه كان يخلع عليه فى ساعة واحدة ثلاث خلع و يخرج له ثلاث أفراس، و نفذت كلمته و قويت مهابته، و اتّجر فى جميع الأصناف حتى فى الملح و الكبريت، و لمّا صار فى هذه الرتبة كثرت حسّاده و سعوا فيه عند صرغتمش و أغروه به، حتى كان من أمره ما كان. و كان يقوم بكلف شيخون جميعها من ماله و صار صرغتمش يسمع شيخون بسببه الكلام، و يقول: لو مكنتنى منه أخذت منه للسلطان ما هو كيت و كيت، و شيخون يعتذر له و يقول:

لا يوجد من يسدّ مسدّه، و إن كان و لا بدّ يقرّر عليه مال و يستمرّ على وظائفه، و بينما هم فى ذلك قدم الخبر بعصيان بيبغا أرس، فاشتغل صرغتمش عنه حتى سافروا و عادوا إلى القاهرة، و وقع من أمر الخلعة ما حكيناه

ثم انتدب جماعة بعد مسكه للسعى فى هلاكه و أشاعوا أنه باق على دين النّصرانية، أثبتوا فى ذهن صرغتمش ذلك، و أنه لمّا دخل إلى القدس فى سفرته هذه بدأ فى زيارته بالقمامة فقبّل عتبتها و تعبّد فيها ثم خرج إلى المسجد الأقصى فأراق الماء فى بابه و لم يصلّ فيه و تصدّق على النصارى و لم يتصدّق على غيرهم، و رتّبوا فتاوى أنه ارتدّ عن دين الإسلام.

و كان أجلّ من قام عليه الشريف شرف الدين نقيب الأشراف و الشريف أبو العباس الصّفراوىّ و بدر الدين ناظر الخاصّ و الصوّاف تاجر الأمير صرغتمش، و أشهد عليه أنّ جميع ما يملكه للسلطان من مال بيت المال دون ماله. ثم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۸۴

حسّنوا لصرغتمش ضربه، فأمر به فأخرج و فى عنقه باشة و جنزير و ضرب عريانا قدّام باب قاعة الصاحب من القلعة. ثم أعيد إلى موضعه و عصر و سقى الماء و الملح.

ثم سلّم لشدّ الدواوين و أمر بقتله، فنوّع عليه أنواع العذاب فتكلّم الأمير شيخون فى عدم قتله فأمسك عنه و رتّب له الأكل و الشرب و غيّرت عنه ثيابه و نقل من قاعة الصاحب إلى بيت صرغتمش و استمرّ على ذلك إلى أن أخرج إلى قوص منفيا، و مات بها بعد أن أخذ سائر موجوده و أخذ منه و من حواشيه فوق الألفى ألف دينار. انتهى.

و أما أمر الديار المصرية فإنه لمّا كان يوم الاثنين ثامن عشرين ذى الحجّة قدم البريد من حلب بأخذ أحمد الساقى نائب حماة، و بكلمش نائب طرابلس من عند بن دلغادر و سجنا بقلعة حلب فأمر السلطان إلى نائب حلب بخلعه.

و فى هذه الأيام توفّى الخليفة أمير المؤمنين الحاكم بأمر اللّه أبو العباس أحمد بعد أن عهد لأخيه أبى بكر، فطلب أبو بكر و خلع عليه خلعة الخلافة بحضرة السلطان و الأمير شيخون و لقّب بالمعتضد بالله أبى بكر. يأتى ذكره فى الوفيات على عادة هذا الكتاب. و قد ذكرناه فى المنهل الصافى بأوسع مما يأتى ذكره فيه. و أيضا فى مختصرنا المنعوت: «بمورد اللّطافة فى ذكر من ولى السلطنة و الخلافة».

و أما أمر بيبغا أرس فانه لمّا أرسل قراجا بن دلغادر أحمد الساقى نائب حماة و بكلمش نائب طرابلس إلى حلب فى القيود و اعتقلا بقلعة حلب حسب ما ذكرناه، فكان ذلك آخر العهد بهما. ثم أرسل قراجا المذكور بيبغا أرس بعد أيام فى محرّم سنة أربع و خمسين و سبعمائة فاعتقل بقلعة حلب، و كان ذلك آخر العهد به أيضا. رحمه اللّه. و قيل: إنه ما حضر إلى حلب إلا رءوسهم. و اللّه أعلم.

و فى بيبغا أرس يقول الأديب زين الدين عبد الرحمن بن الخضر السنجارىّ الحلبىّ- رحمه اللّه- أبيانا منها: [الطويل]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۸۵

بغى بيبغا بغى الممالك عنوة و ما كان فى الأمر المراد موفّقا

أغار على الشقراء فى قيد جهله لكى يركب الشهباء فى الملك مطلقا

فلمّا علا فى ظهرها كان راكبا على أدهم لكنّه كان موثقا

ثم رسم السلطان الملك الصالح صالح أن يقرّ أهل الذمّة على ما أقرهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضى اللّه عنه- عليه من ترك تشبّههم بالمسلمين فى أمر من الأمور، و ترك ركوب الخيل و حمل السلاح، و رفع أصواتهم على أصوات المسلمين و أشباه ذلك.

ثم رسم بنفى الأمير منجك اليوسفى الوزير كان إلى صفد بطّالا. و فى هذه السنة (أعنى سنة أربع و خمسين و سبعمائة) انتهت عمارة الأمير سيف الدين طاز التى تجاه حمّام الفارقانى، فعمل طاز وليمة و عزم على السلطان و الأمراء، و مدّ سماطا عظيما.

و لمّا انتهى السّماط و عزم السلطان على الركوب، قدّم له أربعة أرؤس من الخيل بسروج ذهب و كنابيش زركش، و قدّم للامير سيف

الدين شيخون فرسين، و لصرغتمش فرسين و لسائر الأمراء المقدّمين كل واحد فرسا، و لم يعهد قبل ذلك أن سلطانا نزل إلى بيت بعض الأمراء، بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلا هذا.

و حجّ بالناس فى هذه السنة الأمير ركن الدين عمر شاه الحاجب، صاحب القنطرة خارج القاهرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۸۶

ثم استهلّت سنة خمس و خمسين و سبعمائة، فكان فيها الواقعة و الفتنة بين حاشية طاز و بين صرغتمش، و السبب لهذه الحركة أن الأمير صرغتمش كان يخاف من طاز و يغضّ منه و كذلك كان طاز يغضّ من صرغتمش، و كان طاز يدخل على شيخون مرارا عديدة بمسك صرغتمش، و كان شيخون يكره الفتن و الفساد، و قصده الصلاح للأمور بكلّ ما يمكن فكان شيخون يعده و يصبّره، و كان صرغتمش أيضا يخاف شرّ طاز و يقول لشيخون: هذا ما يريد الّا هلاكى، فكان شيخون يطمّنه على نفسه و يعده بكلّ خير، و كان إخوة طاز و حواشيه تحرّضه على صرغتمش و على إثارة الفتنة و قوى أمر طاز و إخوته و خرج عن الحدّ، و هم الأمير جنتمر و كلناى و صهره طقطاى، فهؤلاء الذين كانوا يحرّكون طاز على قيام الفتنة، و مسك صرغتمش ليستبدّ طاز بالأمر وحده، و يكونوا هم عظماء الدولة، و شيخون يعلم بذلك و يسكّنهم و يرجعهم عن قصدهم، و طاز يستحى من شيخون، و طال الأمر إلى أن اتفق طاز مع إخوته المذكورين و غيرهم من مماليكه و أصحابه أنه يخرج هو إلى الصيد، فاذا غاب عن المدينة يركب هؤلاء على صرغتمش و من يلوذ به و يمسكونه فى غيبته، فيكون بغيبة طاز له عذر عند شيخون من حيائه منه، فلمّا خرج طاز الى الصيد بالبحيرة بإذن الأمير شيخون له و ما عند شيخون علم من هذا الاتّفاق، رتّب حاشية طاز و إخوته و من يلوذ به أمرهم و اجتمعوا و لبسوا السلاح و ركبوا على صرغتمش فلمّا سمع شيخون بذلك أمر مماليكه أن يركبوا بالسلاح و كانوا مقدار سبعمائة مملوك فركبوا. و ركب الأمير صرغتمش و من يلوذ به، و وقع الحرب بينهم و بين إخوة طاز، و تقاتلا- فانكسر إخوة طاز و قبض عليهم، و على أكابر مماليك طاز و حواشيه، فهربت البقية، فدخل صرغتمش هو و من بقى من أكابر الأمراء إلى شيخون و قالوا: لا بدّ من خلع الملك الصالح صالح و إعادة الملك الناصر حسن إلى السلطنة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۸۷

لكون الصالح كان يميل إلى طاز، فاعتذر شيخون بأعذار غير مقبولة، و أراد إبقاء الصالح. فلم يوافقوه و ما زالوا به حتى أذعن و اتفقوا على خلعه فخلع، و أعيد الملك الناصر حسب ما يأتى ذكره فى ترجمته.

و كان خلع الملك الصالح صالح فى يوم الاثنين ثانى شوّال سنة خمس و خمسين و سبعمائة، فكانت مدّة سلطنته بالديار المصرية ثلاث سنين و ثلاثة أشهر و أربعة عشر يوما، و حبس بالقلعة فى بعض دورها إلى أن توفّى بها فى ذى الحجة سنة إحدى و ستين و سبعمائة، و له نحو سبع و عشرين سنة. و دفن بتربة عمّه الملك الصالح علىّ بن قلاوون [الخاتونية] بالقرب من المشهد النفيسى خارج القاهرة.

و كان- رحمه اللّه- ملكا جليلا مليح الشكل عاقلا لم تشكر سيرته و لم تذم، لأنه لم يكن له فى سلطنته إلا مجرّد الاسم فقط، لغلبة شيخون و طاز و صرغتمش على الأمر، لأنهم كانوا هم حلّ المملكة و عقدها و اليهم أمورها لا لغيرهم.

و أمّا أمر طاز فانه يأتى- إن شاء اللّه تعالى- فى أوّل سلطنة الملك الناصر حسن، بعد ذكر حوادث سنى الملك الصالح هذا، كما هى عادة هذا الكتاب انتهى و اللّه سبحانه أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۳]

السنة الأولى من سلطنة الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر و هى سنة ثلاث و خمسين و سبعمائة،

على أنه حكم من السنة الماضية من سابع عشر جمادى الآخرة إلى آخرها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۸۸

و فيها (أعنى سنة ثلاث و خمسين و سبعمائة): توفّى قاضى القضاة نجم الدين محمد الأذرعى الشافعى بدمشق على قضائها، و تولى بعده قضاء دمشق قاضى القضاة كمال الدين المعرّى قاضى قضاة حلب.

و توفّى الشيخ الإمام العلّامة فريد دهره و وحيد عصره، زين الدين المعروف بالعضد العجمى الحنفى رحمه اللّه تعالى، كان إما بارعا مفتنّا فقيها مصنّفا، و له اليد الطّولى فى علم المعقول و المنقول، و تولى قضاء القضاة بممالك القان بو سعيد ملك التتار بل كان هو المشار اليه بتلك الممالك، و المعوّل على فتواه و حكمه، و تصدّى للإقراء و الإفتاء و التصنيف عدّة سنين. و من مصنفاته «شرح المختصر لابن الحاجب» و «المواقف» و «الجواهر» و غير ذلك فى عدّة فنون، و كان رحمه اللّه كريما عفيفا جواد احسن السّيرة مشكور الطريقة.

و توفّى الأديب الفاضل الشاعر بدر الدين أبو على الحسن بن على المغربى المعروف بالزّغارى الشاعر المشهور، مات عن نيف و خمسين سنة. و من شعره قوله: [الرجز]

أعجب ما فى مجلس اللهو جرى من أدمع الرّاووق لما انسكبت

لم تزل البطّة فى قهقهة ما بيننا تضحك حتى انقلبت

قال و له أيضا: [البسيط]

قالت و قد أنكرت سقامى لم أر ذا السّقم يوم بينك

لئن أصابتك عين غيرى فقلت لا عين بعد عينك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۸۹

قال و له أيضا: [المتقارب]

فتنت بأسمر جلو اللّمى لسلوانه الصّبّ لم يستطع

تقطّع قلبى و ما رقّ لى و دمعى يرقّ و لا ينقطع

و توفّى النّوين أرتنا، و قيل: أرطنا سلطان بلاد الروم، كان نائبا عن السلطان بو سعيد بن خربندا ملك التتار بجميع ممالك الروم، و دام على ذلك سنين، فلمّا مات بو سعيد كاتب أرتنا هذا السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون و قال له: أريد أن أكون نائبك بممالك الروم، فأجابه الملك الناصر محمد و كتب له بذلك، و أرسل اليه الخلع السنيّة و كتب له: «نائب السلطنة الشريفة بالبلاد الرومية» و لم تزل رسله تتردّد إلى الديار المصرية إلى أن مات فى أوائل المحرّم من هذه السنة، رحمه اللّه تعالى.

و كان ملكا عارفا عاقلا سيوسا مدبّرا، طالت أيامه فى السعادة.

و توفّى الأمير سيف الدين تلك بن عبد اللّه الناصرى الأمير آخور بغزّة فى عوده إلى الديار المصرية، و قد تقدّم ذكره فى عدّة أماكن من هذا الكتاب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۹۰

و توفّى الشيخ بهاء الدين محمد بن على بن سعيد الفقيه الشافعى بدمشق فى شهر رمضان و كان فقيها فاضلا يعرف بابن إمام المشهد.

و توفّى القاضى شهاب الدين يحيى بن إسماعيل بن محمد بن عبد اللّه بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر الشافعى الدّمشقى المعروف بابن القيسرانى كاتب سرّ دمشق بطّالا كانت لديه فضيلة و هو من بيت كتابة و فضل.

و توفّى الأمير شهاب الدين أحمد بن بيليك المحسنىّ، كان أميرا فقيها شافعيا أديبا نظم كتاب «التنبيه فى الفقه» و كتب عدّة مصنفات، و كان معدودا من الفضلاء العلماء.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و اثنتا عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و ست عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۴]

السنة الثانية من سلطنة الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر و هى سنة أربع و خمسين و سبعمائة.

فيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين، الحاكم بأمر اللّه أبو العباس أحمد بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان بن الحاكم بأمر اللّه أبى العباس أحمد الهاشمى العباسى، كان بويع بالخلافة بعد وفاة والده بقوص فى العشرين من شعبان سنة إحدى و أربعين و سبعمائة، فلم يمض له ما عهده أبوه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۹۱

فى نفسه من والده المستكفى بالله من ميله للملك المظفر بيبرس الجاشنكير، و أراد أن يولّى الخلافة لبعض أقاربه بل أحضره و خلع عليه ثم مات الملك الناصر بعد ذلك بمدّة يسيرة، فتمّت بموته خلافة الحاكم هذا الى أن مات فى هذه السنة. و المتولّى يومئذ لأمور الديار المصرية الأمير شيخون و الأمير طازو و الأمير صرغتمش و نائب السلطنة الأمير قبلاى، و السلطان الملك الصالح صالح و كان الحاكم مات و لم يعهد بالخلافة لأحد، فجمع الأمراء القضاة، و طلب جماعة من بنى العباس، حتى وقع الاختيار على أبى بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان فبايعوه و لقّبوه بالمعتضد.

و توفّى قاضى القضاة علاء الدين أبو الحسن على ابن الشيخ جمال الدين [يحيى] الحنفى المعروف بابن الفويرة فى العشر الأوسط من شوّال. كان فقيها بارعا باشر توقيع الدّست الشريف و كتب و صنّف و ولى القضاء سنين.

و توفّى الشيخ المسند المعمّر صدر الدين محمد بن شرف الدين محمد بن إبراهيم الميدومى المصرى فى شهر رمضان و دفن بالقرافة عن تسعين سنة. و كان مولده سنة أربع و ستين و ستمائة و هو آخر من حدّث عن النّجيب عبد اللطيف و ابن علّان و سمع منه السّراجان: البلقينى و ابن الملقّن.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۹۲

و توفّى القاضى الرئيس زين الدين أبو حفص عمر بن شرف الدين يوسف ابن عبد اللّه بن يوسف بن أبى السفاح الحلبى الشافعى الكاتب، كاتب الإنشاء بحلب، ثم ولى صحابة الإنشاء بها و وكالة بيت المال الى أن مات بحلب عن نيّف و ستين سنة.

و توفّى الأمير سيف الدين ألجيبغا بن عبد اللّه العادلى، كان من أكابر الأمراء أقام أميرا نحو ستين سنة، و كان قد أصابته ضربة سيف فى وقعة أرغون شاه بدمشق بانت منها يده اليمنى، و استمرّ على إمرته و تقدمته الى أن مات فى السابع من شهر ربيع الآخر، و دفن بتربته بدمشق خارج باب الجابية و قد أناف على تسعين سنة.

و توفّى الأمير الجليل بدر الدين مسعود بن أوحد بن مسعود بن الخطير بدمشق فى سابع شوّال، بعد ما تنقّل فى عدّة ولايات و أعمال: مثل حجوبية الحجّاب بديار مصر و نيابة غزّة و غير ذلك. و كان مولده سنة ثلاث و ثمانين و ستمائة بدمشق و نشأ بها و ولى الحجوبية بها، و أرسله تنكز الى مصر صحبة أسندمر رسول جوبان، فلمّا رآه الملك الناصر أعجبه شكله فرسم له بإمرة طبلخاناه بمصر و جعله من جملة الحجّاب، فأقام على ذلك الى أن قبض السلطان على مملوكه ألماس الحاجب ولّاه عوضه حاجب الحجّاب، و لم يكن بمصر يوم ذلك نائب سلطنة، فعظم أمره إلى أن مسك تنكز رسم له بنيابة غزّة، ثم بعد موت الملك الناصر أعطى إمرة بدمشق، ثم طلب إلى مصر و أعيد إلى حجوبيّة الحجّاب ثانيا، فلم تطل مدّته لاختلاف الكلمة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۹۳

و أخرج إلى نيابة غزّة ثانيا، ثم عزل و نقل إلى إمرة مائة و تقدمة ألف بدمشق، ثم ولى نيابة غزّة ثالث مرّة و أقام بها سنين، ثم عزل و توجّه إلى دمشق أميرا بها.

ثم ولى نيابة طرابلس فلم تطل مدّته بها و عزل، و توجّه أيضا إلى دمشق فأقام بها إلى أن مات. رحمه اللّه.

و توفّى فى هذه السنة جماعة ممن تقدّم ذكرهم من الأمراء قتلوا بقلعة حلب و هم:

الأمير أحمد الساقى نائب حماة و بكلمش نائب طرابلس و بيبغا أرس نائب حلب و غيرهم.

فأما الأمير بيبغا أرس القاسمىّ، فإن أصله من مماليك الملك الناصر محمد ابن قلاوون و من أعيان خاصكيّته، ثم ولى بعد موته نيابة السلطنة بالديار المصرية فى أوّل سلطنة الملك الناصر حسن، ثم قبض عليه بطريق الحجاز و حبس ثم أطلق فى أوّل دولة الملك الصالح صالح، و تولّى نيابة حلب بعد أرغون الكاملى، و لمّا ولى نيابة حلب شدّد على من يشرب الخمر بها إلى الغاية، و ظلم و حكم فى ذلك بغير أحكام اللّه تعالى، حتى إنه سمّر من سكر و طيف به بشوارع حلب، و فى هذا المعنى يقول ابن حبيب: [الرجز]

أهل الطّلا توبوا و كلّ منكم يعود عن ساق التّقى مشمّرا

فمن يبت راووقه معلّقا أصبح ما بين الورى مسمّرا

و فيه أيضا يقول القاضى شرف الدين حسين بن ريان: [الخفيف]

تب عن الخمر فى حلب و الزم العقل و الأدب

حدّها عند بيبغا بالمسامير و الخشب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۹۴

ثم خرج بيبغا عن طاعة السلطان، و وقع له ما حكينا فى ترجمة الملك الصالح إلى أن ظفر به و قتل فى قلعة حلب، و فيه يقول بعض الأدباء: [البسيط]

لمّا اعتدى بيبغا العادى و من معه على الورى فارقوا كرها مواطنهم

خوف الهلاك سروا ليلا على عجل فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم

و توفّى الرئيس أمين الدين إبراهيم بن يوسف المعروف بكاتب طشتمر، كان من أعيان الكتّاب و تولّى نظر الجيش بالديار المصرية مدّة، ثم عزل و أخرج الى القدس فأقام به مدّة، ثم أعيد الى القاهرة فأقام بها الى أن مات.

و توفّى الأمير سيف الدين بيغرا بن عبد اللّه الناصرى ثم المنصورى، أحد أمراء الألوف بالديار المصرية و هو بطّال بحلب، و كان شجاعا مقداما من أعيان أمراء مصر و قد تقدّم ذكره فى عدّة أماكن.

و توفّى الأمير زين الدين قراجا بن دلغادر صاحب أبلستين فى رابع عشر ذى القعدة، و قد تقدّم ذكره فى واقعة الأمير بيبغا أرس.

و توفّى مستوفى الصحبة أسعد حربة أحد الكتّاب المسالمة فى ذى القعدة من السنة.

و توفى الشيخ جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن الإمام شمس الدين أبى محمد عبد اللّه بن العفيف محمد بن يوسف بن عبد المنعم المقدسى النابلسى ثم الدمشقى الحنبلى فى شهر رجب و مولده سنة إحدى و تسعين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۹۵

و توفّى الشيخ إمام الدين محمد بن زين الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن على بن محمد بن الحسن القيسى القسطلانىّ الشافعى بالقاهرة فى عشرين المحرّم، و مولده بمكّة المشرّفة فى سنة إحدى و سبعين و ستمائة.

و توفّى حاكم الموصل و سنجار الأمير بدر الدين حسن بن هندوا. كان من أعيان الملوك و كان بينه و بين صاحب ماردين عداوة، و وقع بينهما حروب قتل فى بعضها حسن هذا بعد القبض عليه.

و توفّى القاضى شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب [بن الشهاب أحمد بن محيى الدين يحيى] بن فضل اللّه بن المجلّى بن دعجان بن

خلف القرشىّ العمرى، نسبته الى عمر بن الخطّاب رضى اللّه عنه. [مات فى شوّال من هذه السنة].

[مولده فى ثالث ذى الحجّة سنة ثلاث و عشرين و ستمائة بدمشق، و مات بها فى شهر رمضان و كان إماما بارعا كاتبا بليغا أديبا مترسّلا، كتب المنسوب الفائق و تنقّل فى الخدم حتى ولى ناظر ديوان الإنشاء بالديار المصرية مدّة طويلة، و هو أوّل كاتب سرّ ولى بمصر من بنى فضل اللّه، ولّاه الأشرف خليل بن قلاوون بعد عزل عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن الأثير، فدام فى كتابة السرّ سنين، الى أن نقله الملك الناصر محمد بن قلاوون الى كتابة سرّ دمشق، عوضا عن أخيه محيى الدين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۹۶

يحيى بن فضل اللّه، و ولى عوضه القاضى علاء الدين بن الأثير، و لمّا مات رثاه الشعراء و العلماء و رثاه العلّامة شهاب الدين محمود بقصيدته التى أوّلها: [الطويل]

لتبك المعالى و النّهى الشرف الأعلى و تبك الورى الإحسان و الحلم و الفضلا

و من شعر القاضى شرف الدين المذكور يمدح الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى: [الكامل]

تهب الألوف و لا تهاب لهم ألفا إذا لاقيت فى الصّفّ

ألف و ألف فى ندى و وغى فلاجل ذا سمّوك بالألفى

و له أيضا لمّا ختن الملك الناصر محمد بن قلاوون. [الخفيف]

لم يروّع له الختان جنانا قد أصاب الحديد منه حديدا

مثلما تنقص المصابيح بالقطّ فتزداد فى الضياء وقودا

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و ست عشرة إصبعا. و اللّه سبحانه أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۵]

اشارة

السنة الثالثة من سلطنة الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر و هى سنة خمس و خمسين و سبعمائة و فيها خلع الملك الصالح المذكور فى ثانى شوّال.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۹۷

و فيها توفّى العلّامة زين الدين أبو الحسن علىّ بن الحسين بن القاسم بن منصور ابن علىّ الموصلىّ الشافعىّ الشهير بابن شيخ العوينة بالموصل عن أربع و سبعين سنة، و كان إماما فقيها بارعا مصنّفا ناظما ناثرا، نظم كتاب «الحاوى» فى الفقه، و شرح «المختصر» و «المفتاح»، و قدم الى الشام متوجّها الى الحجاز الشريف و هو القائل:

[الطويل]

و ما اخترت بعد الدار عمّن أحبّه صدودا و حاشى أن يقال صدود

و لكنّ أسباب الضرورة لم تزل الى غير ما تهوى النفوس تقود

و توفّى القاضى شهاب الدين أحمد ابن القاضى شمس الدين إبراهيم بن المسلم ابن هبة اللّه بن حسّان بن محمد بن منصور الجهنىّ الشافعى الشهير بابن البارزىّ، ناظر أوقاف دمشق و بها مات عن نيّف و ثمانين سنة.

و توفّى الشيخ الإمام سراج الدين أبو حفص عمر ابن القدوة نجم الدّين عبد الرحمن بن الحسين بن يحيى بن عبد المحسن القبّانى

الحنبلى، كان إماما زاهدا عابدا أفتى و درّس و حدّث و باشر مشيخة المالكيّة بالقدس الى مات.

و توفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة فخر الدين أبو طالب أحمد بن علىّ بن أحمد الكوفى البغدادىّ الحنفىّ الشهير بابن الفصيح، مات بدمشق و قد قارب الثمانين سنة.

و كان إماما عالما بارعا فى فنون، ناظما ناثرا، نظم «الكنز فى الفقه» و «السراجية

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۹۸

فى الفرائض» و قدم إلى دمشق و تصدّى للافتاء و التدريس و الإقراء الى أن مات بها و من شعره و هو فى غاية الحسن: [الوافر]

أمرّ سواكه من فوق درّ و ناولنيه و هو أحبّ عندى

فذقت رضابه ما بين ندّ و خمر أمزجا منه بشهدى

و له أيضا: [الرجز]

زار الحبيب فحيّا يا حسن ذاك المحيّا

من صدّه كنت ميتا من وصله عدت حيّا

و توفّى الشيخ الامام شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد اللّه الظاهرى الدمشقى الشافعى مدرّس الفرّوخشاهيّة، كان فقيها فاضلا. مات بدمشق عن نيّف و ثمانين سنة. و كان له نظم و ينشئ المقامات، و له القصيدة الحجازية التى أولها:

[الطويل]

سرت نسمة الوادى فأذكرت الصّبّا ليالى منى فانصبّ مدمعه صبّا

و توفّى الشيخ الإمام جمّال الدين محمد بن علاء الدين علىّ بن الحسن الهروى الحلبىّ الحنفىّ المعروف بالشيخ زاده. كان فقيها متصوّفا زاهدا. قال ابن حبيب أنشدنى بيتين بالفارسى و ذكر لى معناهما و اقترح علىّ نظمهما بالعربى فقلت:

[الكامل]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۲۹۹

ألحاظه شهدت بأنّى مخطئ و أتت بخطّ عذاره تذكارا

يا حاكم الحبّ اتّئد فى قصّتى فالخطّ زور و الشّهود سكارى

و من إنشاء الشيخ زاده المذكور قوله: [الطويل]

و ما العيش إلّا و الشّبيبة غضّة و لا الحبّ إلّا و المحبّون أطفال

و هم زعموا أنّ الجنون أخو الصّبا فليت جنونا دام و الناس غفّال

و كانت وفاته بحلب عن نيّف و خمسين سنة.

و توفّى الشريف علاء الدين أبو الحسن علىّ ابن الشريف عز الدين حمزة بن علىّ ابن حسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة بن الحسين الحلبى نقيب الأشراف بحلب، و بها مات عن نيّف و سبعين سنة، و كان رئيسا كاتبا مجيدا عارفا مثريا.

و توفّى الصاحب الوزير علم الدين عبد اللّه بن تاج الدين أحمد بن إبراهيم الشهير بابن زنبور المصرىّ القبطىّ المقدّم ذكره ولى الوزارة و نظر الجيش و الخاصّ و لم تجتمع لأحد قبله. ثم نكب و صودر و أخذت أمواله و ذخائره التى وصفناها فى ترجمة الملك الصالح و مات بقوص معتقلا.

و توفّى الوزير الصاحب موفّق الدين أبو الفضل هبة اللّه بن سعيد الدّولة القبطىّ المصرىّ، ولى نظر الدولة ثم الخاص ثم الوزارة إلى أن مات، و كان مشكور السّيرة حسن الأخلاق، و عنده تواضع و كرم و معرفة و عقل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۰۰

و توفّی الأمیر سیف الدین أیتمش المحمدی الناصری، نائب طرابلس. مات بها و تولّی عوضه منجک الیوسفیّ الوزیر أخو بیبغا أرس، و کان أیتمش وافر الحشمة لیّن الجانب بعید الشرّ قریب الخیر، و عنده عقل و سکون و وقار، ولی الحجوبیّة و الوزارة بالدیار المصریة، ثم ولی نیابة دمشق مدّة سنین، إلی أن قبض علیه و سجن بثغر الإسکندریة، ثم أطلق و ولی نیابة طرابلس بعد بکلمش الناصریّ فدام علی نیابتها إلی أن مات.

و توفّی السلطان أبو الحجاج یوسف بن إسماعیل بن فرج صاحب الأندلس و ما والاها، طعن بخنجر فی جبینه فی یوم عید الفطر، فمات منه و تسلطن بعده ابنه أبو عبد اللّه محمد بن یوسف.

و توفّی الأمیر سیف الدین إیاجی بن عبد اللّه الناصری، نائب قلعة دمشق، کان شجاعا مقداما أظهر فی فتنة الأمیر بیبغا أرس أمرا عظیما من حفظ قلعة دمشق و قاتل بیبغا أرس قتالا عظیما و قام فی ذلک أتمّ قیام.

و توفّی الأمیر سیف الدین مغلطای بن عبد اللّه الناصریّ، بطّالا فی عاشر شهر رمضان، و کان من أعیان ممالک الملک الناصر محمد بن قلاوون و خاصّ‌ـکیته و تولّی رأس نوبة ثم صار أمیر شکار ثم ولی الأمیر آخوریة الکبری، ثم أمسک و حبس بعد أمور وقعت له ثم أطلق و أخرج الی الشام بطّالا، فدام به إلی أن مات رحمه اللّه تعالی.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۰۱

و توفّی تاج الدین أبو الفضائل أحمد بن الصاحب أمین الملک عبد اللّه بن الغنّام القبطیّ المصریّ فی شوّال تحت العقوبة، و هو أحد الکتّاب المعدودة و تولّی عدّة وظائف و باشر عدّة مباشرات، و کان مشکور السّیرة. رحمه اللّه.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم أربع أذرع و ثلاث عشرة إصبعا.

مبلغ الزیادة تسع عشرة ذراعا و خمس أصابع.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۰۲

سلطنة الملک الناصر حسن الثانیة علی مصر

قد تقدّم ذکره فی سلطنته الأولی من هذا الکتاب و ذکرنا أیضا سبب خلعه من السلطنة بأخیه الملک الصالح صالح ثم ذکرنا فی ترجمة أخیه الصالح سبب خلع الصالح و إعادة الناصر هذا فلا حاجة لذکر ذلک ثانیا. و المقصود هنا الآن ذکر عود الملک الناصر حسن الی ملکه فنقول: و لمّا قبض علی أصحاب الأمیر طاز اتّفق صرغتمش مع الأمیر شیخون علی خلع الملک الصالح من السلطنة و سلطنة الملک الناصر حسن ثانیا و أبرموا ذلک حتی تمّ لهم فقاموا و دخلوا الی القلعة و أرسلوا طلبوا الملک الصالح، فلمّا توجّه الیهم أخذ من الطریق و حبس فی بیت من قلعة الجبل و أرسلوا أشهدوا علیه بأنه خلع نفسه من السلطنة، ثم طلبوا الملک الناصر حسنا من محبسه بالقلعة، و کلّموه فی عوده، و أشرطوا علیه شروطا قبلها. فاخذوه إلی موضع بالقلعة، فیه الخلیفة و القضاة، و بایعوه ثانیا بالسلطنة، و لبّسوه تشریف السلطنة و أبّهة الملک، و رکب فرس النّوبة و مشت الأمراء بین یدیه الی الإیوان، فنزل و جلس علی تخت الملک، و قبّلوا الأمراء الأرض بین یدیه علی العادة، و کان ذلک فی یوم الاثنین ثانی شوّال سنة خمس و خمسین و سبعمائة، و لم یغیّر لقبه بل نعت بالناصر کما کان أوّلا علی لقب أبیه، و نودی باسمه بمصر و القاهرة، و دقّت البشائر و تمّ أمره و حالما قلع الملک الناصر خلعة السلطنة عنه، أمر فی الحال بمسک الأمیر طاز، فشفع فیه الأمیر شیخون لأنه کان أمّنه و هو نزیله، فرسم له السلطان بالتوجّه إلی نیابة حلب، فخرج من یومه و أخذ فی إصلاح أمره، إلی أن سافر یوم الجمعة سادس شوّال و سار حتی وصل حلب، فی الخامس من ذی القعدة، و کانت ولایته لنیابة حلب عوضا عن الأمیر أرغون الکاملیّ، و طلب أرغون إلی مصر، فحضر أرغون الی للقاهرة و أقام بها مدّة یسیرة ثم أمسک، و أقام طاز فی نیابة حلب، و معه أخوه کلتای و جنتمر و کلاهما مقدّمان بها.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۰۳

و دام الملك الناصر حسن فى الملك إلى أن دخلت سنة ست و خمسين و سبعمائة و الخليفة يوم ذاك المعتضد بالله أبو بكر، و نائب السلطنة بمصر الأمير آقتمر عبد الغنى و أتابك العساكر الأمير شيخون العمرىّ، و هو أوّل أتابك سمى بالأمير الكبير، و صارت من بعده الأتابكية وظيفة إلى يومنا هذا، و لبسها بخلعة و إنما كانت العادة فى تلك الأيام من كان قديم هجرة من الأمراء سمّى بالأمير الكبير [من غير خلعة فكان فى عصر واحد جماعة كلّ واحد منهم يسمّى بالأمير الكبير] حتى ولّى شيخون هذا أتابكيّة العساكر- و سمّى بالأمير الكبير- بطلب تلك العادة القديمة و صارت من أجلّ وظائف الأمراء، تمّ ذلك. انتهى.

و كان نائب الشام يوم ذاك أمير علىّ المارديني، و نائب حلب طاز، و صاحب بغداد و ما والاها الشيخ حسن ابن الشيخ حسين سبط أرغون بن أبغا بن هولاكو.

و فى هذه السنة أيضا كملت خانقاة الأمير الكبير شيخون العمرى بالصّليبة و الربع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۰۴

و الحمّامان و فرغت هذه العمارة و لم يتشوّش أحد بسببها، و رتّب فى مشيختها العلّامة أكمل الدين محمد البابرتى الحنفىّ، و أشركه فى النظر.

و دام السلطان حسن فى السلطنة و لم يحرّك ساكنا إلى أن استهلّت سنة ثمان و خمسين و سبعمائة قبض على أربعة من الأمراء و سجنوا بثغر الإسكندرية، و هم:

الأمير قجا السلاحدار، و طقطاى الدّوادار، و قطلوبغا الذهبى، و خليل بن قوصون و خلع على الأمير علم دار باستقراره فى الدواداريّة، و خلع على الأمير قشتمر باستقراره حاجبا و وزيرا، و كان القبض على هؤلاء الأمراء بعد أن ضرب الأمير شيخون بالسيف، و حمل إلى داره جريحا و لزم الفراش الى أن مات، حسب ما يأتى ذكره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۰۵

و أمر ضرب شيخون كان فى يوم الاثنين من شعبان سنة ثمان و خمسين و سبعمائة، و هو أن السلطان الملك الناصر حسنا جلس فى اليوم المذكور على كرسى الملك بدار العدل للخدمة، و الأمراء جلوس فى الخدمة و القضاة و الأعيان و جميع أرباب الدولة، و بينما السلطان جالس على كرسى الملك وثب مملوك من المماليك السلطانية يسمّى قطلو خجا السلاحدار على الأمير الكبير شيخون، و ضربه بالسيف ثلاث ضربات أصابت وجهه و رأسه و ذراعه، فوقع شيخون مغشيّا عليه، و أرجف بموته، و قام السلطان من على الكرسى و دخل الى القصر، و وقعت الهجّة، فلمّا سمعت مماليك شيخون بذلك، طلعوا القلعة راكبين صحبة أمير خليل بن قوصون أحد الأربعة المقبوض عليهم بعد ذلك، فحملوا شيخون على جنويّة و به رمق، و نزلوا به الى داره، و أحضروا الجرائحية فأصلحوا جراحاته، و بات شيخون تلك الليلة، و أصبح السلطان الملك الناصر حسن نزل لعيادته من الغد، فدخل عليه و حلف له أن الذى وقع لم يكن بخاطره و لا له علم به، و كان الناس ظنوا أن السلطان هو الذى سلّطه على شيخون، فتحقّق الناس براءة السلطان، و طلع السلطان الى القلعة و قد قبض على قطلو خجا المذكور، فرسم السلطان بتسميره فسمّر.

ثم وسّط فى اليوم المذكور، بعد أن سأل السلطان قطلوخجا السلاحدار المذكور عن سبب ضرب شيخون بالسيف، فقال: طلبت منه خبزا فمنعنى منه و أعطاه لغيرى. و لزم شيخون الفراش من جراحه الى أن مات فى ذى القعدة من السنة، و بموته خفّ عن السلطان أشياء كثيرة، فإنه كان ثقيل الوطأة على السلطان الى الغاية، بحيث إن السلطان كان لا يفعل شيئا حتى يشاوره حقيرها و جليلها، فلما مات التفت السلطان حسن الى إنشاء مماليكه، فأمّر منهم جماعة كثيرة على ما سيأتى ذكره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۰۶

ثم أخذ السلطان حسن فى شراء دار ألطنبغا المارداني و يلبغا اليحياوى بالرّميلة و هدمهما و أضاف اليهما عدّة دور و إسطبلات أخر، و شرع فى بناية مدرسته المعروفة به تجاه قلعة الجبل، التى لم يبن فى الإسلام نظيرها، و لا حكاها معمار فى حسن عملها، و ذلك فى

سنة ثمان و خمسين المذكورة.

و لما شرع فى عمارتها جعل عليها مشدّين و مهندسين و اجتهد فى عملها. و أما مصروفها و ما اجتمع بها من الصّنّاع و المعلّمين فكثير جدا لا يدخل تحت حصر، و قيل: إن إيوانها يعادل إيوان كسرى فى الطول.

قلت: و فى الجملة إنها أحسن ما بنى فى الدنيا شرقا و غربا فى معناها بلا مدافعة.

و فى هذه السنة وقع أمر عجيب، قال ابن كثير فى تاريخه: «و فى هذه السنة حملت جارية من عتقاء الأمير الهيدبانى قريبا من تسعين يوما، ثم شرعت تطرح ما فى بطنها، فوضعت قريبا من أربعين ولدا، منهم أربع عشرة بنتا. و قد تشكل الجميع، و تميّز الذكر من الأنثى، فسبحان القادر على كل شىء.

قلت: و ابن كثير ثقة حجّة فيما يرويه و ينقله. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۰۷

و لما مات شيخون انفرد صرغتمش بتدبير المملكة، و عظم أمره و استطال فى الدولة، و أخذ و أعطى و زادت حرمته و أثرى و كثرت أمواله، الى أن قبض عليه الملك الناصر حسن حسب ما يأتى ذكره فى محلّه، إن شاء اللّه تعالى.

ثم إنّ السلطان قبض على الأمير طاز نائب حلب، فى أوائل سنة ثمان و خمسين المذكورة بسفارة صرغتمش، و قيّده و حمله إلى الإسكندرية فحبسه بها، و ولّى عوضه فى نيابة حلب الأمير منجك اليوسفىّ الوزير، نقل إليها من نيابة طرابلس.

ثم عزل السلطان عزّ الدين بن جماعة عن قضاء الشافعية بديار مصر، و ولّى عوضه بهاء الدين بن عقيل، فأقام ابن عقيل فى القضاء ثمانين يوما و عزل، و أعيد ابن جماعة ثم نقل السلطان منجك اليوسفىّ المذكور من نيابة حلب إلى الشام عوضا عن أمير على المارديني، و نقل المارديني إلى نيابة حلب، كلّ ذلك فى سنة ثمان و خمسين و سبعمائة المقدّم ذكرها، و خلع السلطان على تاج الدين بن ريشة و استقرّ فى الوزارة ثم نفى السلطان جماعة من الأمراء، منها الأمير چرچى الإدريسىّ، و أنعم بإقطاعه و هو إمرة مائة و تقدمة ألف بديار مصر على مملوكه يلبغا العمرى صاحب الكبش و هو الذى قتل أستاذه الملك الناصر حسنا المذكور، حسب ما يأتى ذكره فى وقته من هذا الكتاب فى هذه الترجمة، ثم خلع عليه و جعله أمير مجلس عوضا عن الأمير تنكز بغا المارديني. ثم فى يوم الخميس العشرين من شهر رمضان سنة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۰۸

تسع و خمسين و سبعمائة، أمسك السلطان الأمير صرغتمش الناصرىّ، بعد ما أقعد له قواعد مع الأمير طيبغا الطويل و يلبغا العمرى و غيرهما، و أمسك معه جماعة من الأمراء، و هم طشتمر القاسمى حاجب الحجاب، و طيبغا الماجارى و أزدمر و قمارى و أرغون الطّرخانى و آقجبا الحموىّ، و جماعة أخر من أمراء الطبلخانات و العشرات، و كان سبب مسكه أنّ صرغتمش كان قد عظم أمره بعد موت شيخون، و استبدّ بأمور الدولة و تدبير الملك، فلما تمّ له ذلك، ندب الملك الناصر حسنا لمسك طاز و وغّر خاطره عليه، حتى كان من أمره ما كان، فلمّا صفا له الوقت بغير منازع، لم يقنع بذلك، حتى رام الوثوب على الملك الناصر حسن و مسكه و استقلاله بالملك، فبلغ الناصر ذلك فاتّفق مع جماعة من الأمراء على مسكه عند دخوله على السلطان فى خلوة، فلمّا كان وقت دخوله وقفوا له فى مكان رتّبهم السلطان فيه، فلما دخل صرغتمش احتاطوا به و قبضوا عليه، ثم خرجوا لمن عيّن لهم من الأمراء المقدّم ذكرهم، فقبضوا عليهم أيضا فى الحال، و حبسوا الجميع بقلعة الجبل، فلما بلغ مماليك صرغتمش و حواشيه من المماليك، ركبوا بالسلاح و طلعوا الى الرميلة، فنزل إليهم المماليك السلطانية من القلعة، و قاتلوهم من بكرة النهار الى العصر عدّة وجوه، إلى أن كانت الكسرة على مماليك صرغتمش. و أخذتهم السيوف السلطانية، و نهبت دار صرغتمش عند بئر الوطاويط، و نهبت دكاكين الصليبة، و مسك من الأعجام صوفية المدرسة الصّرغتمشية جماعة لأنهم ساعدوا الصّرغتمشية و أحموهم عند

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۰۹

كسرتهم؛ و ما أذّن المغرب حتى سكن الأمر و زالت الفتنة، و نودى بالأمان و البيع و الشراء.

و أصبح الملك الناصر حسن فى بكرة يوم الثلاثاء و هو سلطان مصر بلا منازع، وصفا له الوقت، و أخذ و أعطى، و قرّب من اختار و أبعد من أبعد، و خلع على الأمير ألجاى اليوسفىّ و استقرّ به حاجب الحجاب عوضا عن طشتمر القاسمىّ، و خلع على جماعة أخر بعدّة وظائف، ثم أخذ فى ترقية مماليكه و الإنعام عليهم. و أعيان مماليكه: يلبغا العمرىّ و طيبغا الطويل و جماعة من أولاد الأمراء.

و كان يميل لإنشاء أولاد الناس و ترقّيهم الى الرتب السنية، لا لحبّه لهم، بل كان يقول: هؤلاء مأمونو العاقبة، و هم فى طىّ علمى، و حيث و جّهتهم إليه توجّهوا، و متى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۱۰

أحببت عزلهم أمكننى ذلك بسهولة، و فيهم أيضا رفق بالرعية و معرفة بالأحكام، حتى إنه كان فى أيامه منهم عدّة كثيرة، منهم أمراء مقدّمون، يأتى ذكر أسمائهم فى آخر ترجمته، إن شاء اللّه تعالى.

ثمّ أخرج السلطان صرغتمش و رفقته فى القيود الى الإسكندرية، فسجن صرغتمش بها إلى أن مات فى ذى الحجة من السنة، على ما سيأتى ذكر صرغتمش فى الوفيات من حوادث سنين الملك الناصر حسن.

ثم إن السلطان عزل الأمير منجك اليوسفى عن نيابة دمشق فى سنة ستين و سبعمائة، و طلبه الى الديار المصرية، فلما وصل منجك الى غزّة بلغه أن السلطان يريد القبض عليه، فتسحّب و لم يوقف له على خبر، و عظم ذلك على السلطان و أكثر من الفحص عليه، و عاقب بسببه خلائق فلم يفده ذلك.

ثم خلع السلطان على الأمير علىّ المارديني نائب حلب، بإعادته إلى نيابة دمشق كما كان أوّلا، و استقرّ بكتمر المؤمنىّ فى نيابة حلب عوضا عن علىّ المارديني، فلم تطل مدّته بحلب و عزل عنها بعد أشهر بالأمير أسندمر الزينى، أخى يلبغا اليحياوىّ نائب الشام كان.

ثم خلع السلطان على فخر الدين بن قروينة باستقراره فى نظر الجيش و الخاص معا، ثم ظهر الأمير منجك اليوسفىّ من اختفائه فى بيت بالشّرف الأعلى بدمشق، فى سنة إحدى و ستين و سبعمائة، بعد أن اختفى به نحو السنة، فأخذ و أحضر الى القاهرة، فلمّا مثل بين يدى السلطان و عليه بشت عسلى و على رأسه مئزر صفح

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۱۱

عنه لكونه لم يخرج من بلاده، و رسم له بإمرة طبلخاناة بدمشق، و أن يكون طرخانا يقيم حيث شاء، و كتب له بذلك توقيع شريف.

ثم فى هذه السنة وقع الوباء بالديار المصرية، الى أوائل سنة اثنتين و ستين و سبعمائة، و مات فى هذا الوباء جماعة كثيرة من الأعيان و غيرهم، و أكثرهم كان لا يتجاوز مرضه أربعة أيام الى خمسة، و من جاوز ذلك يطول مرضه، و هذا الوباء يقال له: الوباء الوسطىّ (أعنى بين و باءين).

و فى هذه الأيام عظم يلبغا العمرى فى الدولة حتى صار هو المشار اليه، و ثقلت وطأته على أستاذه الملك الناصر حسن، مع تمكّن الملك الناصر فى ملكه، و كان يلبغا العمرى و طيبغا الطويل و تمان تمرهم أعظم أمرائه و خاصّكيته من مماليكه.

فلمّا أن استهلت سنة اثنتين و ستين و سبعمائة بلغ الملك الناصر أنّ يلبغا ينكر عليه من كونه يعطى الى النساء الإقطاعات الهائلة، و كونه يختص بالطواشية و يحكّمهم فى المملكة و أشياء غير ذلك، و صارت الخاصكية ينقلون للسلطان عن يلبغا أمورا قبيحة فى حقّه فى مثل هذا المعنى و أشباهه، فتكلّم الملك الناصر حسن مع خواصّه بما معناه: إنه قبض على أكابر أمرائه من مماليك أبيه، حتى استبدّ بالأمر من غير منازع، و أنشأ مماليكه مثل يلبغا المذكور و غيره، حتى يسلم من معارض، فصار يلبغا يعترض عليه فيما يفعله، فعظم عليه ذلك و ندم على ترقيه، و أخذ يترقّب وقتا يمسك يلبغا فيه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۱۲

و اتّفق بعد ذلك أن السلطان حسنا خرج الى الصيد ببرّ الجيزة بالقرب من الهرمين، و خرجت معه غالب أمرائه يلبغا و غيره على العادة،

فلمّا كان يوم الثلاثاء ثامن جمادى الأولى من سنة اثنتين و ستين المذكورة، أراد السلطان القبض على يلبغا لما بلغه عن يلبغا أنه يريد الركوب عليه هناك، فصبر السلطان حسن حتى دخل الليل، فركب ببعض خاصّ كيته من غير استعداد و لا اكتراث بيلبغا، و سار يريد يكبس على يلبغا بمخيّمه فنمّ بعض خاصّ كيّة السلطان بذلك الى يلبغا، فاستعدّ يلبغا بمماليكه و حاشيته لقتاله، و طلب خشداشيته و واعدهم بالإمريات و الإقطاعات، و خوّفهم عاقبة أستاذهم الملك الناصر حسن المذكور، حتى وافقه كثير منهم، كلّ ذلك و الملك الناصر فى غفلة استخفافا بمملوكه يلبغا المذكور، حتى قارب السلطان خيمة يلبغا، خرج اليه يلبغا بمن معه و قاتله، فلم يثبت السلطان لقلّة من كان معه من مماليكه، و انكسر و هرب و عدّى النيل و طلع الى قلعة الجبل فى الليل، هى ليلة الأربعاء التاسع من جمادى الأولى من سنة اثنتين و ستين المذكورة، و تبعه يلبغا و من معه يريد القلعة، فاعترضه ابن المحسنى أحد أمراء الألوف بمماليكه، و معه الأمير قشتمر المنصورى، و واقعا يلبغا ببولاق وقعة هائلة، انكسر فيها يلبغا مرتين، و ابن المحسنىّ يتقدّم عليه، كلّ ذلك و ابن المحسنىّ ليس له علم من السلطان أين ذهب، بل بلغه أنه توجه إلى جهة القلعة، فأخذ فى قتال يلبغا و تعويقه عن المسير إلى جهة القلعة، و اشتدّ القتال بين يلبغا و ابن المحسنىّ حتى أردف يلبغا الأمير ألجاى اليوسفىّ حاجب الحجّاب و غيره، فانكسر عند ذلك ابن المحسنى و قشتمر،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۱۳

و قيل: إنّ يلبغا لمّا رأى شدّة ابن المحسنى فى القتال دسّ عليه من رجّعه عن قتاله و أوعده بأوعاد كثيرة، منها أنه لا يغير عليه ما هو فيه فى شىء من الأشياء خوفا من طلوع النهار قبل أن يدرك القلعة، و أخذ السلطان الملك الناصر حسن، لأنّ الناصر كان طلع إلى قلعة الجبل فى الليل، و لم يشعر به أحد من أمرائه و مماليكه و خواصّه، و صاروا فى حيرة من عدم معرفتهم أين توجّه السلطان، حتى يكونوا معه على قتال يلبغا، و علم يلبغا أنه متى تعوّق فى قتال ابن المحسنى إلى أن يطلع النهار، أتت العساكر الملك الناصر من كل فجّ، و ذهبت روحه، فلما ولّى ابن المحسنى عنه انتهز يلبغا الفرصة بمن معه و حرّك فرسه و صحبته من وافقه إلى جهة القلعة، حتى وصل إليها فى الليل. و اللّه أعلم.

و أمّا أمر السلطان حسن، فإنه لمّا انكسر من مملوكه يلبغا و توجّه إلى قلعة الجبل، حتى وصل إليها فى الليل، ألبس مماليكه المقيمين بالقلعة، فلم يجد لهم خيلا لأنّ الخيول كانت فى الربيع، و بينما هو فى ذلك طرقه يلبغا قبل أن يطلع النهار و تجتمع العساكر عليه، فلم يجد الملك الناصر قوّة للقائه، فلبس هو و أيدمر الدوادارى زى الأعراب ليتوجّها إلى الشام و نزلا من القلعة وقت التسبيح، فلقيهما بعض المماليك فأنكروا عليهما و أمسكوهما فى الحال، و أحضروهما إلى بيت الأمير شرف الدين [موسى] بن الأزكشى أستادار العالية، فحملهما فى الوقت إلى يلبغا حال طلوع يلبغا إلى القلعة، فقتلهما يلبغا فى الحال قبل طلوع الشمس.

و كان عمر السلطان حسن يوم قتل نيّفا على ثلاثين سنة تخمينا، و كانت مدّة ملكه فى سلطنته هذه الثانية ستّ سنين و سبعة أشهر [و سبعة أيام] و كان قتله و ذهاب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۱۴

ملكه على يد أقرب الناس إليه من مماليكه و خواصّه، و هم: يلبغا العمرى و طيبغا الطويل و تمان تمر و غيرهم و هم من مشترواته، اشتراهم و رباهم و خوّلهم فى النعم و رقاهم إلى أعلى المراتب، خوفا من أكابر الأمراء من مماليك أبيه، فكان ذهاب روحه على أيديهم، و كانوا عليه أشدّ من تلك الأمراء، فإنّ أولئك لما خلعوه من السلطنة بأخيه الملك الصالح، حبسوه بالدور من القلعة مكرما مبجّلا، و أجروا عليه الرواتب السنيّة، إلى أن أعادوه إلى ملكه ثانيا، و هم مثل شيخون و صرغتمش و قبلاى النائب و غيرهم، فصار يتذكّر ما قاساه منهم فى خلعه من السلطنة و تحكّمهم عليه، فأخذ فى التدبير عليهم حتى قبض على جماعة كثيرة منهم و أبادهم. ثم رأى أنه ينشئ مماليكه ليكونوا له حزبا و عضدا، فكانوا بعكس ما أمّله منهم، و وثبوا عليه، و كبيرهم يلبغا المقدّم ذكره، و عندما قبضوا عليه لم يمهلوه ساعة واحدة، و عندما وقع نظرهم عليه قتلوه من غير مشاورة بعضهم لبعض، موافاة لحقوق تربيته لهم و إحسانه

إليهم، فكان بين فعل مماليك أبيه به و بين فعل مماليكه له فرق كبير، و للّه در القائل:

معاداة العاقل، و لا مصاحبة الجاهل.

قلت: لا جرم أنّ اللّه تعالى عزّ و جلّ عامل يلبغا المذكور من مماليكه بجنس ما فعله مع أستاذه، و وثبوا عليه و قتلوه أشرّ قتلة، على ما سيأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى.

و استولى يلبغا العمرى الخاصكىّ على القلعة و الخزائن و السلاح و الخيول و الجمال، و على جميع ما خلفه أستاذه الملك الناصر حسن، و أقام فى المملكة بعده ابن أخيه الملك المنصور محمد ابن الملك المظفّر حاجّى ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون كما سيأتى ذكره بعد حوادث سنين الملك الناصر حسن، كما هى عادة هذا الكتاب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۱۵

و كان الملك الناصر حسن سلطانا شجاعا مقداما كريما عاقلا حازما مدبّرا سيوسا، ذا شهامة و صرامة و هيبة و وقار، عالى الهمة كثير الصدقات و البرّ، و مما يدلّ على علوّ همته مدرسته التى أنشأها بالرميلة تجاه قلعة الجبل فى مدّة يسيرة، مع قصر مدّته فى السلطنة و الحجر عليه فى تصرفه فى سنين من سلطنته الثانية أيضا، و كان صفته للطول أقرب، أشقر و بوجهه نمش، مع كيس و حلاوة، و كان متجملا فى ملبسه و مركبه و مماليكه و بركه، اصطنع مرّة خيمة عظيمة، فلمّا نجّزت ضربت له بالحوش السلطانى من قلعة الجبل، فلم ير مثلها فى الكبر و الحسن، و فيها يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة التّلمسانىّ المغربى. رحمه اللّه تعالى:

[الطويل]

حوت خيمة السلطان كلّ عجيبة فأمسيت منها باهتا أتعجّب

لسانى بالتقصير فيها مقصّر و إن كان فى أطنابها بات يطنب

و كان السلطان الملك الناصر حسن مغرما بالنساء و الخدّام، و اقتنى فى سلطنته من الخدّام ما لم يقتنه غيره من ملوك التّرك قبله، و كان إذا سافر يستصحب النساء معه فى سفره لكونه ما كان له ميل للشّباب كعادة الملوك من قبله، كان يعفّ عن ذلك، و فى محبته إلى النساء و واقعته مع يلبغا يقول بعض أصحاب يلبغا فيه شعرا:

[الكامل]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۱۶

لمّا أتى للعاديات و زلزلت حفظ النساء و ما قرا للواقعه

فلأجل ذاك الملك أضحى لم يكن و أتى القتال و فصّلت بالقارعه

لو عامل الرحمن فاز بكهفه و بنصره فى عصره فى السابعه

من كانت القينات من أحزابه عطعط به الدّخان نار لامعه

تبت يدا من لا يخاف من الدعا فى الليل إذ يغشى يقع فى النازعه

و خلّف السلطان الملك الناصر حسن، تغمّده اللّه برحمته، من الأولاد الذكور عشرة: و هم أحمد و قاسم و علىّ و إسكندر و شعبان و إسماعيل و يحيى و موسى و يوسف و محمد، و ستّا من البنات، و خلّف من الأموال و القماش و الذهب العين و السلاح و الخيول و غيرها شيئا كثيرا. استولى يلبغا على الجميع، و تصرّف فيه حسب ما أراده.

و كان السلطان حسن محبا للرعية، و فيه لين جانب، حمدت سائر خصاله، لم يعب عليه فى ملكه سوى ترقّيه لمماليكه فى أسرع وقت، فإنه كان كريما بارّا بإخوته و أهله، يميل الى فعل الخير و الصدقات، و له مآثر بمكة المشرّفة، و اسمه مكتوب فى الجانب الشرقىّ من الحرم، و عمل فى زمنه باب الكعبة الذى هو بابها الآن، و كسا الكعبة الكسوة التى هى الى الآن فى باطن البيت العتيق، و كان كثير البرّ لأهل مكة و المدينة، الى أن كانت الواقعة لعسكره بمكة فى أواخر سنة إحدى و ستين و سبعمائة التى كان مقدّم عسكرها الأمير

قندس و ابن قراسنقر و حصل لهم الكسرة و النهب و القتل من أهل مكة و اخراجهما من مكة على أقبح وجه،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۱۷

غضب بعد ذلك على أهل مكة و أمر بتجهيز عسكر كبير الى الحجاز للانتقام من أهل مكة، و عزم على أنه ينزعها من أيدى الأشراف الى الأبد، و كاد يتمّ له ذلك بسهولة و سرعة، و بينما هو فى ذلك وقع بينه و بين مملوكه يلبغا و كان من أمره ما كان.

و كان السلطان حسن يميل الى تقدمة أولاد الناس الى المناصب و الولايات حتى إنه كان غالب نوّاب القلاع بالبلاد الشامية فى زمانه أولاد ناس، و لهذا لم يخرج عليه منذ سلطنته بالبلاد الشامية خارجىّ، و كان فى أيامه من أولاد الناس ثمانية من مقدّمى الألوف بالديار المصرية. ثم أنعم على ولديه بتقدمتى ألف فصارت الجملة عشرة، فأما الثمانية فهم: الأمير عمر بن أرغون النائب و أسنبغا بن الأبى بكرى و محمد ابن طوغاى و محمد بن بهادر رأس نوبة و محمد بن المحسنىّ الذى قاتل يلبغا و موسى بن أرقطاى و أحمد بن آل ملك و شرف الدين موسى بن الأزكشى الأستادار، فهؤلاء من مقدّمى الألوف. و أما الطبلخانات و العشرات فكثير، و كان بالبلاد الشامية جماعة أخر فكان ابن القشتمرى نائب حلب و أمير علىّ الماردينىّ نائب الشام و ابن صبيح نائب صفد و أمّا من كان منهم من المقدّمين. و الطبلخانات نوّاب القلاع فكثير. و قيل:

إن سبب تغيير خاطر يلبغا من أستاذه الملك الناصر حسن- على ما قيل- إنه لما عمل ابن مولاهم البليقة التى أوّلها:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۱۸

من قال أنا: جندى خلق، لقد صدق. عندى قبا، من عهد نوح، على الفتوح لو صادفوا شمس السطوح، كان احترق

و رقصوا بها بين يدى السلطان حسن، أشاروا «بالجندى خلق» إلى يلبغا و هو واقف بين يدى السلطان حسن و السلطان حسن يضحك و يستعيدها منهم فغضب من ذلك يلبغا و حقد على أستاذه السلطان و هذا يبعد وقوعه لكنّه قد قيل.

قلت: و قد أثبتنا هذه البلّيقة- و التى عملها الشيخ زين الدين عبد الرحمن ابن الخرّاط فى الفقيه التى أوّلها:

من قال أنا فقيه بشر

لقد فشر

- فى تاريخنا المنهل الصافى فى ترجمة ابن الخرّاط المذكور بتمامها و كمالها و هما من أظرف البلاليق فى معناهما. و اللّه أعلم. انتهى.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۶]

السنة الأولى من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر و هى سنة ست و خمسين و سبعمائة على أنه حكم- فى السنة الخالية بعد خلع أخيه الملك الصالح صالح- من شوّال إلى آخرها.

و فيها (أعنى سنة ست و خمسين) توفّى قاضى القضاة شيخ الإسلام تقىّ الدين أبو الحسن على بن زين الدين عبد الكافى بن علىّ بن تمّام بن يوسف بن موسى ابن تمّام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علىّ بن سوار بن سليم الأنصارى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۱۹

السّبكى الشافعى- رحمه اللّه تعالى- بشاطئ النيل فى ليلة الاثنين رابع جمادى الآخرة، و مولده فى [أول يوم من] شهر صفر سنة ثلاث و ثمانين و ستمائة بسبك الثلاث و هى قرية بالمنوفية من أعمال الديار المصرية بالوجه البحرى، و كان- رحمه اللّه- إماما عالما بالفقه و الأصلين و الحديث و التفسير و النحو و الأدب و فى شهرته ما يغنى عن الإطناب فى ذكره. و قد استوعبنا ترجمته فى تاريخنا «المنهل الصافى» بأوسع من هذا فلينظر هناك لمن أراد ذلك. و من شعره: [الكامل]

إنّ الولاية ليس فيها راحة إلّا ثلاث يتّبعها العاقل

حكم بحقّ أو إزالة باطل أو نفع محتاج سواها باطل

و توفّى قاضى القضاة نور الدين أبو الحسن على بن عبد النصير بن على السّخاوىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۲۰

المصرى المالكى قاضى قصاة الديار المصرية بها و قد قارب الثمانين سنة فى ليلة الاثنين ثانى جمادى الأولى و دفن بالقرافة.

و توفّى الشيخ الأديب شمس الدين محمد بن يوسف بن عبد اللّه الدّمشقى الشاعر المشهور المعروف بالخيّاط بطريق الحجاز. و من شعره قوله. [السريع]

خلّفت بالشام حبيبى و قد يمّمت مصرا لغنى طارق

و الأرض قد طالت فلا تبعدى بالله يا مصر على عاشق

و توفّى القاضى تاج الدين أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن عبد المنعم بن عبد الرحمن ابن عبد الحق السّعدىّ البارنبارى المصرىّ كاتب سرّ طرابلس و كان فاضلا كاتبا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۲۱

خدم الملوك و باشر كتابة سر طرابلس. و كان له شعر جيّد و كتابة حسنة. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى الشيخ الإمام العلّامة شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن يوسف [بن عبد الدائم] بن محمد الحلبى النحوى المقرئ الفقيه الشافعى المعروف بابن السّمين- رحمه اللّه- فى جمادى الآخرة، و كان إماما عالما أفتى و درّس و أقرأ عدّة سنين.

و توفّى الأمير سيف الدين قبلاى بن عبد اللّه الناصرى فى يوم الأربعاء ثالث شهر ربيع الأول، و كان أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون، و ولى نيابة الكرك ثم الحجوبية الثانية بمصر، ثم نقل الى الحجوبية الكبرى بها، ثم ولى نيابة السلطنة بالديار المصرية. و قد تقدّم من ذكره نبذة جيدة فى عدّة تراجم.

و توفّى القاضى زين الدين خضر ابن القاضى تاج الدين محمد بن زين الدين خضر بن جمال الدين عبد الرحمن بن علم الدين سليمان بن نور الدين علىّ كاتب الإنشاء بالديار المصرية. و مولده ليلة الأحد رابع ذى الحجة سنة عشر و سبعمائة.

كان فاضلا قادرا على الكتابة سريعها، يكتب من رأس القلم التواقيع و المناشير و اعتمد القاضى علاء الدين على بن فضل اللّه عليه. و كان له نظم و نثر. رحمه اللّه تعالى. و من شعره فى مقصّ قوله: [الطويل]

يحرّكنى مولاى فى طوع أمره و يسكننى [شانيه] وسط فؤاده

و يقطع بى إن رام قطعا و إن يصل يشقّ بحدّى الوصل عند اعتماده

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۲۲

و توفّى الأمير سيف الدين آص ملك بن عبد اللّه بطالا بدمشق فى شهر رمضان.

و كان من أعيان الأمراء، و تنقّل فى عدّة وظائف و أعمال، و كان مشهورا بالشجاعة.

رحمه اللّه.

و توفّى الأمير سيف الدين قردم بن عبد اللّه الناصرى الأمير آخور بطّالا بدمشق فى يوم الأحد تاسع عشر شهر رمضان، و قد تقدّم ذكره فى عدّة أماكن.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إحدى و عشرون إصبعا. و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۷]

السنة الثانية من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر و هى سنة سبع و خمسين و سبعمائة.

فيها توفّى السيد الشريف شرف الدين أبو الحسن على بن الحسين بن محمد الحسينى نقيب الأشراف بالديار المصرية، و فيها توفّى عن سبعين سنة- و كان رحمه اللّه- إماما عالما فاضلا، درّس بالقاهرة بمشهد الحسين و الفخرية، و ولى حسبة القاهرة و وكالة بيت المال، و كان معدودا من الرؤساء العلماء.

و توفّى قاضى القضاة نجم الدين أبو عبد اللّه محمد ابن القاضى فخر الدين عثمان ابن أحمد بن عمرو بن محمد الزّرعىّ الشافعىّ قاضى قضاة حلب فى صفر، و كان- رحمه اللّه- إماما عالما فاضلا و افتى و درّس و ولى الحكم بعدّة بلاد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۲۳

و توفّى صاحب بغداد و ما والاها الشيخ حسن بن الحسين بن آقبغا بن أيلكان ببغداد، و ملك بعده بغداد ابنه الشيخ أويس. و الشيخ حسن هذا هو سبط الملك أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طولون بن چنكزخان ملك التتار صاحب «اليسق» و الاحكام التركية. و كان فى أيام الشيخ حسن الغلاء العظيم ببغداد حتى أبيع بها الخبز بسنج الدراهم و برح الناس عنها، و كان مشكور السّيرة. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى الشيخ الإمام شرف الدين إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم المناوى الشافعى فى يوم الثلاثاء خامس شهر رجب، و كان- رحمه اللّه- فقيها عالما، ناب فى الحكم بالقاهرة، و أفتى و درّس و شرح الفرائض «من الوسيط» و غيره.

و توفّى الشيخ الإمام العالم كمال الدين أحمد بن [عمر بن أحمد بن] مهدى النّشائى الشافعى فى يوم الأحد حادى عشر صفر و مولده فى أوائل ذى القعدة سنة إحدى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۲۴

و تسعين و ستمائة. و كان- رحمه اللّه- إماما عالما خطيبا فصيحا مصنّفا ولى خطابة جامع الأمير أيدمر الخطيرى ببولاق و إمامته و درّس به و هو أوّل من ولى خطابته و إمامته. و من مصنّفاته: كتاب «جامع المختصرات» و كتاب «المنتقى» و علّق على «التنبيه» استدراكات، و له غير ذلك. و اللّه أعلم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و أربع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشرون إصبعا. و اللّه أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۸]

السنة الثالثة من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر و هى سنة ثمان و خمسين و سبعمائة.

فيها توفّى الأمير الكبير أتابك العساكر شيخون بن عبد اللّه العمرى الناصرى اللالا مدبّر الممالك الإسلامية بالديار المصرية فى السابع من ذى الحجة بالقاهرة من جرح أصابه لمّا ضربه قطلوخجا السلاح دار فى موكب السلطان حسن حسب ما تقدّم ذكره فى ترجمة السلطان حسن هذه الثانية. و قيل: كانت وفاته فى أواخر ذى القعدة و سنّه نيّف على خمسين سنة. و كان أصله من كتابية الملك الناصر محمد ابن قلاوون و كان تركىّ الجنس، جلبه خواجا عمر من بلاده و باعه للملك الناصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۲۵

و ترقّى بعد موت الملك الناصر حتى صار أتابك العساكر بالديار المصرية، و هو أوّل من سمّى بالأمير الكبير، وليها بخلعة، و صارت من بعده وظيفة. و هو صاحب الجامع و الخانقاه بخطّ صليبة أحمد بن طولون. و قد تقدّم من ذكره فى ترجمة الملك الناصر حسن و الملك الصالح صالح و غيرهما ما يستغنى عن ذكره هنا ثانيا. و دفن بخانقاته المذكورة. و فى شيخون يقول بعض شعراء عصره

مضمّنا: [البسيط]

شيخو الأمير المفدّى كلّه حسن حوى المحاسن و الحسنى و لا عجب

دع الذين يلومونى عليه سدى ليذهبوا فى ملامى أيّة ذهبوا

و توفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة قوام الدين أبو حنيفة أمير كاتب بن أمير عمر ابن أمير غازى الفارابى الإتقانى الحنفى بالقاهرة، و دفن بالصحراء خارج القاهرة- و كان رحمه اللّه- إماما عالما مفتنّا بارعا فى الفقه و اللغة العربية و الحديث و أسماء الرجال و غير ذلك من العلوم، و له تصانيف كثيرة منها: «شرح الهداية» فى عشرين مجلّدا «و شرح الأخسيكتى» «و شرح البزدوى» و لم يكمّله، و ولى التدريس بمشهد أبى حنيفة ببغداد. ثم قدم دمشق فأفتى بها و درّس و اشتغل و صنّف بدمشق كتابا فى منع رفع اليدين فى الصلاة فاضلا عن تكبيرة الافتتاح. ثم طلب الى القاهرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۲۶

مكرّما معظّما حتى حضرها و صار بها من أعيان العلماء لا سيّما عند الأمير صرغتمش الناصرى، فإنه لأجله بنى مدرسته بالصليبة حتى ولّاه تدريسها. و لما مات- رحمه اللّه تعالى- ولى تدريس الصّرغتمشية العلّامة أرشد الدين السرائى الحنفى.

و توفّى قاضى القضاة نجم الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن القاضى عماد الدين أبى الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الصمد الطّرسوسى ثم الدمشقى الحنفى قاضى قضاة الحنفية بدمشق بها عن نحو أربعين سنة و كان- رحمه اللّه- إماما عالما علّامة أفتى و درّس و ناب فى الحكم عن والده بدمشق ثم استقل بالوظيفة من بعده عدّة سنين و حمدت سيرته. و له مصنّفات كثيرة منها: كتاب «رفع الكلفة عن الإخوان فى ذكر ما قدّم القياس على الاستحسان» و كتاب «مناسك الحج» مطوّل و كتاب «الاختلافات الواقعة فى المصنّفات» و كتاب «محظورات الإحرام» و كتاب «الإرشادات فى ضبط المشكلات» عدّة مجلدات و كتاب «الفتاوى فى الفقه» و كتاب «الإعلام فى مصطلح الشهود و الأحكام» و كتاب «الفوائد المنظومة فى الفقه».

و توفّى الأمير سيف الدين أرغون بن عبد اللّه الكاملى المعروف بأرغون الصّغير بالقدس بطّالا قبل أن يبلغ الثلاثين سنة من العمر و كان أرغون خصيصا عند الملك الكامل ثم عند أخيه الملك الصالح إسماعيل و ترقّى حتى صار أمير مائة و مقدّم ألف بديار مصر. ثم ولى نيابة حلب ثم نيابة الشام ثم أعيد الى نيابة حلب ثانيا الى أن طلب الى القاهرة و قبض عليه و اعتقل بالإسكندرية مدّة ثم أخرج الى القدس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۲۷

بطّالا فمات به. و كان أميرا جليلا عارفا شجاعا كريما و فيه بر و معروف و له مآثر، من ذلك بيمارستان بحلب و غيره. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى الشيخ شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن عبد المحسن العسجدىّ الشافعىّ. كان معدودا من فقهاء الشافعية. رحمه اللّه.

و توفّى القاضى علاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن الأطروش الحنفىّ محتسب القاهرة و قاضى العسكر بها كان من بياض الناس و له وجاهة. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى الشيخ الإمام العلّامة محبّ الدين أبو عبد اللّه محمود ابن الشيخ الإمام علاء الدين أبى الحسن على بن إسماعيل بن يوسف القونوىّ الشافعىّ فى يوم الأربعاء ثامن عشرين شهر ربيع الآخر و كان فقيها مصنّفا و من مصنّفاته: «شرح ابن الحاجب فى الأصول» و كتاب «اعتراضات على شرح الحاوى» فى الفقه لأبيه.

و له غير ذلك.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و إصبع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و ست أصابع. و اللّه أعلم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۲۸

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۵۹]

السنة الرابعة من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر و هى سنة تسع و خمسين و سبعمائة.

فيها توفّى الأمير سيف الدين صرغتمش بن عبد اللّه الناصرىّ فى سجنه بثغر الإسكندرية فى ذى الحجّة. و كان أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون و ترقّى حتى صار من أكابر الأمراء و مدبّرى الديار المصرية مع الأمير شيخون و بعده و قد تقدّم من ذكره فى ترجمة الملك الصالح و الملك الناصر حسن ما يكتفى بذكره هناك: و لمّا حبسه الملك الناصر حسن بثغر الإسكندرية كتب إليه صرغتمش كتابا يتخضّع إليه فيه و فى أوّله: [الكامل]

قلبى يحدّثنى بأنّك متلفى روحى فداك عرفت أ لم تعرف

فلم يلتفت الملك الناصر لكتابه و فعل به ما قدّر عليه و كان صرغتمش عظيما فى الدولة فاضلا مشاركا فى فنون يذاكر بالفقه و العربيه و يحبّ العلماء و أرباب الفضائل و يكثر من الجلوس معهم و هو صاحب المدرسة بخطّ الصليبة و له برّ و صدقات، إلا أنه كان فيه ظلم و عسف مع جبروت.

و توفّى القاضى شرف الدين أبو البقاء خالد بن عماد الدين إسماعيل بن محمد ابن عبد اللّه بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر المخزومى الشافعىّ المعروف بابن القيسرانىّ الحلبى ثم الدّمشقى بدمشق عن نيّف و خمسين سنة و كان كاتبا فاضلا مصنفا باشر كتابة الإنشاء بدمشق و وكالة بيت المال و سمع الكثير.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۲۹

و توفّى قاضى الإسكندرية فخر الدين أبو العبّاس محمد بن أحمد بن عبد اللّه الشهير بابن المخلّطة فى يوم الجمعة سابع شهر رجب، ولى قضاء الإسكندرية أشهرا، بعد أن كان درّس بالقاهره بمدرسة الصّرغتمشية: درس الحديث. و كان فاضلا عارفا بالأصول و له سماع و تولى بعده قضاء الإسكندرية ابن التّنسىّ.

و توفّى ملك الغرب أبو عنان فارس ابن السلطان أبى الحسن علىّ ابن السلطان أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيوبن حمامة المرينىّ المغربى بمدينة فاس بعد أن حكم خمس سنين و كان مشكور السّيرة. رحمه اللّه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۳۰

و توفّى الشريف مانع بن على بن مسعود بن جمّاز بن شيحة الحسينى أمير المدينة بها و تولّى المدينة الشريفة بعده ابن عمّه فضل بن القاسم فى ذى القعدة.

و توفّى الأمير سيف بن فضل بن مهنّا بن عيسى بن مهنّا بن مانع بن حديثة ابن غضيّة فى ذى القعدة و كان جوادا شجاعا، ولى إمرة آل فضل غير مرة. و قيل إنه قتل سنة ستين و هو الأصحّ

و توفّى الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن عيسى بن حسن بن كر الحنبلى إمام أهل الموسيقى، و له فيها تآليف حسنة و يتصل نسبه إلى الخليفة مروان بن محمد الحمار. و كان صوفيّا فقيها و له زاوية عند مشهد الحسين بالقاهرة. و مولده فى شهر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۳۱

ربيع الأوّل سنة إحدى و ثمانين و ستمائة بالقاهرة، و كان فاضلا قرأ القرآن على الشّطنوفى و حفظ الأحكام لعبد الغنى [بن عبد الواحد] «و العمدة فى الفقه» للشيخ موفّق الدين و الملّحة للحريرى و سمع على أشياخ عصره مثل الدّمياطىّ و الأبرقوهىّ و غيرهما و صنف كتابا فى الموسيقى سماه: «غاية المطلوب، فى الأنغام و الضروب» و قد أوضحنا أمره و ما يتعلّق بفنّه الموسيقى فى المنهل

الصافى إذ هو محلّ الاستيعاب.

و توفّى الأمير الطّواشى صفى الدين جوهر بن عبد اللّه الجناحى البتخاصى مقدّم المماليك السلطانية، و قد قارب المائة سنة من العمر. و كان من أعيان الخدّام و أماثلهم.

و توفّى الأمير سيف الدين ننكزبغا بن عبد اللّه الماردين أمير مجلس و زوج أخت السلطان حسن، كان من أكابر الأمراء بالديار المصرية، لا سيما فى دولة الناصر حسن. و كان عاقلا مدبّرا سيوسا.

و توفّى الشيخ شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن داود بن الهكّارى الكردى الشافعى بدمشق فى ذى القعدة. و مولده سنة خمس و ثمانين و ستمائة و كان فقيها فاضلا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٠، ص: ٣٣٢

و توفّى الأمير سيف الدين ملكتمر بن عبد اللّه السّعدى فى ذى القعدة بحماة بطّالا بعد أن ولى عدّة وظائف و تنقّل فى عدّة ولايات. رحمه اللّه تعالى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ثمانى أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٦٠]

السنة الخامسة من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر و هى سنة ستين و سبعمائة.

فيها توفّى قاضى القضاة تقىّ الدين أبو عبد اللّه محمد بن شهاب الدين أحمد ابن شأس المالكىّ قاضى قضاة الديار المصرية فى يوم الأربعاء رابع شوّال و دفن بالقرافة. و كان إماما بارعا فى مذهبه أفتى و درس و ناب فى الحكم، ثم استقل بالقضاء، و كان مشكور السّيرة، من علم و فضل. رحمه اللّه.

و توفّى قاض قضاة حماة تقىّ الدين أبو المظفّر محمود بن بدر الدين محمد بن عبد السلام بن عثمان القيسى الحنفىّ الحموى الشهير بابن الحكيم، باشر قضاء حماة تسع عشرة سنة، و حمدت سيرته و مات بمنزلة ذات الحج من الحجاز، و قد جاوز ستين سنة و كان عالما زاهدا ورعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٠، ص: ٣٣٣

و توفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة شيخ الإسلام و قطب الوجود أبو البقاء و قيل أبو الوفاء خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر المالكى المالقى ثم المكىّ العالم المشهور، صاحب التصانيف فى مذهبه بمكة المشرفة بعد أن انتهت إليه رياسة مذهبه و لم يخلّف بعده مثله.

و توفّى القاضى جمال الدين إبراهيم ابن العلّامة شهاب الدين محمود بن سليمان ابن فهد الحلبى الحنبلى بحلب عن أربع و ثمانين سنة و كان فاضلا كاتبا ماهرا فى صناعته، كتب فى ديوان الإنشاء بمصر و ولى كتابة سرّ حلب ثلاث مرات نيّفا و عشرين سنة و حدّث عن جماعة من حفّاظ الديار المصرية و الإسكندرية. و كان عارفا بالاصطلاح و الكتابة، و له نظم و نثر. و من شعره ما كتبه لوالده متشوّقا بقوله: [السريع].

هل زمن ولّى بكم عائد أم هل ترى يرجع عيش مضى

فارقتكم بالرغم منى و لم أختره لكنّى أطلعت القضا

قلت: لو كانت وظيفته قضاء حلب كان فى قوله: «أطعت القضا» تورية.

و كان جوادا ممدّحا و فيه يقول البارع جمال الدين محمد بن نباتة المصرى قصيدته المشهورة التى أوّلها: [الطويل]

أجيراننا حيّا الربيع دياركم [و إن لم يكن فيها لطرفى مربع]. انتهى

و توفّى القاضى تاج الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن على بن أبى القاسم بن على ابن أبى الفضل العذرى الدمشقى الحنفى المعروف بابن السّكاكرى. كان عارفا بعلل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۳۴

المكاتيب الحكيمة خبيرا بسلوك طرائقها العلمية و العملية و كتب الحكم و الإنشاء بحلب و مات عن خمس و ستين سنة. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى الأمير عز الدين طقطاى بن عبد اللّه الصالحىّ الدّوادار بطرابلس عن بضع و أربعين سنة معتقلا. و كان أميرا فاضلا جليلا رئيسا و فيه يقول الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصّفدىّ تغمّده اللّه برحمته: [الكامل]

هذا الدّوادار الذى أقلامه تذر المهارق مثل روض نافح

تجرى بأرزاق الورى فمدادها و بل تحدّر من غمام سافح

أستغفر اللّه العظيم غلطت بل نهر جرى من لجّ بحر طافح

و إذا تكون كريهة فيمينه تسطو بحدّ أسنّة و صفائح

يا فخر دهر قد حواه [فإنّه] عزّ لمولانا المليك الصالح

و توفّى الخان جانبك خان بن أزبك خان صاحب كرسىّ سراى و بلاد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۳۵

الدّشت بها، بعد أن حكم ثمانى عشرة سنة. و نسبه يتّصل لجنكزخان و تولى بعده الملك ابنه بردبك. خان و اللّه أعلم بالصواب.

أمر النيل فى هذه السنة- المياء القديم خمس أذرع و ثلاث عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج ۱۰؛ ص۳۳۵

لغ الزيادة تسع عشرة ذراعا و ثلاث أصابع. و قيل أربعة أصابع من غير زيادة و اللّه سبحانه أعلم بالصواب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۳۶

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۶۱]

السنة السادسة من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر و هى سنة إحدى و ستين و سبعمائة.

فيها توفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة جمال الدين أبو محمد عبد اللّه بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصارى الحنبلى النحوى فى ليلة الجمعة الخامس من ذى القعدة و دفن بعد صلاة الجمعة بمقابر الصوفيّة خارج باب النصر من القاهرة. و كان بارعا فى عدّة علوم، لا سيما العربية فإنه كان فارسها و مالك زمامها و هو صاحب الشرح على ألفية ابن مالك فى النحو المسمّى «بالتوضيح» «و شرح أيضا البردة» [و شرح] «بانت سعاد» و كتاب «المغنى» و غير ذلك و مات عن بضع و خمسين سنة و كان أوّلا حنفيّا ثم استقرّ حنبليّا و تنزّل فى دروس الحنابلة.

و توفّى قاضى القضاة صدر الدين أبو الربيع سليمان بن داود بن سليمان [بن داود] ابن محمد بن عبد الحق الدمشقى الحنفى باليمن عن ثلاث و ستين سنة. و كان إماما بارعا مفتنا، أفتى و درّس بدمشق و باشر بها عدّة وظائف، منها: كتابة الإنشاء و النظر فى الأحكام و رحل إلى العراق و خراسان و مصر و الحجاز و اليمن. و كان له شعر جيّد من ذلك قوله: [السريع]

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۳۷

لما بدا فی خدّه عارض و شاق قلبی نبته الأخضر

أمطر أجفانی مستمطر فقلت هذا عارض ممطر

و توفّی الشیخ الإمام الحافظ صلاح الدین أبو سعید خلیل بن کیکلدی العلائی الدمشقی الشافعی، کان إماما حافظا رحّالا عارفا بمذهبه، سمع بالشام و مصر و الحجاز و تقدّم فی علم الحدیث و جمع و ألّف و صنّف و درّس بالصلاحیّة و التّنکزیة بالقدس، [و بها توفی] و کانت وفاته فی المحرّم من هذه السنة. و قال الإسنویّ: سنة ستین.

و مولده بدمشق فی سنة أربع و تسعین و ستمائة.

و توفّی القاضی ضیاء الدین أبو المحاسن یوسف بن أبی بکر بن محمد الشهیر بابن خطیب بیت الآبار الدّمشقی. مات بالقاهرة عن نیف و سبعین سنة. و کان مقدّما فی الدولة الناصریة و باشر الحسبة و نظر الأوقاف و غیرهما، [و کان لأهل الشام نعم الذخیرة].

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۳۸

و توفّی الشیخ تقیّ الدین إبراهیم ابن الشیخ بدر الدین محمد بن ناهض بن سالم ابن نصر اللّه الحلبی الشهیر بابن الضّریر بحلب عن بضع و ستین سنة. و کان فقیها بارعا سمع الحدیث و جمع و حصّل و کتب کثیرا من الإنشاء و العلم و الأدب.

و توفّی الشریف زین الدین أبو الحسن علی بن محمد بن أحمد بن علی محمد بن علی الحسینی الحلبی نقیب الأشراف بحلب. کان رئیسا نبیلا من بیت ریاسة و شرف. رحمه اللّه تعالی.

و توفّی الشیخ شرف الدین موسی بن کجک الإسرائیلی الطبیب فی شوّال. و کان بارعا فی الطب مشارکا فی غیره.

و توفّی الشیخ الإمام الخطیب شهاب الدین أبو العباس أحمد [بن] القسطلانی خطیب جامع عمرو- رحمه اللّه- بمصر القدیمة فی ذی الحجة، و کان دیّنا خیّرا من بیت فضل و خطابة، و قد تقدّم ذکر جماعة من آبائه و أقاربه.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم اثنتا عشرة ذراعا سواء. مبلغ الزیادة أربع و عشرون ذراعا، قاله غیر واحد، و خربت أماکن کثیرة من عظم زیادة النیل. و اللّه أعلم.

*** انتهی الجزء العاشر من النجوم الزاهرة و یلیه الجزء الحادی عشر و أوّله: ذکر سلطنة الملک المنصور محمد علی مصر

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۳۹

*** تنبیه: التعلیقات الخاصة بالأماکن الأثریة و المدن و القری المصریة القدیمة و غیرها مع تحدید أماکنها من وضع العلامة المحقق المرحوم محمد رمزی بک الذی کان مفتشا بوزارة المالیة و عضوا فی المجلس الأعلی لإدارة حفظ الآثار العربیة، کالتعلیقات السابقة فی الأجزاء الماضیة ابتداء من الجزء الرابع. و لا یسعنا إلا أن نسأل اللّه جلت قدرته أن ینزل علی قبره شآبیب رحمته، و أن یجزیه الجزاء الأوفی علی خدمته للعلم و أهله. و کانت وفاته- رحمه اللّه- یوم الاثنین ۱۳ ربیع الأول سنة ۱۳۶۴ ه (۲۶ فبرایر سنة ۱۹۴۵ م).

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۴۰

استدراکات

اشارة

کان العلامة المحقق المرحوم محمد رمزی بک قد وصّی أحد أفراد الأسرة قبل وفاته بهذه الاستدراکات لیرسلها إلی دار الکتب المصریة فجاءتنا بطریق البرید بعد وفاته.

باب الصفا

ورد فى الحاشية رقم ۳ صفحة ۹۱ من الجزء الرابع من هذه الطبعة أن باب الصفا كان واقعا تقريبا فى النقطة التى يتقابل فيها شارع سوق المواشى بشارع الفسطاط بمصر القديمة.

و بإعادة البحث تبيّن لى أن هذا الوصف خطأ. و الصواب أن هذا الباب كان واقعا فى السور البحرى لمدينة الفسطاط على رأس الطريق التى كانت تمر فى المنطقة التى بها اليوم جبانة السيدة نفيسة الجديدة فيما بين باب الصفا المذكور و امتداد شوارع الأشرف و الخليفة و الركبية حيث كانت تسير الطريق قديما بين الفسطاط و القاهرة. و قد بيّنا هذا الوصف فيما كتبناه عن هذا الباب فى صفحة ۶۵۴ بالعدد الخامس من مجلة العلوم الصادرة فى سنة ۱۹۴۲ و على الخريطة المرفقة بالعدد المذكور.

شارع نجم الدين

ورد فى الحاشية رقم ۱ ص ۶۷ بالجزء السادس من هذه الطبعة ما يفيد أن شارع نجم الدين الممتدّ من جبانة باب النصر من الجنوب إلى الشمال منسوب إلى الأمير نجم الدين أيوب بن شادى الذى أنشأ مسجدا ظاهر باب النصر سنة ۵۶۶ ه على ما جاء فى المقريزى ص ۴۱۲ ج ۲ ثم جدّدت هذه التسمية نسبة إلى الشيخ صالح المحدّث نجم الدين أبى الغنائم محمد بن أبى بكر الشافعى المشهور بغنائم السعودى صاحب الزاوية التى فى نهاية هذا الشارع من الجهة البحرية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۴۱

العش

ورد بالحاشية رقم ۳ ص ۲۶۱ بالجزء السابع من هذه الطبعة أن ناحية العش التى ولد بها الملك السعيد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس البندقدارى بضواحى القاهرة هى الناحية التى تعرف اليوم باسم منية شبين إحدى قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية بمصر.

و بإعادة البحث تبين لى أن هذا الإرجاع خطأ، و الصواب أنه من الاطلاع على كتاب الانتصار لابن دقماق ظهر لى أن ناحية العش هى ناحية أخرى كانت واقعة غربى البركة المعروفة بالعكرشة، و بما أن حوض العكرشة لا يزال موجودا و معروفا تحت رقم ۴۷ بأراضى ناحية أبى زعبل و شرقى سكنها تبين لى من ذلك أن ناحية العش التى ولد بها الملك السعيد بركة خان بضواحى القاهرة هى التى تسمى اليوم كفر الشيخ سعيد بجوار سكن ناحية أبى زعبل بمركز شبين القناطر و من توابعها.

حلوان

ورد فى الحاشية رقم ۲ صفحة ۹۰ بالجزء التاسع من هذه الطبعة ما يفيد أن حلوان البلد أنشأها عبد العزيز بن مروان على النيل فى سنة ۶۷ هجرية و الصواب أنه أنشأها فى سنة ۷۰ هجرية بعد أن اشترى أرضها من أهلها فى تلك السنة.

و ورد فى الحاشية المذكورة أن مدينة حلوان الحمامات أنشأها الخديوى إسماعيل فى سنة ۱۲۸۲ هجرية- ۱۸۷۱ ميلادية. و الصواب أن هذا التاريخ هو تاريخ إنشاء الحمامات لأنها كانت أنشئت هى و الفندق و نقطة البوليس فى السنة المذكورة فى الخلاء، قبل أن تبنى مدينة حلوان الحمامات التى فى الجبل بمدة أربع سنوات.

و أما مدينة حلوان الحمامات ذاتها فقد أنشأها الخديوى إسماعيل فى سنة ۱۲۸۵ هجرية- ۱۸۷۴ ميلادية و قد تكلمنا على ذلك فى الرسالة التى طبعناها عن مدينة حلوان فى مجلة العلوم سنة ۱۹۴۴.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۰، ص: ۳۴۳

فهرس الولاة الذين تولوا مصر من سنة ۶۹۰ ه‍- إلى سنة ۷۰۹ ه‍

(ا) الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجمىّ ۳- ۴۰ من سنة ۶۹۰- ۶۹۲ ه‍

(خ) خليل- الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون.

(ع) العادل زين الدين كتبغا بن عبد اللّه المنصورى التركى المغلى سلطان الديار المصرية ۵۵- ۸۴ من سنة ۶۹۴- ۶۹۵ ه‍

(م) المظفر ركن الدين بيبرس بن عبد اللّه المنصورى الجاشنكير ۲۳۲- ۲۸۲ سنة ۷۰۹ ه‍

المنصور حسام الدين لاچين بن عبد اللّه المنصورى سلطان الديار المصرية ۸۵- ۱۱۴ من سنة ۶۹۶- ۶۹۷ ه‍

(ن) الناصر أبو الفتوح و أبو المعالى ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى النجمى الألفى- ولايته الأولى ۴۱- ۵۴ سنة ۶۹۳ ه‍ ولايته الثانية ۱۱۵- ۲۳۱ من سنة ۶۹۸- ۷۰۸ ه‍

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلى التَّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التـّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِى الحجمَ المتزايد و المتـّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التـّمكـّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹